

کتاب خانہ آصفیہ سرکار عالی حیدر آباد دکن

۲۲

نمبر داخلہ

تاریخ داخلہ

نام کتاب

فن کتاب

نمبر کتاب و فن مذکور

۴۲۰	۴۲۰
	۴۲۰
۴۲۰	۴۲۰

رواية

حطف الأندلس

﴿فصل اول﴾

زيارة ليلة

على ساحل البحر المتوسط جنوبي فرنسا مدينة «كان» المشهورة بمجودة هوائها واعتدال حرها وطيب مائها يؤمها فريق الامراء والاغنياء من اكثر البلاد الشمالية في ايام الشتاء إما فراراً من البرد القارس واما اتجافاً للعافية وترويحاً للنفس في جناتها الغناء ومن يرغب في سكن تلك المدينة الزاهرة جماعة الشبان الذين ابطرهم المال فأنقطعوا عن مزاولة الاشغال ومالوا الى البطالة سائرين في سبل الملاحى والسرور يقتنصون ظلية القصور بظبي الاعين الحور ويستقلون ربات الحدود الى ميدان الحناء والفجور

وهن الناس من يقصد تلك الرياض النضرة لقتل الزمان باللعب والمقامرة في قصر جبل كولو القريب محط دركاب الالوف من اغراد المتمولين الطامعين في زيادة الثروة بلاعناء فمن هاته الفئة كان الشاب جمس باركلاي ابن رجل من مشاهير الاغنياء الاميركان الذي خلف له والده المتوفى ثروة كبيرة كان يختار كيف يصرفها في اميركا قصد باريس ام مدن العالم في الملاحى وكانت له اخت غضة الشبان بارعة الجمال اسمها ليونيدة مخطوبة لرجل عريق في الشرف اسمه مونتريو كان متوغلاً في التجارة

فاقام الثلاثة في باريس حيناً من الدهر حتى -ثم جمس البطالة وثاقت نفسه الى اللعب اقتداءً بكثير من عشاء صباه فاضل مع شقيقته الى (كان) واستأجر فيها قهراً عظيماً قائماً في قلب جنة تجري من تحتها المياه انهاراً

فما لبث الاخوان ان استأنسا بسكان المدينة الغرباء على وفق المثل السائر «كل

غريب للغريب نسيب » وقد سرّت الفتاة بشيان بيت ادمة من الاميرات كان قصرها مجتمعاً لبعض الرجال وديات الحبال يقضون الساعات الطوال مجتمين ثمرات الانس والانساط بين قيل وقال

فكانت ليونيدة تتردد الى بيت الاميرة زامركو غالباً واخوها يقتسم الفرصة للاسهاب
١٠٠ الليل واطراف النهار في اللهو واللعب في قصر جبل كولو لا يؤولي على شي . واللاعبون
يبتزون منه المال ابتزاز الرعاة للبن صباح مساء

فاثقى يوماً ان ليونيدة عادت من بيت الاميرة بعد الغروب سكرى من نشوة
المعاشرة والمزاح لكن صدرها كان منقبضاً من استسلام اخيها لملكة اللعب واللهو التي تمكنت
منه حتى صار لا يفكر الا بها ولا يكثر الى قد ثروته وتوعك صحته وخسارة حسن
سمته

ولما صعدت الى غرفتها رأت على منضختها كتاباً مختموماً لم تدرك اي يد وضعته
قضت غلاظة مرتجفة وقرأت فيه ما يلي :

» ليونيدة شقيقة الروح

» اسمي علي ان اراك في خلوة واحدتك لحظة في مكان لا تنفذه عين رقيب ولا
حسود لاكشف لك ما يخالجم صدري من الانشغاف بك واستميج منك جاياً ان
تجيبني قدر ذرة . . . ولا خوف علينا في هاته الليلة حيث اخوك يطيل السهر في
قصر جبل كولو وحسبك ان تدعي نافذة غرفتك مفتوحة فاطير اليك على جناح
البرق »

« المتون بك »

« سنترمون »

فماقت ليونيدة قراءة الكتاب الا توردت وجنتاها وتولاهما الغضب والاضطراب
من فرط القحة البادية من هذا الشاب لانها كانت عفيفة النفس طاهرة القلب سليمة
النيسة وقالت لاول وهلة : اف لهذا الوغد الجسور انه والله في غرور فلا تؤسكل
لحوم كل الطيور فهذهذا أمر الحدام ان يوصدوا الابواب فيعود بالحيلة على الاعتاب
ليعلم ان مثلي لا يخاطب بمثله هذا الخطاب

لكن ما لبث جأشها ان عاد الى السكون وارتخت عزيمتها كأن فؤادها أصيب
بسهم مسنون وقد تنازع لها من خفي العوامل ما يدفعها على عدم صد الزائر الجاهل
وكان قد عرفها في بيت الاميرة زامركو فافتتن بمجالها الرائع وأأس بها الدماعة
والرقة وقد جاملته بمحدثها العذب فلم تأنف من معاشرته اللطيفة وزعمت ان من
باب الغلظة والجفاء صد زيارته ولم يداخل نفسها الساذجة ادنى ريب في طهارة

وكان سنترهون من اكيس الشباب لا يلبس الا الخضر الثياب ولا يخرج الا مدهماً
معطراً نفاثاً وهو ربة الدامة اسمر الوجه اسود العينين نحيف الجسم اهيف القوام
بشوش الحيا لا يتكلم الا باسماً متبختراً يفتن الاوانس بملاحته ويغوي العوانس بدهاء
لسانه ولطافته وهذا كان منتهى الفاية من تجمله وسياسه وكان يتردد الى دار الاميرة
زامركو ليلقي شباك هواه فيقتصص كل يوم عادة تغتر بحبه ورضاه

وقد حام في تلك الدار حول ليونيدة حومة الصقر حول العصفور فكانت مع
وانستها له تجمل من فحه جنول الخفي النور وكلما نفرت ازداد بها هياماً فاخذها
من غير باب وجعل يتصبب بمجالها ويتغزل بغنبيها ودلالها فيندح من كل حركة تأتيا
ويستعظم كل اشارة تبديها فكانت فنبسط الى التلق طبعاً انبساط سائر الفتيات
وصار ثناؤه عليها قمع في نفسها وقوع الندى الرطب فيستميلها اليه بزمام

وكان كلما جاءت ليونيدة الى بيت الاميرة في تلك الايام ايام المرافع يحتفل بها
احتفالاً ويقوم بمجدها تكومة واجلالاً وفي الليالي الراقصة يسبق سائر اترابه الى
محاصرتها واطراء براعتها حتى ايقن ان حبه تملك فؤادها فتحوراً على مطارحتها حديث
الهوى بالكتاب المعهود

وكانت ليونيدة تتوهم ان ذاك الاحتفاء انما هو نتيجة اخلاص وصفاء نية كثرهم
سائر الفتيات بشأن هذا العصر المتخذين تلك الاعمال صناعة وبنت الصناعة فهات
لديها زيارته الليلية وحدتها نفسها ان تقابله كما ادتها عازمة على التهور مدعية انها
اجل من ان قيل مع الهوى واقوى من ان تستغوى

فلما مضى المزيج الاول من الليل ولم يأت احد ظنت انه عدل عن عزمه

لاستهجانه تلك الجسارة فحمدت الله لعدم دخولها في التجربة وعولت على اغلاق النافذة فاطلعت منها وكان ضوء القمر في ليلة البدر ضارباً اطناباً في تلك الحديقة الفسيحة وسجت الخالق العظيم واذا بصوت وقع اقدام بين الاشجار فاصفت وقالت : ستترعون وما لفظت هذا الاسم الا صار الرجل في غرقها وسلم عليها بلثم يدها وجعل يطارحها حديث القرام ويدي لها عما طي فواده من شدة الشوق والهيام ونجذب لهما باساليب الكلام حتى اعتدت انه اخلص لها حباً من كل الاثام

وكان خطيبها منترفيو قد سافر من بضعة اشهر لتضاء بعض المهام في اميركا فسلت حبه لان البعد جناء وودت لو يحل محلها الكونت ستترعون المتظاهر لما بتعشق جمها لما الباذل نفسه في سبيل خدمتها الباسط لها ابهج المواعيد التي تتوق اليها نفوس الفتيات فكانت هذه الزيارة الليلية واسطة للممكنين هذا الفكر منها فوعدها ان كنت بتروجها قريباً وكان هذا الوعد اقرب وسية ليدرك منها الوطر

فقضى الشاب والفتاة ساعتين يرشنان كؤوس المناء حتى الثالثة آمنين عيون الرقباء الى ان انتصف الليل فانتبهت ليوبيدة الى ان ساعة رجوع اخيها قد دنت ف اشارت على حبيبها بالانصراف فتردد ثم اذعن لها فودعها وقد اغلظ لها الايمان بحفظ وعوده وهو دونه واضلقت من حيث اتى وهو يتأيل كالتشوان عجباً بفوزه غائماً

ولما خرج من الحديقة صادف على بعد تسعين ذراعاً رجلاً فتعرس فيه فاذا هو جس باركلي الذي عاد من اللعب خاسراً فتوارى بالاشجار الحاذية للطريق لكن لم يخرج جس بعض خطي حتى مر بخطيب اخته منترفيو قابضاً على بندقية موجهة الى الغابة كانه يراقب عدواً فاستوقفه جس واستفهم عن قصده فقال له دهني اطلق الرصاص على الوغد الانيم عاشق خطيبي اختك

فارتجف جس وادرك للذرة عاقبة اطلاق النار في نصف الليل واقلها الفضيحة والعار لان قتل الرجل يقتضي مطالبة الحكومة بئاره واستكناهما الاسباب السابقة واثارة الشكوك في كل المدينة فترع البندقية من يده وقال له : دع عنك هذا النور افظن انك بعد في اميركا

فرأى منقرفيو وزعمو وقال لجس او أنت يا ابن العم منقرفي معها ايضاً
 — الملك مجنون حتى تصدق ما تخيل لك الظنون فان ليونيدة باقية على عهد
 حاك حتى انها ذكرت لك بالخبر اس داعية لك بالعود من اميركا سالماً غانماً
 — ولكن هوذا رجل كان عندها في هاته الساعة وانا مراقب رجوعه لاشفي منه
 غليلي

— انك في غرور ومن المستحيل ان تقبل الان رجلاً غريباً
 — ما أنت لاصدق ذلك لو لم ابصره بعيني خارجاً من نافذة غرفتها روع ذلك
 هلم نسألها فنعرف صدق الخبر

وصل ثان

﴿خطيب ليونيدة﴾

بعد ذهاب سنترمون جلست ليونيدة تردد في ذهنها ذكر ما دخل على قايها من
 البهجة والخبور في تلك الليلة الراضية فحنانها لكري وجلت ترقب النجوم الزواهر
 مستبطنة طلوع الصبح لتطير الى بيت الاميرة زامركو حسب الميعاد واذا بحركة على السلم
 قتالت هو جس لا محالة وفكرت في اطفاء المصباح لكنها دفعا لكل شك ابت اطفاءه
 وقامت الى الباب فتحت قلبه وجلست على كرسيها تقرأ في كتاب صلاتها
 فابا صار القادمان على مقربة من باب غرفتها قالت اخي جس اهلاً وسهلاً فوافاها
 من خارج صوت غضوب يقول : ليس اخوك بل انا انا

فارتاعت من صوت خطيبها وقالت له مرتجفة : أنت أنت
 فدخل منقرفيو اولاً وقال لها لماذا ترجئين أما كنت منتظرة قدومي في هاته
 الساعة هوذا اخوك ايضاً . والتفت الى جس يقول اما هذا الارتجاف اكبر دليل
 فاجتهدت ليونيدة في تسكين اضطرابها وقالت له مبتسمة : لا عجب في انذهالي فما
 كنت لانتظر رجوعك من السفر بنته في نصف الليل فاهلاً وسهلاً ومرحباً

متضاحك منقرفيو وجلس على المهد واخذ يد ليونيدة وقال : عفواً يا عزيزي فاكنت

عجيب

ارجو ان اشاهدك في هاته الساعة لكن شوقي اليك في مدة سفري الطويل قد حملني
في هذا الليل ان اطوف حول القصر لاستشقت ولو عن بعد رياً خزامك وانا
واقف اذاء نافذة غرفتك فصادفت صديقي جس راجعاً فراقته

فارتبعت من كلامه وقالت بصوت خنقه الاضطراب : انت انت نفسك
كنت واقفاً بلزاء فوافد غرقتي . . . - نعم قضيت نحو الساعتين متبولاً
في جوار القصر في ضوء القمر وقد عجبت كيف تنامين ونافذة حرمك مفتوحة
وجسك هدف للرطوبة - ما كنت تأثمة بل اقرأ هذا الكتاب الذي تفضلت فيه
لذكر الله وتأمل العواقب الاخيرة قضيت النوم من شدة الخوف والتأثر

- بالحق خلقت فان شدة الخوف والتأثر أطارت من جفحك الكرى وذكرى
عواقب طياشتك اضاعت رشذك وهوذا اجنتاك تشهدان . . . ثم قام إليها وقبض
على ذراعها وشدها شداً اليماً كأنه يطلب منها انتقاماً الا ان اخاها جذبها اليه ليسكن
دوعه فافلتت من يده واتوت في اقصى الحجرة وسرت رجها يديها كالولد
المضروب العارف بذنبه الخائف من مطهه

فغفل متغفياً الى جس شزراً وقالت منتهراً ان لي وحدي الحق بكشف هاته
الحيانة أفلمت اكبر منك سناً واعدت ظليعاب لهاته الاسرة أو لمست انا الذي عني
بامرك بعد وفاة والديك ودافع عن حقوقك وانقذ ثروتك من غشالب المعتدين وانا
سافرت الى اميركا اخيراً لنفع لك اعظم من نفعي الشخصي وقد تمكنت من ان
اربح لك مليوناً لم يكن في حساباتك

فتهلل قلب جس عند استماع المليون وكف عن معارضته فاستأنف متغفياً
عجائبيته كن ملك زمانه قال : انهكذا تمامه لاني كلاك عرض جملي قد وعدتني
انت باطراح اللعب والعناية بشقيقتك وعدم تركها ليل نهار فلماذا اخلت الميعاد . . .
وانت يا ليويدة ابن محبتك لي وتهديك بالآتملي الى احاد. سواي واه عهدت الى
بعض الجواسيس ان يحاقبك فيفس ما اتبوني

- لقد احببتك دائماً ولا ازال حتى الساعة احبك فاي ذنب تترفي به يا ترى؟

— ألم نقضي الأيام الطوال في بيت الامة زامركو محط ركاب الشباب الإغترار
 ممن اطرهم القرف واليسار اولئك الساعين وراء الآنسات المهائنين على وجوههم في
 سبيل الشهوات فالويل للشقاء المصدقة لا قولهم المثرة بتزيين لسانهم
 فارقت ليونيدة كأن حجاباً انشى امام بصرها قرأت من ودانه مشهداً مريماً
 وصرخت صرخة هائلة ثم حجبت وجهها بكفها وقد تولاهما حزن شديد فاستأنف
 مترفيو تقريره لها قال: ولقد غي الي أن في تلك الماشرات الخطيرة رجلاً طلق بهواك
 فتزلف يبغي رضاك وما زال يراودك حتى استغواك واغراك أو تنكرين ان جبهه
 استرقك واعماك

فتشطت ليونيدة من خولها وقد داخلها بض الجراة والتفت وهي شائعة
 الالف وقالت أجل انا احبه وهو يحبني ولاشي يغل بيننا وما انت ولا انا بئذنين
 ان كانت خطبتنا قد جرت اولاً بدون ترد ولا مشاورة لاني كنت احبك محبة اخ ولم
 كن اعرف الحب لما خطبتني فما احسن ما جرى فالان مالك ولي فليس لي لا اصلح لك
 بروس والادانس كثيرات فاختر نفسك منهن من تحلو

فسكن جأشه وقال لها : اذن ماذا تحبين ان تصنعي

— على ما تحب يا عزيزي فاني اراك راضياً ان تتوكلي لاني لا اصلح لك زوجاً
 افضل ما بدا لك .. والحق اقول لك اني ان تزوجت بغير ان كنت ستترمون اكون
 د خالفت ميل قلبي وضميري وشرفي — وهل وعذك هو ...

نعم قال لي ... هو يحبني ... ارجوك يا عزيزي ان لا تشك في محبة واخلاصه
 — كيف لا اشك به وهو متزوج وله ابنتان

فستطت على الارض كأن جبلاً انتض عليها فخطمها فولولت وأعوت ولم
 د ان تصدق قتالت : هذا محال فلم يقل لي احد انه متأهل كلا هو اعزب

— اقسم لك بشرفي

— لم يشاهد احد امرأته ولو وجدت لك انت الامة زامركو تعرفها لا محالة

— ان امرأته من النساء الفاضلات اللاتي لا يجبن معاشره العالم فضلاً عن

انها في اكثر الايام مريضة وهي مقيمة في قصر عظيم في قرية سيميزقوب نيس وان
كنت على ذلك من ريب فهذا عنوان بيتها

فجاش الغضب في احشائها وارتدت على القعد وهي تشتم وتستنغيث وطلقت
نكي بكاء مرأ وقد تفتطرت مرارتها من اليأس ورغبة الانتقام

فتشق عليها متترفيو وجعل يمسكي لبقائها ثم امسك يدها واخذ يسليها
ويلاطفها ملاطفت لها لا كانت فتية مناديا ياها بالتصغير « ليوندا » ثم قال لها افرخي
روحك فاني لاأخذ بشأرك ولا شي يفصلك عني واوشكت الان ان اقتله
للم يصدني اخوك فأنتسيه ايضا واضربي له ميخاذا يرافيك فيه فانتم لك منه
واصفع عنك يا حبيبي — حاشي لا انتقم منه قط لانه

خدعني بكمه فاريد ان اكوي قلبه باعز شي لديه انتقم منه بمرأته

— لا حاجة الى الاشتغال بها فهي مريضة مدنفه يكفيا اقل كدر حتى يميتها

— اذن يجب الانتقام من ابنتيه ليتعلم كيف يخادع الناس

— اجل ننتقم منه بهما ولكن تعديني انك تسلمينه ليدي لالكرع في دمه واقع

مني القليل

نعم نعم هذا علي وسيرى مني العذاب الاليم جزاء شره الاليم

﴿ فصل ثالث ﴾

في امرأة سترمون

كانت هذيت امرأة الكنت سترمون من اجل واعقل نساء عصرها طلقه الحيا
طاهرة القلب محبة لزوجها حافظة لعهده الا انها كانت سقيمة والحصى ملازمة لها لا
تفارقها الا نادرا وكانت مع ذلك لا تهمل ترتيب منزلها والعناية براحة بعلها واولادها
كان لها ابنتان جومين وعمرها خمس سنوات واثنين وعمرها ثلاث وكانتا محط آمالها
ومناط تعزيتها

وكان الكنت سترمون يقضي معظم النهار وصحابة الليل في نيس منتظبا على

مهاد الملاذ والملاهي واللعب في جبل كركو وكانت امرأته تضره وتغض عنه
الطرف بالنظر الى توعك صحتها وعدم اقتدارها على مراقبته في متسلياته ولم تكن
لسلامة نيتها لتسيء الظن في امانه بل كانت تحذره عند ما يؤكد لها انه يترفع
عن الدنيا ويحسب عن المنكرات ولا يهوى من العادات سواها

وكان يستمرمون بعد خروجه من قصر ليونيدة قد قضى سائر الليل في تزل قريب
من المدينة ولم يرجع الى بيته الا ضحى اليوم التالي ولكن قبل رجوعه بصيف ساعة اقبل
على هنريث شقيقها البارون لوران ديمارت وكان من الاغنياء وكبار الصيارف مستدلاً
في المعيشة تافهاً على سترمون لانفاقه الدرهم جزافاً في سبيل الملاهي والمعاصي حتى انلف
ثروته وثروة امرأته البالغة ملبوئي فرك واخذ يسعى في الاستيلاء على ثلاثة ملايين
فرك كانت عمتها قد حبستها وقتاً على ابتئها الى حين بلوغهما اشدهما

فحبت هنريث بشقيقها ترحيباً واخذوا يتجاذبان اطراف الحديث حتى ادى بهما
الى زوجها فحصل يدد به مستقبلاً سوء سلوكه فامتعضت من هذا الكلام لان
حبها له كان قد اعمى بصرها عن عيوبه وابت ان تصدق ان زوجها يحب سواها
وانه يتردد على كثير من الاوانس في كان وينس وغيرها وظنت ان شقيقها انما يرمي
زوجها بالسوء لأرب في النفس فقلبت اليه ان يطوي هذا الحديث

فلم يرق في عين لوران تلوح اخته في حب بها بل اعان لها صريحاً انه رافح
الى هاوية الالهلاق لا محالة قد اضاع جميع مالها ولم يبق الا ربع المائة الملايين وهذا
يكاد لا يقوم ابودهما طوال السنة فان تراخت معه كماداتها تلفف هذا الريع صبرة
ولعب به ولعله يفقده بالتمار في ليلة واحدة فاني نفق في سائر ايام السنة

فانقبت هنريث الى هذا الانذار وادركت ان اخاعا انما هو مخلص لها اتصح
فسألت عن الطريقة المؤدية الى اصلاح الحال افاجلها لابد لذلك من احد امرين
إما الاقصال عنه واما حرماته واسطة الحكومة عن التصرف بها

وفيا لوران يقول لها هذا واذا يستمرمون قد اقبل وقد سح العبرة والاخرة قاطعاً
بلهجة الهزء قائلاً : « ما شاء الله ما شاء الله يا ابن العم العزير ما اجمع التعمية التي

تقدمها لامرأتي « ثم دخل واخذ يد امرأته فشمها وقدم لها طاقة بنفج واعتد لها
عن عدم رجوعه اليلة الباردة بأنه اطال السهر مع اصحابه الى نصف الليل فشق عليه
الرجوع الى منزله واوعز اليها ان تلبس ابتسها الثياب ليذهب بهما « معها الى التذة في
ارباح القرية

فلما انطلقت قال ستمومون لابن حمية ماجاء بك اليوم هل لتلقي الفتنة بيني وبين
اهلي حسب عادتك — لقد اعياني سوء تصرفك فضاق
صدري وعيل صبري وما دأبك الا ان تحدد شقيقي بجلالة اللسان وانا ادري ان
جل غايك وضع يدي على ثروة ابتيك لتلتهمها كما التهمت ثروة حليتك فبس
العمل انه غير حي برجل شريف فخير ستمومون من النيط وقفز من مكانه
رافعا يده كأنه يريد ان يضرب بها لوران اما هذا فتكف غير متأثر وقال له متباردا
هلم اضربني ولكن تأكد اني لا أكف البتة « دافعا عن مال اختي وابسها ما دمت
حيًا

فتضحك ستمومون وقال : اوشكت يا صاح ان تغضبي لكن فطنت الى ان المال
عندك هو الجوهر وما سواه الا عرض فعذرتك فارلى لك ان تعود الى « صرفك وتفكر في
« شد الثروة ولا تبذر الزوان في بيتي فلا اريد ان انقص عيش اهلي ولدي لاجل المال
— لا تظن اني انخدع لهرجة كلامك قد تحققت انه لم يبق لك من مال امرأتك
ولا درهم واحد وان كان في يدك شي فهو بما تحتدينه بالقوافض الفاحشة من
العيارة الاغرار الذين تطمعهم بالثلاثة الملايين المحبوسة وقسا على ابتيك مع ان
ليس لك « منها الا ربعها لا غير — أفلاجل هذا السبب كنت ترض
امرأتي على الانصال او فصل المال قايين دعواك بالشرف والشهامة وانت تفعل هذا خوف
ان اطالبك بال ابتي الذي تنفع به الان فتظن اني لم ادر انك تضايقت لما اخذت
من صندوق مصرفك المليونين الذين لنا « والان لا تدافع عن البسائي حبا باختك او
بابسها كما ترع بل حبا بنفع همك الخاص لا لك على جوف ازمة « الية قد توذي بك
الى الافلاس

فاشأز لوران واستكت اذنه فخرج غيره ودع وهو قول بالحقيقة انه مجزئته باتس
خفي ...

﴿ فصل رابع ﴾

﴿ آية الساسر ﴾

خرج سنقومون مع اهله وابنتيه يستنشقان النسيم اللطيف صبه
الرياض الضرة وكان يداعبن ويمازحن منشراح صدرًا حتى ان هنريت
به تلقاك وكذبت ما كان اخوها يتهمه به من حبه لغيرها
على انه انما تظاهر بهذا التجل والتلطف لتتطلي عليها الحيلة فلا ترويه
بسوء الظن فلما عاد الى البيت افطر ومالبث ان شرب القهوة حتى انطلق الى بيت
الاميرة زامركو للاجتماع بليونيدة فوجدها خلفت الميعاد لان الاميرة اخبرته انها لا
تأتي الا في المساء تلبس ثياب الساسر عندها وتذهب معه لحضور موكبها الحافل
تلك الليلة

فامتعض سنقومون الا انه على الامل يلتقي المساء فانطلق الى جبل كولو قتل
ساعات النهار بين اللاعبين فوجد هناك جس باركلاي الذي قطب في وجهه الا
انه ما عم ان يش وسلم عليه متبسما واخبره انه يذهب مع شقيقته مساء الى
نيس للاشتراك بمشهد الساسر فانتعشت نفسه وقبل الغروب بساعة ركب الى بيته
في سيمز حيث كانت تنتظره امرأته مشتاقة الى ان تراه لمشهد الساسر في نيس

فرحبت به وتذالت واعربت له عن رغبتها فعبس ولم يجيبها فاحلت عليه فيها
بحجة ان صحتها لا تمكنها ان تخرج من البيت لثلاث تنكس انتكاسا فتوسلت اليه لان الجو
صاف والهواء لطيف فلم يجب ان يكدرها بل قال لها بصوت شقوق حنون عليها : لا
تلعي علي فاني انا المسؤول بصحتك ومع ذلك هل يطاوعك قلبك ان تعارقي ابنتيك
مهجة فؤادك - اذن تبني عندنا هاته الليلة ففسر ونظرب

- ياما احلى هذا الاجتماع لكن لستني استطيع اليه سبيلا فاني وعدت بعض رفقائي
ان اعاد فوهم في موكب هاته الليلة فلكي لا اخاف الوعد اراجهم قايلا ثم اعود اليك

مريماً ثم اخذ يدها قبلها مودعاً وسار مسرعاً وقد دهمه الوقت فلما وصل الى يس
اشترى له بعض ثياب المساخر من الديباج القرمزي وهروى الى بيت الاسيرة فوجده
فارغاً لان اللابسين قد نقدهوه الى الموكب فلما امرأته التي اعاقته عن ذلك الاجتماع
المانوس وهرع الى المشهد موثقاً انه يشاهده فيه خالته له ومحط ركاب حبه

ففي هذه الاثناء وفد على بيت سنترمون رجل غريب الري وكانت هنري
قد خرجت من غرفة ابنتها اللتين نامتا بعد ان استعصتا على النوم قليلاً وفي قايها حسرة
وبلبال فسمعت قرع الباب فانذهلت ولم يكن عندها في البيت الا خادمة واحدة ا
سائر الخدم فكانوا قد اغلقتوا تلك الليلة مستأذين حسب عادة المرافع فتقدمت
بنفسها الى الباب فدفع اليها الساعي كتاباً مختماً وقال لها : « سلمتني احدى النساء
هذا الكتاب لادصلة اليك » ثم فواري عن صهرها حتى ظنت انه عاد الى حيث اتى
فوجدت مرتبة مما عسى ان تكون تحوى هذا الكتاب الذي فضت غلافه فاذا فيه :

« سيدي . ان زوجك هو الان في لغة المساخر مع مشرقته الجديدة »

« احدى النعيسات اللاني اغتررن به »

فتنهت الصعداء وصرخت بقلب قريح : لقد صدق اخي . . . هوذا بعلي
يخونني . . . تباً له من نذل لنيم ولكن سألحق به في الساعة وافضعه في بيعة المشهد
ثم استدعت الخادمة يوسين فالتفتا ثيابها وبينما كانت تربط الى وسطها المشد
تناولت خنجرأ رشكة فيه اتفا . ان بعض صدر العاشقين وهرولت نحو الطريق
وذهبت ماشية حتى صادفت عجلة فركبتها ولم حل الى المشهد الا بعد ساعة فوجدت
خاتماً كثيراً في هرج ومرج يطوفون بلباس غريبة الازياء لا يستطيع بها ان يميز الاخ
اخاه ولا الولد اباه فيثبت من النجاس ووجدت ان معانية زوجها ضرب من الحال
فجلست على مقعد هناك مكتئبة واذا بصوت متألم ارق اذنها ففرفت منه صوت زوجها
قامت لتري واذا بشباب لابس طيابساً قرمزياً وقع على مقربة منها يمج عجب الشور
من وجهه وقد سكنت الجلبة وتحولت اليه الابصار فندت منه وكشفت قبعة المساخر
عن وجهه فاذا هو بلها سنترمون وقد جرح جرحاً شديداً فاهتم وجهه وعلاه اصفرار الموت

﴿ فصل خامس ﴾

« أخذ بثارها »

كانت ليوبيدة راكبة في عجلة الاميرة زامركو تطوف في موكب المساخر واخوها الى جانبها في عجلة اخرى فسألت عن سنترمون فاجابها انه لم يصادفه في الحفلة ولعله لم يعرفه لسبب تنكره فسألت عن ابنته فاخبرها انها مُخطّقتا ولم يدر بالخطاطف احد ومن المستحيل ان يكشف موضعهما قهلت حينئذ وقالت الان انشرح صدري وبلغت متسناي حبذا الانتقام

وفيا كانا يتكلمان همسا اذ سكنت جلبة الاصوات واجتمع الحلق قرب مقعد قريب فاسرعا الى المكان فوجدا شابا جريما مغنى عليه مطروحا في حضن امرأة تبكي وتكلمه منادية اياه يا عزيزي سنترمون شلت بين طاعنك رد علي يا حبيبي فلما سمعا اسم سنترمون هبتا وقالت ليوبيدة متأسفة ومن الذي جرعه ياترى فاجابها اخوها « لعله احد اقرباء ابنة اذلها بعد ان وعدها بالزواج كما صنع معنا فانتقم منه فالحمد لله الذي اخذ بثارنا بغير يدنا »

— ومن هذه المرأة المضطجع في حضنها — اهلها احدى مشواته
فنفطر قلبها عليه غما كأنها نسيت كل ما عزمت عليه قبلا وقالت ليت جرعه غير
خطير شفاه الله

— صه فتبأ له من اثم ذهب مجرته آه لو كان منترفيو يسسك الان
— هيات ان يكون هنا فهو يشتغل في تفتيب الابتئين
وفي تلك الغضون جاء رئيس الشرطة واخذ يستقصي في البحث عن الواقعة والناس حول الجريج متألبن وينهم ابن حيه لوران يسلي هزيت ويسألها ان تعود الى البيت وهو
يعني بامر زوجها فأبّت وقالت له: كلالن افارقه فا كنت انت تعبه من قبل حتى اتقيناك
فالتفت رئيس الشرطة الى لوران وسأله عن نسب الجريج فاجاب « هو زوج
شقيقتي الكنت سنترمون تيل سميذ »

فشزده الشرطي وقال له: انت كنت منه لا جريج

فارتب لوران لهذا السؤال لأنه كان جباناً وتلعثم لسانه وقال له لا لا وانا
وجدته هنا بطريق الاتفاق

— ومن كان بصحبته يأتى — اظن ان شقيقتي كانت معه
قالت هنريت : لم اكن معه لأنه جاء وحده وقد لحقت به لاقش عنه واذا
به قد سقط بجانبى جريحاً

فدخل الرئيس الريب في المرأة واخبرها واخذ قلب فيها النظر ويستم ويقول « عجباً
كيف اتفق اجتماع الاخ وشقيقته صدقة في الدقة التي جرح فيها » ثم قال لها بلهجه
فلا شك اذا انكما شاهدتما القتال ولا نظننه بعيداً فيجب ان تساعداني على كشفه
فلم نكتث هنريت الى كلامه لانها كانت ملتهية بجريحها وهي تتنهد الصعداء
وقد جرحي حينئذ بجولة فتعل سترمون اليها فبعت اما لوران فارتبك ايضاً في الجواب
وقال « كيف اقدر ان اساعدك فلا اعرف شيئاً ولم ار الا خلعاً كثيراً محتشداً حول
الجريح » لكن لاحت منه التفاتة الى مكان الجريح فنظر خنجراً ملطخاً بدمه فتساوئه
ودفعه للرئيس دون ان يحق النظر فيه وقال هوذا شيء تستطيع ان تتخذ منه دليلاً ما
فاخذه الرئيس وجعل قلبه على نور المصباح فارتقصر لوران وامراته ارتعسا
قال لهما يظهر انكما عرفتما هذه الجارحة فلن هي

فاخذ منها القاق والاضطراب لانهما عرفا ان الخنجر انما هو لهنريت فقال له لوران
هذا السلاح ليس لنا قال الشرطي « اذن هو لامرأة سترمون لا محالة » وهب ليلحقها
لانها كانت تابعة لمجلة زوجها

فاستوقفة لوران وقال له : ان شقيقتي مصدورة مدفنة فارجوك ان شئت ان
تستعصي منها شيئاً ان تصنع ذلك بنساية التلطف والرعاية -

— راقها مع امرأتك الى بيتها في سيزوها انا ذاهب في اثركم
فلما ذهب لوران قال رئيس الشرطة لاعموانه ان في المسألة لسراً خفياً لا بد من
كشفه في هاته الليلة اما انتم فبشروا الميون في كل جانب وراقبوا كل حركة في المشهد
انا اسبغتكم الان الى سيزو

أما مركب المسافر فكان قد توقف بسبب النجاسة نحو نصف ساعة إلا أن الناس عادوا بعد أخذ الجريح إلى المرح والمرج واللعب والمزاح كأن القدر ما جرى وكان سترمون في العجلة مضى عليه وإلى جانبه الطبيب وكانت هنريت تماشي العجلة ويدها في يد زوجها المتجعدة وأخوها وامرأته يسيران وراء العجلة تهديرين من الحادثة القريبة ولاسيا من وجود خنجر هنريت ملطخاً بالدم

على أن الطبيب أوعز إلى هنريت بأن تسبق العجلة إلى القصر لئلا يهجم الحشم وترتب ما يلزم لراحة الجريح فأسرعت إلى البيت فوجدته خالياً خاوياً فدخلت إلى غرفة ابنتها فلم تجدتهما في سريرهما فنادتهما فلم يجيبها أحد فظننت أنهما مختبئتان على سبيل اللعب حسب عادتهما فاخذت تفتش في الزوايا وتحت الأسرة وبين الخزائن فلم تجد أحداً فاعولت وولولت ونادت يوستين فلم يكن لندائهما مجيب

وبينا هي على هذه الحال أدخل الجريح إلى غرفته فقال لها الطبيب هل كل شيء بمعد فاجابت ابن ابنتي هل شاهدتكما فاندش مع أخيها وامرأته وظنوا أن بها مساً من الجنون

فاستأنفت كلامها قالت : أواه ابن الابنتان لقد وجدت سريرهما فارغين ارجوك يا أخي لوران أن تردهما لي سريعاً

فلم يشك لوران باختلالها فأوعز إلى امرأته بتسكين اضطرابها ريثما يهيم بالجريح وكان منتوون قد امتنع حتى أمسى كالأموات وفارقته قوته لوفرة الدم الذي جرى من جرحه فعالجها الطبيب عما تيسر تضييداً لجرحه وتقوية لجسمه أما لوران فدخل إلى غرفة الابنتين وعاد بعد هنية مكمد الوجه فاخذ يفتش عنهما فوجد اختها وامرأته تحاصمان يوستين الخادمة وهي تذرف الدموع وتصعد الزفراء ولسانها معتقل لا يلفظ شيئاً فقال لهما ابكما ريقها ودعاها تكفكف عنها الدمع ثم سألهما متلطفان عما تعلم من امر الابنتين

فاخذت الخادمة تنقص الخبر والدمع يتعجر من عينيها سيولاً قالت : بعد أن راقنت سيدي بعض خطي في الطريق حتى ركبت العجلة رجعت على الفور فالتقيت

بعض الجيران فحدثتهم قليلاً ثم دخلت القصر وتفتت الابنتين فلم اجدهما في سريرهما فقلقت وفشت كل الغرف فلم اعثر عليهما ولا ازال حتى الساعة اناش باكية ناجة . فصرخت هنريت : ويل لك يا لكاع ورفعت يدها لتنصيرها الا ان الطون قنت قلبها فانطرحت على المتكأ تسعل سعالاً شديداً ثم تنهدت منادية ابتسها وقالت ويلاه لقد خطفوا حشاشة قلبي يريدون موتي . ثم اغمي عليها

﴿ فصل سادس ﴾

في الخنجر الاعلاي

نقلت هنريت الى غرفتها لا تعي شيئاً ولبثت نحو عشر دقائق لا تبدي حراكاً حتى خيل انها ماتت فاخذ الطبيب يعالجها واخوها وامرأته يفركان يديها ورجليها المتجلدين

وفي هذه الفوضى عاد الحدام سكارى مترنحي الاعطاف يننون طرباً فلما بلغهم ما جرى انقلب فرحهم سكرباً واقشروا في ضواحي القوية ينتشون عن الابنتين ثم جاء رئيس الشرطة فسمع الجيران على الابواب يتداولون هذه القصة فاتخذ منها ما يريد ظنة بان الحريم ليس بعيداً لان بعضهم كان يقول « ان سنترمون الهائم في المصافي الساعى ورا . بنات الهوى كان دائماً مظنة هاته التهلكة جزاء فعله » وقالت احدى الجارات التي كلمتها يوستين « لا يبعد ان هنريت لا رأت بعلمها مع احدى معشوقاته بادرته بضربة خنجر انتقاماً »

فسلم رئيس الشرطة بمثل هذه الظنون التريسة للتصديق ودخل القصر وكانت هنريت قد افاقت من اغماها وهي تصرخ « ابن زوجي اين اولادي » فلم عليها وقال : اطسني بالآيتها السيدة قد اتخذت جميع الوسائل المؤدية الى كشف المجرم قاطعةً هنريت بصوت خنقة الامسى اه ياسيدي ما حاجتنا الان الى الرجل الذي طعن زوجي لان امساكه لا يخفف شيئاً من بلاوي . قد خطفوا ابنتي فارجوك ان تبث جميع رجالك في كل الانحاء لكشفهما واقتبض على الحلقة الاشرار

فأذهش رئيس الشرطة من لهبتها وطن باديء يده لنها تخطط او تهذي عمداً
 لكن لما تحقق قد الابنتين اخذته الحيرة وتاه في يدها الفنون ثم امر معاونه ان يبحث
 بالشرطة الى المدن والقرى المجاورة فاستأنفت هنريت التوسل اليه ملتزمة ان يبادر في
 البحث والتنقيب لان الزمان ثمين ثم اخذت تين له وصف كل من اجتياها جرمين واملين
 فطلب الرئيس خاطرهما ووعدهما يقرب اكتشافهما ثم استنطق الخادمة
 يوستين فلم يستفد شيئاً جديداً فطلبت هنريت ان ترافق نفسها رجال الدرك في
 التنقيب فنعما بحجة ان بقاءها في البيت لا بد منه للعناية بعملها ولاجراء بعض التحقيق
 والتحري فلما طرقت اخذها اسم زوجها انتفضت وكانت قد سلت ذكره وقامت الى غرفته
 واخذت تندب بأكية فاستنصتها الطيب وانباها ان الحصى قد قارنته واه قائم
 مستريح ويرجي ان شفائه لا يكون بعيداً

فشكرت فضل الطيب وطلعت تدرج المبرات فاشفق ان يقوم الليل فيراها تبكي
 فقال لها اننا مسترغون قصارى الجهد في معالجته لكن يجب ان يسود الهدوء في
 غرفته فاذهي الآن ومضى افاق دعوتك

فلما خرجت دخل رئيس الشرطة الى غرفة الليل وسأل الطيب فاجابه ان
 جرحه ثخين خطير فماد وهو يضرب اخماساً لاسداس ويرى ان دون اجراء التحقيق مشقة
 كبيرة في حين انه لا يرى منها مناصاً لان الاستنطاق الاول اثر وقوع الجرم يكون في
 الغالب اقع منه بعد وكان يظن ان هنريت يدعى في جرح زوجها انتقاماً منه لحياته لكن
 أشكل عليه تفسير اختفاء الابنتين ما لم تكن ثمت جرعة جديدة مفترقة عن الاولى فسمد
 الى هنريت لاستنطاقها وقال لها هل يمكنك ان تخبرني عن بعض اسئلة لابد لي من
 استجلائها قالت تراني مستعدة لكل مايرول الى كشف الاشياء سالي ولدي

— ما حاجتنا ان نستقصي قط عن خلفة الابنتين بل ايضاً عن ذلك الشقي طاعن زوجك
 وانت اقدر الجميع على معاونة معرفته لانه لابد ان يكون من ذوك او بمن هم
 حواليك واني معذور اذا بالت في الاستقصاء اتقاً لواجبات مأموري لان الحكومة
 لا يمكنها الا ان تأخذ بئارك فهوذا الحبحم الذي ضرب به بلك انظري اليه فهو على

ما اظن يخصك ولا ريب في ان احد المتقرين ملك قد اختلسه قولي لي من تهمين
فاضطربت هنريت ومدت يدها الى المشد ولا لم تجد فيه شيئاً صاحت : كلاً
من المستحيل ان يكون زوجي قد طعن بهذا الحنجر . هذا غير ممكن لان الحنجر نفسه
كان معي - انت تقرين ان هذا الحنجر كان

ملك وبما ان احاك قد رفعه من تحت الجريح مطيحاً بالدم فاذا ...

فصرخت صرخة هائلة كان بهاجنة فاضطرب رئيس الشرطة ان يؤجل
الاستئطاق الى الند واستأفنها بالانصراف فأبت وترجته ان يتم البحث لان الوقت
ثمين وبدون اقامه يتعذر امتناء اثر المجرمين ثم قالت له « قد داخلك بعض الريب لا
علمت ان الحنجر مخفي ولكن قل لي بحياتك من انباك انه يخصني »

- هو اخوك فشزرت اخاها بين نافذة وقالت هذا
الحنجر كان امس عندي ولا خوجت من منزلي اثر تلك التهمة كتبت فاقدة الرشده
فاخذته على غير هدى ولا كنت في المشهد ووقع بعلي امامي انخيت فوفاً فسقط الحنجر
- ارجوك ان تهديني ما هذه التهمة التي اشترت اليها

فحزنت هنريت لانها امست مضطربة ان تقر امام اخيها بامر كانت تريد ان
تحفيه عنه بشأن خيانة زوجها لها ثلاثاً يشتسها وقالت متأوهة : لقد آذيتني بالوردان
لانك كنت سبب سوء ظني بعلي ولولاك لا كنت اكرث الى تلك التهمة بل كنت
بقيت في قصري ولم يتجاسر احد على سلب ابنتي ولا كنت التزم الآن ان اشرح سبب
حملي هذا الحنجر

فحزن عليها رئيس الشرطة وقام بنصرف واستحسن لوردان عمله وقال لها حسبك الآن
لان العياء قد اخذ منك كل مأخذ فانا افيد بمسائر الاعلامات اللازمة
- كلاً كلاً فانت لاتعرف شيئاً بل ربما قلت له اشياء خالية من الحقيقة قد

اتهمت زوجي عدة تهم وانت تبغضه اعتباراً
فرفع لوردان عينيه الى السماء صامراً ولم يجزواً خوف ان يزيد في طين حزنه بله اما
هنريت فالتفت الى رئيس الشرطة وقالت : « قد كذب الذين اتهموا بعلي باه عاشق

ولمان لانه كان يحبني ويحب اولادي لكنه كان يود التسلي والمعاشرة والتودد على الاحباب لانني لم اكن استطيع ان اراقه دائماً بسبب توعك صحي « واندقت كالسيل في مثل هذا الحديث قاطعها رئيس الشرطة وقال لها : « انا وهذا الكلام بما انت تريدين الجواب على استاقي فاخبريني عن التهمة التي اشترت اليها

— فقالت وصاني هذا المساء ككاتب مخنوم هاك قرأه علانية وما كاد يتم قراءة حتى استأنفت هنريت تدافع عن زوجها المتهم بالعشق ظلاً

قال لها الرئيس : « اما انت فصدقت هذه التهمة وتسلحت بهذا الحنجر قبل انطلاقك — بلى لسوء الحظ ولكن لم اتسلح بلاضرة في حين كان ينبغي ولم يكدرني بشيء ثم اتى عليها عدة اسئلة تبين له منها انها بريئة من هاته الفعلة الشنعاء على انها في خلال اجوبتها كانت دون عمد توجه التهمة الى اخيها الذي لم تجد امامها غيره حين سقط بملها جريحاً .

ثم اشتد سعالها فادماً لوران الى رئيس الشرطة ان يكف عن استنساخها وقام مع امرأته فاخذ يد هنريت الى غرفتها لتستريح وعاد لوران الى الرئيس الذي سكب عليه وابل الاسئلة بشأن اخته وبعلاها وميراثها وميراث الابنتين وكان يستشف من وراء هذا التدقيق ان الرئيس متهم له بان له بهذه الحادثة يداً فاجبه لوران وقد جاش في صدره الغضب وقال له « الملك تتهجنني بشيء »

— حاشي ولكن واجباتي تقتضي مني مزيد الاستقصاء فاودعك الآن الى الفندق ثم انطلق وبقي لوران وحده متأثراً من هاته النتيجة الوحشية وقال في نفسه بالحقيقة ان هذا الشرطي مجنون لامحالة ولبث لوران هنية مضطرب البال

حتى اقبلت امرأته فظاھر بالاقتسام وسألها عن اخته فاخبرته بانها تامت وعن الجرم فانباته بان الطبيب . لازم له لا يفارقه ولم تكن تحب سنترمون لانه كثيراً ما كان يسخر بزوجهما لخالفته لسيرة فكانت شامتة به فرحة بمصابه

وبعد ان تبادل الزوجان ارق عواطف الوداد افتقرا للرقاد وساد اليأس والغم في ذلك الدار بعد ان كان بلبل الهناء . خنياً فيها ليل نهار

﴿ فصل سابع ﴾

في وفاة هنريت

باتت ليونيدة تلك الليلة في بيت الاميرة زامركو التي استيقظت باكراً على خلاف عاداتها وطلبت الجرائد الصباحية لتطالع اخبار البارحة فوجدتها طامحة بالانفاصيل عن مقتل سنترمون ولكن شدة ما كان اندهالها لا وجدتها متفقة كلها على ان لم يرحل امرأة واولاداً وهي كانت تظنه اعزب ولولا ذلك لا كانت تأذن له بمباشرة الفتيات زائراتها حتى انها لا سمعت البعض بالامس يتحدثون ان امرأته هي التي طمته غيرة عليه كذبهم تكديماً

وكانت الاميرة تغفل ان سنترمون باء على هيامه بليونيدة سيتزوجها وكثيراً ما كانت تتمرر له بعض هنوات اما باقرادهما واما لتكثير صلوات الحب مما فاستدعت ليونيدة لتعزياً بقدر مطمح آمالها وكانت تحالها حزينه كثية فلما اقبلت ورأتها تنبسم تعجبت من رصانتها وعدم اكترائها الى ما ابدي من الندر والحائنة وطففت تطلب له عن ذلك عنراً بسبب سقم امرأته التي لم تكن تستطيع ان ترضيه

اما ليونيدة فلبثت ازاء ذلك الكلام متعوزة متجاهلة كأن لم يكن شيء ثم استأذنت ودخلت غرفتها وانعازحت على سريره وقد فاض قلبها كآبة ندمت على ما فرط منها ولا سيما بخطف الابنتين وكادت تبوح بالسر لو لم تشاهد اخاها متمشياً نحوها متبجراً غيها بالبشر والايناس قابله بالتطبيب والتميس فشزرها شزرة تقطيع لا قلاها وقال لها انت كنت الامرة بكل هذا واراك الان تنكصين متراجعة

فاشد قلب الفتاة جفاء وعدلت عن شقتها واقبلت على اخيها تلاطفه فسألته عن منترفيو فاخبرها باه بعد ان فعل ما فعل سافر آمناً ولم يدر به احد فحائتها حينئذ احدى عواطف الحب الذي اضره سنترمون في فؤادها فقالت لاهيها دون تروى هل تغفل انك يموت يا ضيعة شبابه فاستهجن منها جس هذا الكلام ورددها من مثله بقوله « لو كان منترفيو يسلمك الان . . . »

وميناها بالحديث واذا بالامية زامركو فتقدم كلاهما لللقاها فحاطبتهما فجاجة
البارحة التي ملأت المدينة اخبارها وكانت. وضوح تحدث الصوم
وقد انطلق الى قصر سيز جمع فغير من الكبار والسوقة ليستطلعوا اخبار تلك
القاجة النادرة فذهبت ليونيدة مع اخيها بين القوم الذين احتشدوا حول القصر وعلى
ابوابه مئات والوفاء وكانت هنيت ترصد النوافذ منتقلة منها الى الشرفات المطلية على
الطرق والممرات تترقب في عينها وهي تنتظر للبشرى بملتي الابنتين ولكن عبثاً ولم
يجدها البكاء شيئاً فكانت تردد هذه العبارة واحسرتها قد فقدتهما ولا رجاء
بعودتهما ولا عيني تراهما

اما الجريج فكان في بحران الحمى يذني كالحجائين ولم يلق محبته الا ذكر
التمار فكان لسانه يردد الفاظ اللب كما لو كان مع رفيقه في نادي جبل كولو وكان
رئيس الشرطة والمستطلي والمدعي المسمي قد حضروا لاستنطاقه منذ الصباح على انهم
وجده فاقده الرشد ولم يجهم بشيء عسايلون ولكن حانت من الليل التفاتة الى
ابن حميه لوران فقال له غاضباً « الا تحب ان تقف هنا بعد ان فعلت ما فعلت »
قال هذا ومد يده ليطرده فالتفت جميع ارباب الحكومة الى لوران فوجدوا
الاضطراب قد اخذ منه كل مأخذ حتى لم يستطع ان ينطق بكلمة فخرج مغني الرأس
مرتجفاً كاسف البال

فاستشف هؤلاء من اشارة الليل ما أيد بعض الفنون لكنهم لم يستطيعوا
ان يستطلعوا منه شيئاً اخر لانه عاد الى الهذيان فتركوه وجاؤوا الى لوران ليستنطقوه
فخيز من الفيظ وقال لهم ما عندي ولا كلمة واحدة اضيفها الى ما قلت رئيس
الشرطة سابقاً ثم تركهم ومضى يتفقد احوال اخته التي امست في حال يرثى لها
من الهزال وقد قولها البلبال وكادت تموت من شدة الالام

واراد لوران مع قريبته ان يسلي شقيقته المرزوة لكنها ما كانت لتعزى ولم تقترع عن
الاستفهام عن ابنتيه واما زوجها فكان غارقاً في بحران الهذيان لا ينطق الا بالفاظ
التمار وكانت عيناه المتوحشان لا تبصران الا اللامعين ولا تغيزان احداً من اهله واصحابه

وفيا كانت هنريت تثدب وتتأوه وإذا بزوجها يناديها باسمها تهتزت من موضعها ولكن خانتها قواها فسقطت على الحضيض ثم ما لبثت ان نهضت ولما وقع بصره عليها سألمها تلهاً اين البتان العزيزتان اين مهجة القلب جرمين واملين
 فتزل على فؤادها هذا الكلام كالصاعقة وقالت تباً لي ما كان اجهاني برك البيت
 مجالاً للصوم كيف اجابته عن ينك الوديعتين العزيزتين أو أه يارني ردهما لي وارث لبواي
 قالت هذا رجعت على قدميه لتعرف أنه بذنبه وتسأله العفو عن تهاونها الا ان اخاها
 انهمضها ومنعها عن انبائه بالقصة خوف اشتداد الداء عليه
 فتهدت الصمدا وقالت : هو يطلب ابنتيه فاني آتيه بهما وماذا اجابه آه الموت
 عندي احلى من بقاء الوردتين واقبر لدي ارحب من اقصر بدون الزهرتين وامصباتاه
 هل من يد علي ما قدت يدي آه واولدي وافلذة كبدي
 هذه آخر عبارة طلقت بها ثم لوت عنقها واتكأت على صدر الحيسا وفاضت
 روحها كضحية زكية في سبيل شطط زوجها عن محبة الهدى قاتل الله عبيد الهوى

﴿ فصل ثامن ﴾

اين الابنتان

كان مزيو ذا نيخت كبير مزخرف بكبة في الاسفار ايان شاء على شاكلا
 اخوانه الامير كان الاغنياء وعليه نوتيان وخادم وكل من الاولين قصة غريبة و
 يصلا الى النيخت الا افلاتا من الحكومة فراداً من عتايها لا اتيا من المنكرات فحماهم
 منترفيو وفيهما من ابصار الحكومة مطوقاً عنقهما بقلادة من الجميل اثقل من الجبال
 حتى امسياه كالعبيد واذل الرجال وكان في كل آن طوع اشارته ولو كلفها الاستحيل
 فلم يكن يقتصر في استخذامها في اغراضه وقضاء مآربه
 اما الاول فاسم غريك يوك وكان اميريكي الحشد سانكا سبيل القبايح شرر
 الاخلاق يضرب كل يوم امرأته وابنه ويأزع الجيران ويخاصم الاقارب والاباء
 حتى شتم منه الناس ذات يوم اذ جاء البيت سكران فحمل ابنة العنبل وضرب

امه حتى كاد يتأهما معاً فحرقوا عليه ووثبوا وثة الاسود ليقتلوه انتقاماً على حسب
العوائد الاميريكية التي لا تزال حتى اليوم جارية عندهم بحرق القساون وبوجها كل
امرء يمتاز بحجم فظيع يصنعه على مرأى من الناس يجتمعون عليه فيقتلونه بلا محاسبة
زاعمين انهم بذلك يقومون مقام الطبيعة التي تكره حياة مثل هؤلاء الرجال المدنسين
اسم الانسانية فيزولونهم منزلة الوحوش الضارية التي يجب على كل فرد ان يسعى
في اهلاكها انتفاذاً للالة من شرها

اما غريك فلما رأى ان ساعته قد دنت وانه هالك لا محالة فر من وجه القوم
فتأثره حتى وصل الى البحر فقتل فيه وغاص في قعره فاشتد لعظمهم وارتفعت جلبتهم
وقالوا فليقتل الشقي فليست القاتل وظلوا ساعة ينتظرون خروجه فلم يظهر فقالوا لقد
غرق لا قامت له قائمة وعادوا مقتنعين بموته غرقاً ولكن كانوا يودون لو امسكوه وضربوه
كل منهم ضربة ليشفى منه التليل

اما غريك فلما سقط الى العمق ظل سابحاً تحت الماء حتى وصل الى نحت منترفيو
الراسي يومئذ في ثغر نيورك فعبر من تحته وتعلق بمراسيه فاجسره منترفيو واخذته عليه
الشقة فرفعه الى النحت وأمنه في حماه واتخذته في خدمته واحياه فاصبح له كالأمة
لا يبغى الا هواه

اما البحري الثاني فكان اسمه زفرين من جبال يريني الفاصلة بين فرنسا واسبانيا
وكان من جنود البحرية الفرنسية في اسطول البحر المتوسط فتنازع أبوه مع احد ضباط سفينه
وبوجهه ولا دعي امام مجلس حربي فر من الجندية واستقر مختبئاً في البحر عدة ساعات
حتى صادف النحت فاستجار به فاجاره منترفيو وضحه الى خدمته فكان مديوناً لفضله
ففي صباح يوم استدعى منترفيو غريك برك واخذ يذكره بماضيه وبما له عليه من
الايادي البيضاء ويلمح له انه لا تزال روحه في يده كما مصفور يقبضها في اي يوم شاء
بجرد الاباحة باسمه وظل يعدد له مثل هذه الامور حتى صمرت نفسه وامسى لا
يهاب في سبيله الردى وقال له سل ايها المولى قسطاً ولو فوق المستطاع
فلما آتس منه منترفيو هاته الطاعة العمياء قال لست بملكك حملاً ثقيلاً ولا

خطراً ولكن اكتفي منك ان تأتمر بأمرك ملازماً جانب الكتمان لكسل ما ترى منه
الان واللبس ثياب تامر اعدتها لك وعد سرياً
وينا النوتي يلبس الثوب الجديد تزل مولاه الى غرفة في يمنة ورجع وفي يده صرة
كبيرة فاندش غريك وقال « صرة متحركة » فاجابه منقرفو متبسماً : أجل لان الاولاد
يتحركون ولو نائمين

— يا لله في يدك ولدٌ فأني اتى وابن من هو وهل هو ذكر ام انثى
— هذا لا يعنيك بل حسبك ان تعلم ان في يدي بنية اريد ان اكلفك بشأنها
امراً يسيراً فاصغ لاصري
— عنوا ياسيدي لو شئت ان اجلس باعد البحارة او انقب احد البيوت كما فعلت
في بيت باميركا لما امتنع صاحبه ان يودي لك مالك او امرتي باي شيء كان لفعلت
حبا وكرامة ولكن بخصوص الاولاد لا ادخل فارجوك ان تصفي
فلم يبا منقرفو بهذا الكلام بل وضع البنية على المتضدة واخرج من جيبه كيساً
فيه مئة ليرة وقال له دونك هذا الكيس وسافر اليوم من جنوا الى ميلان ومنها الى
بلجكا ولندن ماراً بسفيرة والمانيا

— كل هذا السفر لاجل هذه الابنة الصغيرة — اريد ان تهتم بها غاية الاهتمام
— وان طلبت اباه او امها فاذا اصنع — قل لها انك ذاهب بها اليها
— هذا شيء سهل
— لا اسهل منه ولكن يجب ان تعلم ان الفتية اذا استيقظت انذهلت فتلطف
بها ولا تدعها تسيء بك الظن وان صاحت فاعطها حبة من هذه الحلويات فتنام سرياً
وهند وصولك الى لندن اتزل في الحلق الذي اعطيك عنوانه وانتظر مني امراً جديداً
فسافر غريك مع البنية الى لندن على الطائر الميون

﴿ فصل تاسم ﴾

البت الثانية

ينما كان منقرفو مشتتلاً بتثبيت البنت الصغرى مع غريك بورك كان النوتي زفرير

يماقر الحمرة في جنوا ويتقلب في حمأة الملاذ حتى دنا نصف الليل فعاد الى البيت تحت
جنح الظلام يتأيل من السكر وقد خاف من توبيخ مولاه فاسرع الى غرفة غريك فوجدها
فارقة فناداه فلم يجبه فأنبسط لانه سبقه وقال في نفسه « لا يزال ذلك الشقي ملتجئاً
بمغازلة الحسان ومعاورة بنت الحسان ولكن سيأتى جزاء اجهانه شديداً

وفيا كان ينتش عنه وجد زجاجة من الحمر لصاحب الخمت على المنضدة فارقة
فقال في نفسه لا شك ان ذلك الشقي قدسرقها من غرفة سيده وبعد ان ملأ منها
رأسه اركن الى الفرار فاخذ الزجاجة واعادها الى غرفة مولاه التي قصها بطريقة سرية كان
قد تعلمها وكان القمر في اول اشراقه وما كاد يضع الزجاجة الا سمع صوتاً ينادي
من وسط الغرفة « يا امام يا امام »

فارتب زفرين لانه ظن ان هنالك ضرباً من الجن ولم يبد حراكاً فدنأ من
مكان الصوت واذا فتية تفرك عينيها فلما لحته ارتفعت واستغاثت وامامه وابتسامة
فسكن اضطرابه واخذ يدها ولثما وقالت له اين امي
— لا اعلم اين امك وامسا ابوك فهو ...

— هل ياتي الان

— عما قريب يأتي لانه خرج يتتبع على ظهر السفينة

— وهل لي اني اتي الى هنا

— نعم بل انت هنا عنده

— كان احب الي ان ابقى في سريري الزاعم الوفي في البيت اين والدتي ادع لي
امي . اين اختي ليلى . . . فتلعثم لسان زفرين ولم يجز جواباً لكنه لثم يد الفتاة ثاية
واذا بصوت مولاه ينتهره فاخذته الرجفة وجعل يتنذر عن وجوده في تلك الغرفة
بسبب زجاجة الحمر فامر به بالصعود الى سطح الخمت فصعد وحينئذ تقدم متدفيو
الى البنية وقال لها « عما قليل نصل الى امك فهي التي كلقتني ان اراهاك في هذا
السفر الطويل فنامي يا عزيزتي » ثم وضع في حلقها حبة من الحلاوى المنومة فاستغرقت
في الرقاد

قلبا صعد متغفرو الى سطح المركب اخذ زفرين يعبىء نفسه معتذرا عن هفوته
قال له مولاه صه فاین غريك

— لا ادري وانا بسببه تحملت الملام ولا رجعت لم اشاهده
— لقد تزل الى البر ليقضي وطره من القصف واللهم كل الليل وظن انه اذا عاد
عند الفجر لا اعلم به ولكن لاوسننه قسايا وتأديا

واراد منسقرقو بهذا الكلام ان يوجه على زفرين كي لا يداخله ريب في تنصيب
غريك ولا يخامر ظن بانه سافر بامرهم قال له متلفعا : الا تعلم يلزفرين اني لاجلك
اقلعت من مرفا نيس بسة وجبا بك تركت اعياد المرافع فيها

فبهت زفرين متحيرا وابث صامتا فاستأنف متغفرو الكلام قال : نعم لاجلك
فعلت كل هذا قد بلغني ان الاسطول الفرنسي قادم الى نيس وفيه السفينة
« دفتاسيون » التي كنت فيها بجريا فخشيت ان يروك بجارتها فتلقى قدابا اليها

فانتقم وجه زفرين انتقاما وذرفت دموعه غفورا قال له مولاه لا تحف
فاني استدركت الامر وجئت باليخت الى مياه جنوا حيث تكون امنا حتى
اذا كلمتك يوما بامر ما وجدتك عبدا مطيعا فجأ زفرين على قدميه وطلق يقبل
يديه ويقول له اني لك اطوع من بنائك فرني قطع ولو بذلت في سبيل خدمتك
روحى فدى

فانهض متغفرو وقال له اذا كلمتك بشيء فلا اسألك ما لا يستطيع ولكن
اخاف من لسائك المهدار ان يوح بما اوحى اليك من الاسرار
— لا تحف يا مولاي فاني أحفظ للسرم كل بشر فأقسم لك بشرف البحارة انا
لو قطع لساني لما بحت بكلمة

— بارك الله فيك فاصغ لما انيئك : ان ام هذه الفتية امرأة متروجة وقد ظن بعلها
الى اليوم انها ابنة — في حين انها بالحقيقة ابنتك

— انت قلت ولكن لا انكشف النظام اسرعت في تنصيبها خوفا عليها وعلى امه
— حسنا فعلت ولكن ما انت صانع بها — اريد ان اريها في بلد غريب واحب

ان افوض اليك ايصالها الى المدرسة — الى اين اسافريها
 — تتبعني الى حيث اذهب دون ان تنبس بكلمة بشأنها
 — لا يجب ان يعلم بهذه المسألة الا فريك ولا الخادم — كلا ولا احد في الدنيا
 سواك فانت وحدك تعرف ان هذه هي ابنتي فاستغ ذفرين مقتغراً بانته صار
 محطقة مولاه وقال له هاءنذا مستعد للامرفتي نسافر — الان الان فاذهب
 والبس حلة جديدة اشترتها لك وتلبية لامر منترفيو اطلق ذفرين لتغيير
 لباسه بشياپ ظيفة كلباس القجار فحمل منترفيو يتأمل فطاعة الاسم الذي اتاه بظلم
 هاتين القتاين البارتين لكن ما زال جمر الانتقام متقدماً في صدره مصراً فيه ذكر
 قسدي سنقرمون على خطيبته فقال لقد سلبني الزهرة الاولى من بستان حبيبتي فلا بدع اذا
 سلبت زهرتيه فهو مستاهل لهذا السلب وبالعدل جوزي بخطف ابنتيه
 وعند الفجر دفع منترفيو الفتاة ملفوفة الى ذفرين واوصاه بان يولي وجهها حتى
 لا يدري احد بما يحمل وانطلقا مسرعين فلم يشاهدا في الطريق الا نغراً يسيراً من العمة
 ولا وصلا الى محطة السكة الحديدية اصابهم منذور عجة بهتها لوكوب ذفرين والبنت
 وركب في عجة اخرى ملاصقة لها بعد ان دفع اليه صرة مملأى من الخبز واللحم المسلوق
 والفواكه والحلويات
 فلما سار القطار ارتجت العجلات ورن دويها في اذن البنت فاستيقظت ونادت امها
 ثم نظرت الى وجه ذفرين فارادت واستغاثت باسمها تكراراً فلم يكن مجيب الا ان ذفرين
 تبسم في وجهها ومد يده ليداعبها فغرت منه وقفزت الى صدر العجة وقالت له اياك
 وان تمسني مرة اخرى فاني امي اريد امي

﴿ فصل عاشر ﴾

في اخفاء البنت الكبرى

لا رأى ذفرين نفور البنت منه حزن وطلق يبكي كالاولاد رغماً عنه مع انه
 نفسى عمره في المصايب وتجمش الاهوال ولم تجد عينه بقطرة واحدة ثم تقدم الى الفتاة

ذليلاً وجثا امامها ولم يدها فلم تمنعه بل مالت اليه وقالت « انت مكلف بواجبي
في هذا السفر » - نعم لان والدتك اضلرت ان

تسافر سفراً طويلاً فلم تستطع ان تراكه وقد حبي بك الي لكي اعطني بك عناية
المرقيات بالاولاد وقد اتت هذه العسارة من زفرين رمية من غير رام لان امها
كانت وتشتد قد رحلت الى الابدية

وكان بعد ان اتم عبارته قد ضحك فضحك هي ايضاً وسألته هل السفر بعيد ومتى
تشاهد امها فاجابها عن الحوال الاول بالاجاب وعن الثاني بالارتباب ثم سألتها
عن امها فحار في الجواب الا انه دفناً لكثرة اسئلتها الهاها بتع صرة المأكولات ولا
أبصرت اقراص الحلوى ابتعت وطقت تأكل لتهمة اياها التهاماً

وقضوا ذلك اليوم واليوم التالي في السكة الحديدية في بلاد ايطاليا وفي اليوم
الثالث وصلوا الى المانيا فتركوا في احدى الفنادق وجعلت يومين في غرفة وحدها
فابت الا ان ينام زفرين في غرفتها وعند الصباح قامت اليه وعاقته كانه والدها وقد
خافت ان يؤذيها احد فتبقى بلا نصير فلم تترقب لها من زفرين الذي سر من والفته لها ولا
سألته الحباية حلف لها انه لن يئالها اذى مادام حياً فسكنت الى يمينه وسلت ذكر
امها وايها ولا سيما لما رأت ان السفر طال اربعة ايام متوالية لان منترقبو لم يكن يسافر في
الخطوط انكبيرة في المانيا بل في الفروع الضيقة حيث لا يركب الا الفلاحون الذين يجهلون
اللغة الفرنسية حتى اذا تشكت البنت او قامت بشيء لم تصادف من يفهمها

وفي اليوم الخامس وصلوا الى انفرس في باجكا فسافروا منها الى لندن ولا وصلوها
قال منترقبو لزفرين هنا نخط ركابنا وقد سررت من نصرتك وضطتتك كل السرور
فانثني عليك وساجازيك خير جزاء ولم يبق لاناام مهمتك هذه الا شغل يسير تقضيه
هذا النهار واعلم ان لك عند الله اجراً كبيراً لانك ساعدتني على تخليص هذه البنت من
الموت فيجب ان لا ترى بلاد فرنسا كل عمرها بل تعيش وتوت في انكلترة . وهنا
امرأة جليلة تسمي بتريسة اللطاء والايام نفوضها اليها فخذ الان التي فرتك اجرة السنة
الاولى سلفاً وادفعها للسيدة بروتون واخذها ان الفتاة يتيمة من الايوين وتحقيقاً لذلك

سألبسها السواد دلالة على الحداد

فادرك النوتي من خلال هذا الكلام ان معلمه يموت عليه الحقيقة وان الفتاة ليست
بأبنة بني كما يدعي وانما هي ضحية طمع وانتقام فموت في نفسه ان يرحاها ايها
ذهب ويري ظالمها بين ساهرة حتى اذا تهيأت له الفرصة انقذها من الاسر في مستقبل
الايام

﴿ فصل حادي عشر ﴾

تداير منتفيو

لا خرج زفرين من النرفة ليأخذ جرمين الى السيدة برمتون قد منتفيو يسأل
والمهاجس تتخاطف افكاره وهوامل الشقة على الابنتين تتنازع فواده حتى كاد يعمل
عن عزمه بتضييعها وفكر في ردها الى نيس وتركها في الطريق ليلاً قهتديان الى ابريسما
ويتخاص من وخزات الضمير لكن خاف ان يغضب حبيبه ليونيدة بخالفة امرها وهي
القابضة على زمام قلبه وعقله فلا يسه الا الرضوخ لامرها
ولدى افتكاره بليونيدة اهاج ذكرها كين حقه على منتفمون الذين جنى من
حديثها بالاسكورة فردد قوله السابق قد سلبي الزهرة الاولى فن العدل ان
اسلبه زهرتيه

وكان يعرف ان جرمين المرسلة الى السيدة برمتون انما هي مسوقة الى الموت
لان هذه الانكليزية كانت قد اتخذت جمع اللطاف حوقة فعندما يدخلون بيتها يلاقون
من الجوع والعطش والعري وسوء المعاملة ما يؤدي باكثر الاولاد الى القبر سريعاً
ولم يكن منتفيو ليحب ان يميت البنت وانما كان مكراً على اخفائها عن الابصار
خوف ان تغشي السر لانها في سنها كانت تمسح ان تبوح باشيا كثيرة ربما أدت
الى كشف الستار عن جرمه واما اختها الصغرى قد خبأ لها حالة افضل لانها كانت
هاجرة عن كل ضرر

ثم جلس منتفيو قرأ الصحف الانكليزية اليومية التي كانت مشحونة باخبار مقتل

سندرمون وكان كلما تلا قرة يضحك من اخفاق مساعي الشرطة في اكتشاف الحريم ولم ير فيها خبراً جديداً سوى ماتم امرأة سندرمون التي توفيت من جراء فرط حزنها على قد ابتيتها وقد نقلت جثتها الى باريس لتدفن في مدفن آتما وصحب الجنازة اخوها البارون لوران الذي حزم ان لا يعود الى سيز لان زوج اخته كان كلما رآه شتمه واهانه حتى وجه ظنون ارباب الحكمة الى ان له يداً في هاته الجريمة اما المريض قالت الجرائد ان الحسى ملازمة له لكنها خفت قليلاً ويحتمل ان يقوى عليها فيشفي

فلم تقع هذه المباراة الاخيرة لدى منتفريو موقع القبول لانه كان يؤكسد ان ضربته كانت قاضية على انه رأى شيئاً آخر استلقت انفطاره لان بعض الصحف قالت « اما القتال وخاطف الايتين فلم يوقف له على اثر رغما عن نشاط الشرطة واستغراهم جبهة الوسائل لكنهم يظنون ان الجريمة انما هي عمل رجل مكيد من الاغنياء واصحاب النفوذ ولكن لا يتسنى الاباحة باسمه قبل الوقوف على السجج الدامنة » فوقف منتفريو عند هذا الكلام متحيراً اوقال من يريدون ياترى بهذا الرجل الكبير الغني فلو كان ثمت ادنى سبيل للرب في هذا الشأن لكان جس باركلاي قد انبأني بالحقيقة تلك او هام لا نصلح ركناً للاحكام

ثم قام في النهار الى المدينة وزار بعض الاكابر وأهم بعض الاشغال المالية حتى عوه على الناس انه انما قصد لندن قضاء بعض المهام ولا الى المساء انطلق الى البيت الذي امر خادمه فريك برك ان يسكنه في لندن عند اخذه البنت الصغرى

وكان فريك قد استأجر غرفة في زقاق البحرية حيث كان يقضي جل وقته مع رؤساء السفن والنوثة مديماً انه ريان مركب عظيم فلما وصل منتفريو رآه جالساً معهم والتقليون في فيه يحاكي هذا ومذاق ذلك مازحاً مهرباً والقرب منه اولاد يلعبون ضاحكين مسرورين بينهم البنت املين التي كانت اشد منهم انبساطاً غير مبالية بما حل بها فاستدعى منتفريو خادماً وخلا به في غرفة اخرى وجعل يسأله عما جرى له في الطريق وما صادف من المصاحب فأخبره « ان السفر تم على غاية ما يرام من الراحة والاطمئنان وقد نامت البنت مدة طويلة من المسافة ولا افافت نادت امها واختها

فألهتها ببعض الحلويات ثم رقدت وعندما استيقظها عانتني وطلبت مأكلًا ولبست
ذكر أمها واختها وهما هي الآن كما رأيتهما ضاحكة لاجبة لا تكفون إلى شيء. فسر
منعفيهم من افلاحه واثني عليه وقال لئلا نراك منشرح الصدر وتود لو بقي حارسًا لها
على تلك الحال طويلًا فما قولك إذا مهدت لك سبيل هذه العيشة الراضية

— غمرتني بفضلك لا بد أن تكون قد تحيرت في امر

هذه البنية واددت أن تعرف ابنة من هي ولكن لن تعرف البنية لأن ذلك لا يسمح
فإذا سئلت قل ما شئت عنها إما أنها ابتاع لك قرفي أبوها أو هي قبيطة اشتقت
طبيها أو هي ابنتك من بني أو غير ذلك ما شئت

امرك يا مولاي فاني لا اخاف أن يصيرني بها احد

ولكن لا بد لها من أم تربيا — صعبت سؤالك وهل تستطيع أن
أترج إذا لم أكن أرملاً — وماذا يمنعك أن تعود لمسكنة أمرك

— هذا مستحيل. هذا غير ممكن — ولماذا قد رتب لك محلاً في الباحة
المسافرة إلى نيويورك صباح غد فلا تخف أن تذهب إليها لأن القوم يظنون هناك أنك
صرت من الاموات ولا شك أن ذلك السكندر الشقي الذي كانوا يعرفونه باسم
غريك قد تبديل الآن برجل عاقل حكيم فاطلق إلى أمرك وقل لها « اني كنت
بالامس شريفاً سكيراً وعدت الآن اليك مهذباً وديماً ومعى هات البنية (التي تخبرها عن
قصتها على ما يلوح لك) فيجب أن نرسم ونعني بها كما لو كانت ابنتنا ولنا على ذلك
اجرة تبلغ ألف ليرة انكليزية عدداً فاندعش غريك من هذا القتال ولاسيا

لما طرق اذنيه صوت ألف الليرة فابتهم ولكن لم يصدق ما سمع وظن الامر هزلاً
فأراد أن يتحققه قال : انت تعطيني ألف ليرة أي خمسة الاف ريال (دولر)

— أجل لك هذا المبلغ وقدره خمسة وعشرون ألف فرنك تقبضها من الصراف
الذي اتعامل معه في نيويورك

فحك غريك رأسه هنيهة وقال « لعل الشرطة يقبضون علي »

— لا تخف وهل يقبضون على رجل غرق في البحر من عدة سنين

- ولكن عند قبض الدواهم يجب ان اذكر للصراف اسمي
- قد استدركت هذه المشكلة وتلافيتها فكتب لك التحويل لامر حامله ايا كان
- ولعل امرائي نألي قبولي — حاشي فاني على يقين انها امرأة عاقلة فلا تبصق على الف ليرة انكليزية تكون ملكاً لك ولها بل بالعكس ترحب بك ترحيباً لانكما تستطيعان بهذا المال ان تريا ولدكما في احسن المدارس وان تعيشا عيشة رغد ورفاء.
- فرضي غريك جداً ولما انس متغفو منه الرضى قال له بلهجة التهديد : اريد ان تقى حياتك البنية كل العناية فلا يصيبها اقل اذى والا فلا تلم الا نفسك
- اقم لك بالانجيل اني احافظ عليها عاقلي على انسان عيني
- وان حنث بفسك فاعلم اني واقف لك بالمرصاد فلا فطن بك ذيت وذيت ...
- بشرتك يامولاي لن احث وقد يكون المرء شريفاً لانه ذات يده ولكن متى صار ذا الف ليرة اضطر ان يكون عاقلاً وسامشغل بهذا المال فاربح به الف الف ان شاء الله
- فضحك متغفو مستهزئاً به وقال له ليس في اميركا شي . مستحيل فاضع ما شئت وافهم واربح وفربوعدك والان تحنر للسفر
- وقد اخترت لك بعض البواخر الصغيرة خرف ان لا يظهر امرك امام ركاب الكبيرة حيث يكثر الثراء والمتكلمون باللغة الفرنسية التي تنطق بها القية
- اداني ملتزماً بتبديل اسمي — انت حراً فافعل ما تشاء
- ويمكنني ان احمي نيورك ايضاً — لا بأس بشرط ان تنفذي عن البلد الذي تنتقل اليه ويجب ان تعلمني شهراف شهرافاً باخبار القارة قم الان وتحنر للسفر وافهم انك منذ غد لا تنطق بكلمة واحدة فرنسية وان البنت بعد ستة اشهر يجب ان تكون قد سبتها حتى اذا حال الحول وتعلمت اللغة الانكليزية وجب ان تقنعها انها اميركية المولد والحمد فان فعلت هذا رجحت رضاي عنك وثنائي عليك

﴿ فصل ثاني عشر ﴾

في السيدة بمرتون

ذهب زفرين انتماراً لاشارة مولاه بالفتاة جومين ليسلمها الى السيدة بمرتون التي ندم في لندن محلاً يتاجر بارواح الصغار بمجة انها «أرعى للقطاء والايتام وقد اشتهر بيتها عند الكثيرين بانها عظم رجال كل ولد يريد اولياؤه التخلص منه موقناً او دائماً وهي لا تقتل الاولاد قتلاً لكن تذيبهم من شطف العيش وسوء الغذاء والحمة ما يوردي بهم طبعا الى الهزال والملاك

قالى هذا المكان اراد منصرفه ان يلرح الفتية جومين بنت الكنت ستقمون فاضلقت بها زفرين صباحاً وقلبه «نقبض حزناً عليها لانه احبها حب والد لولده وكان يود لو يخلصها ولكن لم يكن يستطيع الى ذلك سبيلاً لان حياة كانت في يد ذلك الظالم انتاك فراح بالرغم عنه يتنشى في اسواق لندن وحدائقها والبنات تصطك وتلعب وهو يضرب انحاساً لاسداس حتى جاء المساء فلم يجد مناصاً من اقام مشينة سيده فركب العجة وذهب الى بيت السيدة بمرتون في اذقة ضيقة تكتنفها احياء صغيرة وخفية فلما دخل واجهته امرأة في سن الكهولة فاستلمت الفتاة ذات له انت است بايها - لا بل مكلف بتسليمها لك وقد

قيل لي ان والديها قد توفيا فيجب عليك ان تسلمها بفخرهما

- ساصنع ذلك واعظها فرنسية الاصل ويريد اولياؤها ان تنسى لقتها ولا تتكلم

الا الانكليزية - لا اعلم

- انا اعرف مذك بهذه الحوادث ولي خدة يسا طوية فلم يجدوا من حاجة الى

زيادتي يائناً فاجبرهم اني اعنى يسا مزيد العناية ولها رفيات كثيرات تابع معهن

واذا شاورا ان اخبرهم عن احوالها فليعترفوني بالواسطة ولا يرسلوا لي العنوان فتصلهم اخبارها

شهرياً فهايت الان الدراهم

تتردد زفرين في تسليمها ونكة كان

مكرها فدفنها وكتبت له وصلا بالتي فرنك وذيلت الوصل بان القاء اذا توفيت في اثناء
السنة الاولى فلا يحق استرجاع شي من الدراهم

فارتش زفرين عند ذكر الوفاة واراد ان يعترضها فاستأنفت كلامها بان قانون
محلها يقضي بهذا الشرط مع الصوم ثم ودعته فوقف فسألته في ذلك فقال لها اسمحي لي
ان اودعها قبل ان اذهب

فشرزته بطرف عينها وقالت : « انت لست الا مكلفا بايصالها الي » فاوصلتها
ودخلت بين الاولاد فلا تخرج بعد » ثم قتلت الباب في وجهه فذهب حزينا كاسف
البال ولم يتالك من ذرف عبرات حري فرباحدى الحانات فدخلها وجعل يكرع في
المسكرات تغريما لكربت حتى كاد يضيع رشده فانتبه الى ان المياد المضروب له من
مترفيو قد فأت قترك الحانة وهو يتايل تملأ حتى وصل الى التزل المقيم فيه مولاه

وكان مترفيو يتقلب على حجر الانتظار وعوامل الافكار عثمتازه وقد خاف ان
يكون زفرين قد ذلق بلسانه بما يورطه في تهلكة أكيدة فلما رأى خادمه انتمش وقد
ادرك انه شرب حتى سكر فلم يارضه بل سأله عن اقام المهمة التي انتدبه اليها فاشار
اليه بانه اتما وفق المراد فاطمان وامره بالرقاد وفي الصباح يجبره ما جرى تفصيلا
فلم يم زفرين الا ساعات يسيرة ثم استيقظ عند النجر وطلق يكر في هاته
الرواية الغريبة ودخل على مولاه قصها عليه ودفع له الوصل فاعرب له مترفيو عن
سروره منه لكنه امره بوجوب نسيان تلك السفرة وحذفها من سجل حياته ودفن كل
ما سمح ورأى في لحد الامل

فتظاهر زفرين بتمام الخضوع والطاعة فقال له سيده : اني اتا ايتت الى لندن
لقضاء بعض الهوام المالية وقد اصحبتك نظير خادم خاص فاحسنت الخدمة وهاك الان
ثلاثة الاف فرنك منها الف فرنك تصرفها في ما تهوى والافان الاخران تؤديهما اجرة
دفيكت غريك وخادم النجحت فعد الى النجحت اليوم او غدا بنير طريق فرنسا وانتقل
بالنجحت الى ثغر نابولي حيث تنتظر رجوعي اليه وها انا الان مسافر الى باريس وبعد
ايام يسيرة ارجع الى النجحت

﴿ فصل ثالث عشر ﴾

البعض يأكلون الحرام وآخرون يضرسون

لما عاد البارون لوران بعد وفاة اخته الى باريس لبث فيها وعول ان لا يرجع الى صهره في سجن ابتغاء ان يتناسى تلك الفاجعة الدماء لكن بينما كان في بيته ذات يوم يتصفح الجرائد اليومية عثر فيها على تفاصيل مقتل سترمون وقد اتفقت كلها اتفاق رجال الشرطة على ان « مرتكب الجريمة حسب قولهم اذا اختفى وجب ان نفنس عنه في من يكون أكثر استفادة منها وعلى حسب هذه القاعدة التي لا تتجاوز خلا وجهت التهمة على الرجل الذي يقتنم الفائدة الكبرى من مقتل سترمون ومن اخذوا الالبنتين وهو مشهور ولو لم نذكر اسمهما صريحاً اما ذميمة قامة لا ريب فيه »

فما كاد البارون يتم هذه العبارة حتى جاشت فيه ثورة الغضب وتغيز من الغيظ وقال « تباً لهم من سخفاء العقل انهم كلهم مجاين »

وكان البارون لوران من كبار اغنياء باريس واشهر صيارفها وله ولد وحيد « هـ » مع امرأته في تنقيفه وكانت اطياف الافراح تنفي في دارهم الرجبية مساء صباح لحاء هاته المصيبة ونقصت عيشهم الرغد فبدلت الرخا بالعناء وحررات السرور الى كآبة تقبض الصدور

ولما رأى الصحف السياسية مشحونة بمثل هذه الاقاويل تتناقل عن بعضها ما ساء من التآويل عدل عنها الى تصفح الجرائد المالية فجاءت اخبارها ضففاً على ابالة لانها كشفت القناع عن كثير من البيوتات التجارية المظنونة عامرة فاذا هي متأخرة متقهقرة وله مع بعضها علائق واموال فاشتد حزنه وفكر في ان الدهر قلب له ظهر الحزن وان المصائب كرت عليه فلا تبقي ولا تندر

ويتنا هو خابط في مهامه المواسد دخلت امرأته وابنه حجرة المائدة لتناول العشاء فنادياه فلم يسمع فقامت اليه البارودة وودأته في هذا الانشغال فانتبه واداد اء يومه عليها ما دخل عليه من البلبال فبش وجهها بتكافؤا وقام الى المائدة وهو يتأخها

على عادته متلطفًا

ولكي يسر كاتبه اخذ يسائل ابنه هوب عن احواله في المدرسة ونجاحه في العلم ووعده انه في ذلك المساء يأخذه عند الانصراف من المدرسة الى التزهة في ضواحي المدينة

لكن البارون رغمًا عن تكلفه ظواهر السرور كانت ملاحظه تبدي اشارة النعم والكودور فما أكمل الايسرًا ثم قام الى الجرائد فتأبطها وقصد القول الى مكتبه الذي كان في الطابق الاسفل من بيته فصادف امين صندوقه آتيا مرتجعا قال له جئتك بخبر مشؤم فان مصرف جيباريس قد توقف عن اداء ديونه

— لا بأس ولماذا الخوف — لان لنا معه علائق مالية تلحق بنا خسائر كلية قتل البارون الى المكتب متجداً على المصيبة كأنه غير مكترث لها ولكن لما رأى على منضدته تمسكا بالله ليرة يطلب اداؤه من صندوقه انتقم لوجهه وقال لا اذكر ان على مصرفنا مثل هذه القيسة تستحق هذا اليوم

اجل هو تمسك من امضاء جيباريس لامر المسيو مترفيو مذيل بامضائك كفاية له فلما امتنع عن ادائه الاصيل رجع صاحبه الى الكفيل ولم يكن في الصندوق مال يكفي لسد ربح هذا المبلغ وكانت تلك السنة سنة ضيق وازمة مالية عمومية هوت فيها الى هاوية الافلاس عدة مصارف بسبب المضاربات البورسية واعتصاب كبار البيوتات التجارية فحزن البارون وصغرت نفسه ثم قام الى خزانته فخرج منها ستين سهما من صكوك السكك الحديدية كانت عنده بوجه الامانة وامر امينه ان يرهنها في الكريديليونه لاستدانة الف ليرة

فلما خرج الامير عاد البارون الى مقدمه فطرق فكره ما اهتم به صهره وقال في نفسه لقد صدق مسترمون ان تلك الجروعة المزدوجة انما هي عائدة الى فائدي وحدي دون سواي فان احوالي متضمنة وان شدد اصحاب الدين في الطلب افلست لا محالة

وكان مترفيو قد جاء بنفسه حاملا ذلك التمسك ليقبضه فدعا البارون الى داخل المكتب للاطفئه ريثا يعود الامين بالمال وارب له انه مستعد لاداء المطلوب

على الفور لكنه اقتحل من قوق جياريس فجأة فاراد الاستعلام ووجه ان يصبر قليلا
وفي هذه الاثناء وفد على المكتب رجلان من مأموري الحكومة يطلبان
مواجهة البارون فعلم بنيتهما وادخلهما الى غرفته الخاصة داخل المكتب واثار اليهما
بالجوس ظانا انهما قاصدان استئناف اغذساتر الاعلامات اللازمة بشأن الجريتين
الا ان احدهما وضع يده على كتفه وقال لثيق علي ايها البارون ان اجري ما أمرت
به معك ولكن هي الواجبات لا بد من قضائها فباسم الشريعة اوقعك

فاضطرب لوران ونجل وسألها متلثما بآية سلطة يوقفانه فاجبراه بان احدهما هو
رئيس شرطة الحقة والاخر مأمور من العدلية قتال لها ان ذا التوقيف ضرب من
الجنون فلاي سبب ولاية جرية فاطلعه مأمور العدلية على صورة
الدعوة الموجهة فيها التهمة اليه بانه عامل على قتل صهره ومشترك بخطف ابنته

فصاح البارون : هذا محض افتراء هذا كذب وبهتان بل خلط وهذيان وهل
يسوغ للحكومة ان تستند الى هذيان مريض انه كذب الحمى فتبني عليه تهمة لا اصل لها
ولا شبه اصل

قال له رئيس الشرطة بسكون : لست مكلفا يا صاح بان ادخل معك بالجدال بل
بالقبض عليك لا غير فان كان لك شغل فاقضه قبل ان تتبنا

كيف اتبعكم واترك مكتبي وبيتي وامراتي وولدي ٠٠٠ كلا لا اقدر ان اتبعكم
اني احترم الحكومة ولكن انكر عليها تصديقي مثل هذه التهمة الباطلة

— لقد قلت لك ولا حاجة الى التكرار اني لست مكلفا بالجدال معك بل مأمور
بتوقيفك وقد قمت بواجبات مأموري ٠٠٠ وامت عاقل وتفهم ان معارضتك لا تجديك
فانقض رأسه واطرق الى الارض وقد نفما

دمعت عيناه ولم يكن ليخاف من التهمة لانه كان بريئا طاهر الذيل لكنه فكر في حزن
اهله وولده ثم تنهد وقال : يارباه ما هذه البلوى اوأه ماذا صنعت لتبليوني بمثل هذه
المصائب ثم صعد الى البيت كثيرا وهما يتبعانه

وكان وجهه اصفر فاقما فلما شاهده امرأته ذعرت ولما مست يده الباردة اضطربت

وطلبت ان به طريقاً من البرداء فاشارت اليه ان يذهب بالحصى ويصنع دج لكنها انذهلت
من هيئة الرجلين اللذين يتبعانه فاخذ يدها وقال لها على انفراد : قد ههنا مصيبة
جديدة لكنها ليست الا غيابة وستجلي - ما المصيبة ياترى صريح عاجلاً
- دعوى لا طائل تحتها فلست اطعم ماذا جرى في نيس بعد سفري منها وماذا
قال سترمون من الهذيان وهو في ابلان الجوان

- قاتل الله المتأقين ان سترمون كان كذاباً مهذاراً في ايام صحته فكيف الان
وهو فاقد الرشد - فانت اذاً مكروه على الرجوع الى نيس

- سكنا اظن لانهم يهملوني تهمة قضيعة لا اثر لها من الحق انهم باخية مجاين

- ماذا تقول وبماذا يهملونك يا نور عيني

- بكل ما جرى هناك بجرح سترمون وخطف ابنته

- معاذ الله قاتل الله الوشاة انها لقوية لا تقا

قالت هذا وفرقت بين بعلها والمأمورين اللذين قالت لها : بالله عليكم ان يدعوا بعلي

ولا تسلباني رجلي فهو طاهر اليدين بري من كل جرم ومين

قال لها لوران : خفي عنك الحزن يا عزيزتي جوليا ولا تخافي فان المسألة ليست

بذات بال فسكني روحك وابالك ان يعرف ولدنا هو بشيء بل نصبري واقبي على الله

ههنا فهو يعولنا ويقتدنا من ايدي الاشرار ثم ودعها وسار

﴿ فصل رابع عشر ﴾

حيادة ليونيدة للجرج

اقامت ليونيدة في بيت الاميرة زامركو اياماً طويلة بعد تلك الحوادث وكانت

تنتهز كل فرصة للاستعلام من صحة سترمون فوعدها الاميرة يوماً بانها ستجيبها لعيادته

لانها سمعت ان صحته تحسنت وقد فارقه الحمى واخذ حوجه يلتئم

وكان سترمون قوي البنية شديد العضلات معتاداً على قرين الجسم بالالعب

الروضة فلم تقو الحمى على القتل به فلما فارقه عاوده الرشد فجاءه المستطلي لاجواء

الحقيق الذي لم يستطع يوم كان في الجبال فقال له اي رجل منهم يخرجك لئلا يفتك
حيثك البارون لوران»

وكان سترمون قد طعن على ابن حيه مراراً لكنه لما سمع بذلك التهمة قال
للمستطلي منكراً : لم اتهمه البته باتيان الجرم لاني قلت لك اني اجهل الذي ضربي
وفي حين ضربت لم اسمع شيئاً ولم ار شيئاً على الذي مقتنع انه لو لم يأت البارون
لوران صباح ذلك اليوم ويهيج علي امرائي لما كانت تصدق ذلك الكتاب المزور ولم
نكن لتخرج من البيت ليلاً او لتدع سيلاً لحلف ابنتي

على ان الحكومة رغباً عن شهود سترمون براءة ابن حيه لم يسمها الا القبح
عليه لاستتلاء الحقيقة ما دامت طلي الحفاء ومع اقتناع سترمون بصدق لوران واستحالة
اقتدافه لجرمي القتل والحلف قد سرّ قلباً بتوقيفه وعساكته لانه رأى في ذلك اكبر
واسطة لستوط مشأه وقلة ثقة القوم به فيصيح غير اهل ليوثقن على ثلاثة ملايين
الفرمك المودعة عنده لابنتي شقيقته ولم يشك ان الحكمة لا ترى رجلاً اجدر بان يؤثمن
على ذلك من والد الاثنتين فولد فيه ذلك الفكر سروراً عظيماً وبني عليه قصوراً من
السعادة والرغاية بعد شتائه

ومينا هو حالم في مثل هاته الافكار المبهجة اذ قرع الباب فاستأذنت الاميرة
زامركو بالدخول على الجريج مع ليونيدة فمارضتهما الحادة بان الطبيب منع عنه
كل زيارة لكنها ألحت فدخلت عليه وسلمت عليه وقبل يدها وشكرها وكانت ليونيدة
وراءها قلما وقمت عنده عليها اضطرب واحمر وجهه لانها اعرضت عنه لاول وهمة مدفوعة
من عامل الحقد لحادثه لما لكنها رمته بلعظها الفتان مدفوعة من عاطفة الحب
ظنها انها انفت من مرضه فقال لها : مالي اراك محصنة عي الملك كارهة لمراي العليل
فدنت له يدها دلالة على عدم الكراهية فلتشها ودمت عيناه شوقاً وشكر لها وللأميرة معاً
ثم جلست الاميرة في صدر العرفة فانتهرت ليونيدة العرصة لتقول له « كان
الاخوى بي ان اكرهك حاقدة عليك الى الابد وانتقم منك لانك خدعتني خداعاً
قليلاً لكن ما العمل وانا احبك فالان وقد قضى الدهر بان تعود حراً يجب ان نعلم اني

أمر أن لا يأتوا به إلا من أذن له بذلك من أهل البيت
فخرج ستمون من هذا الكلام لأول مرة نكتة سر في نفسه من ذكره فخلصه من
عقل أمه الأولى
فقد طالت زيارته كما وخاف أن يلومني الطبيب «فودعته واحدة أيام الرجوع واطلقت
مع ليونيدة التي بشت في وجه الخادمة ونفعتها ديناراً فطار قلبها من الفرح وودعتها
في الباب الخارجي ورجتها أن تكرر زيارتها مراراً فسألها عن وقت خدمتها للعليل
فأخبرتها أن لها رقيقة تحده من الظهر إلى نصف الليل وهي تحده بالمناوبة من نصف
الليل إلى الظهر فعادت الخادمة وقد نقش على قلبها حب الفتاة البديعة الصفات
فانتعش ستمون صد ذكرها وقال ما الطفها وما ارق شاكلتها فقالت حبنا لو
تجدنا دائماً ولكن أخاف أن يلومني الطبيب على ذلك
لا تخافي فاني أشعر أن زيارتها حيت فوادي وادخلت عليه السرور

والإفراط

وبالحقيقة أن تلك الزيارة جدت فيه حرارة القوة والنشاط فقام تلك الليلة هنيئاً
ولما عاده الطبيب صباحاً تعجب من تحسن صحته وتفاءل خيراً وبشره بقرب الشفاء
فانتعزت الخادمة الفرصة واستأذنت الطبيب لقبول بعض زيارات عاذن لها قلباً
بشاع الحذر قبل الناس ذرافات لميادة العليل وعادت ليونيدة مع الأميرة زامركو وأخيها
باوكلاي فوحب بهم ستمون كل الترحيب وقد دار الحديث بينهم فلمحت ليونيدة إلى
أن أخاها استأجر بيتاً في سميرما لصحة ففهم العليل أنها إنما صنعت ذلك إكراماً له
ليتمكن من التردد إليه مراراً فسر سروراً عظيماً

وكانت الخادمة قد أملت سيدها بسؤال ليونيدة عن نوب خدمتها ومال الأمل
بأنها تردده خفية به صف الليل فانتظرها الليلة الأولى ولم تأت فتكدر إلا أنه مام
الليلة التالية منذ الغروب ليتمكن من السهر في آخر الليل

فلما كانت الساعة الأولى بعد منتصف الليل أقبلت الفتاة سراً فاستقبلتها الخادمة
بالترحاب وبالت في إكرامها لأنها قبضت منها ديناراً ثانياً ودخلت على ستمون

فاستيقظ وطلق يشكر لها من عواطف الحب الاكيد وجعل يحقق لها ما عزم عليه من عدم الاقتراق عنهما كل الصر فرفقته اولاً على عداوته لها واعلمته بان حزنها بعد تلك الزودة الليلية في قصرها كان شديداً جداً ولاسيا عندما علمت بانها مرتبط بالزواج وان لا امل لها به فاستغفرها باكيًا ووعدها بالاصلاح قالت له لو لم تنحل من وثاق الزواج بوفاة امرأتك لكنت اموت اسي

﴿ فصل خامس عشر ﴾

مداير نسيان

لما سمع سنقومون من فم ليونيدة ذكر الموت ارتعش ثم بكى وقال لها : انتِ تموتين وانا احياء كلان تموتي يا حاشاتي — كيف لا اموت وقد ايتت ما ايتت ولم تزل الفاجعة بقدر امرأتك لا استحبال عليك التكفير عن ذنبك

فجعل سنقومون يتهد نادماً ويستغفرها مقتعاً اياها بلطيف الكلام انه لم يخذلها البتة بل كان يحبها قلبياً وانه كان عالماً بان امرأته مولية الى غير ذلك من الصميم اللطيفة التي حسن وقعها في قلب النساء فاعربت له انها صفت عنه من صميم القواد وهي تسأل الله له الشفاء العاجل ثم طمعت ترطب قلبه بلطيف الحديث وتخبره مما دبرت من الحيل حتى اتمت اخاها بالانتقال من كان الى سبيز بحجة انها اوفى لصحتها وانما قصدت بذلك محرد الرغبة في الترتب منه ليس الا

فاننى على براعتها وشكر كرم اخلاقها والتمس منها ان تعود ليلاً فجاءته الليلة التالية واخذت تطلب خاطره وتوافه افسه وكذلك فعلت الليلة الثالثة وقد لبثت عنده حتى انشق عود الفجر فانسلت من حديقة القصر وكان بينها وبين حديقة بيتها امر ضيق فعبثته برشاقة وفيها هي ملتصقة لقفل الباب اذ رأت متغفرو منتصباً امامها وقد اشهر عيناها خنجراً وكاد يطمسها به لولا ان قفزت عليه وامسكت بذراعيه وضعت اليد القابضة على المذبة عضه شديدة حتى وقع الحنجر على الارض فالتقطته واومأت اليه ان يتبعها الى البيت فيستأوضا بما يكون من اموره

فانتاد لها صاغراً بعد ذلك المترّ حتى اذا وصلت ردهة الاستقبال اضيحت في صدرها وقدمت له كرسياً ليجلس فجلس وكان كالمشده لا يدي اهو في نقطة ا. في منام فسألها من جس اخيا قاجابه هو اتم ولا يجب ان يوقظه احد سحوراً فضلا من ان لا حاجة لنا اليه اذ لنا الا شخصين قلب واحد

فهب اليها ، متاخلاً بيته متهد لها قالت له يهدو - عد الى مكانك ولا يرتفع صوتنا كي لا يقوم اخي فينازعك ولا ييب الحلم فيسمعوا ما نقول -
اجل هذا غاية متمناي فاني اريد ان يفضح امرئ لي لدى العموم فاني كنت الليلة بالكاع - قلت لك اجلس واخفض صوتك

والا تركك وذهبت أفلا تحجل ان تتهد فتاة ضيقة -
كلا فانا انت الا امرأة خيثة قولي الان اين كنت -

- لا اقول لك الا متى قصصت علي ما صنعت بالمهمة التي انتجتك اليها قالت هذا واخذت سيكارة وشرعت تدخنها وكان قد نهاها عن التدخين قبلاً فغضب وقال لها ألم انصحك مراراً بان اتدخين يوذيك -

- دعني من نصاصك فالي بها حاجة - فلما هذا الجفاء هل انت انت ليونيدة التي طالما عشقتها نفسي فاذا جرى بك من التغير المشؤم

- اجل تغير مشؤم .. اما رأيت كيف قابلت فتاة بالسلاح عوض السلام وبالتهدد عوض الوانسة والتودد .. هل سمع مثل ذلك الا عند هندو ايركا او براية افريقيا .. او هذا زي جديد من الازياء المصرية ...

- أحشاً وسوء كية . انتقضين عهدحي وتسخرين الان بي -
كلا بل لا ازال احبك اكثر من حبك لي فاخبرني ماذا صنعت

- اداه اتحممت الاحوال وغامرت بالحياة وبذلت الاموال واركتبت القتل والحلف في سيل حبك ودعين انك تحييني اصككث من حيي لك ... اهكذا

تكاثين الحبة ... أانت هي ليونيدة ام انا في الحلم ثم وضع يده على جبهته ولبث هنبة صامتة ذاهلاً فأمرت اناملها على جبينه ولا طقت

بالكلام قالت : دعنا من الكتاب واخبرني الان ماذا جرى على الابنتين

- لقد قضي الامر وبل الوطر - اين اخيتهما
- الواحدة في انكلترة والاخرى في اميركا
- هل يصعب استرجاعها عندما نشاء ياترى
- الان تريدن استرجاعها بعد ابادهما
- لعل الحوادث تقضي بذلك فابنك حينئذ بما يكون - لم اخضع ما تقولن
- ستفهم عما قريب فاعلم انك انت صديقتي الوفي وحبيبي الخالص فلا تشك
- انك تصدق على كل ما صنعت وديرث في مدة غيابك
- قولي لي سريعا ما صنعت ولا تخادعيني هذه المرة كما خادعتني في «كان»
- فحسبي الان اغيداعا - اراك قد عدت الى اتمامك لي
- واساءة ظنك لي وبعض الظن اثم وهذا منه

- ما ظني الا صادق في محله وقد راقبتك هذين اليومين انا بنفسي فوجدتك في النهار من اكل القيتات الحشرات اذبا واحتشاما اما في الليل فقد خلعت العذار وركبت من الاغترار حتى كدت لا اصدق ما ابصرت عيناى بل ظننتني ارى احلاما فصمت ليونيدة ولم تنس بنت شقة فاستأنف . نترفيو كلامه وفي قلبه غصة اليمة قال : انا شاهدتك عند الفجر خارجة من هذه الحديقة ألما هي حديقة الكنت سنترمون فاذا كنت تصنعين فيها تحت جمح الظلام افهكذا تقابلين حب الذي ذهب في سبيل طاعتك الى ارتكاب الموبقات تبكي ما اتس حظي بتصدفني هذه المرأة الخداعة

فتلظفت به وقالت له يهدوه ورحانة ارعني السمع يا عزيزي وافهم مقالي فاني بعد سفرك قد انعمت النظر طويلا ونقبت في خفايا ضميري فوجدت ان داعي الغضب حملنا لاول وهلة على ضرب هذا الرجل بما هو اعز شيء لديه ولكن لما امسيت وحدي خجلت من نفسي واستحييت منك كيف شاء لطفك ان يتخفي عفوا لست له اهلا وفكرت اني غير مستحقة ان اكون لك زوجا وقد تولاني هذا الافتكار كل المدة ولم

يادقني ليل نهار

— كذبت ياخيثة كذبت

— كلا بل انا صادقة ياعزيزي واكلمك كصديق حميم واحبك حيي لايحي
قد قصدت ان لا اقبل عنوك لاني رايت انك اذا اتخذتني لك امرأة نكدت عيشك
وبت كل عمري لديك ذليلة فانت تستطيع ان تجد الف امرأة احسن مني وانا التصق
بالذي رضييني في امرأة — فاذا لم تقصدي موت امرأته واختفاء

ابنتيه الا ليكون حراً فيتزوجك . . . اف لك من محنات عتالة

— لا ودبك لم يدرك في خلدي مثل هذا القصد اذ حينما اعتمدنا خلف الابنتين وكنت
في ذا الجرم شريكة لك لم اقصد الا الانتقام . . . اما الان ولم يبقَ ما يفرق
بيننا وبين الكنت سنترمون في حين ان كل شيء مفروق بيني وبينك فهل من
اللياقة ان اقبل حبك الكريم كلا ثم كلا ان في شئاً يقربني الى الابد بالذي كان
ابا عندي . . . فلا استطيع الى الانفصال عنه سيلاً

فجهد منترفيو عند استماع هذا الاقاراد وكاد يضي عليه من فرط الاسف الا انه
وثب فجأة فارتفعت الفتاة وتحولت من وجهه فاتجه الى الباب فمارضته وقالت الى اين
ذاهب فاني اري عينيك تقدحان شرراً أملك تفكر في الانتقام أولاً تدري انك
دازح تحت وقرجوم قطيع واني باقل من لم الصراشكوك الى الحكومة بانك انت
طاعن سنترمون في لية المساخو وكان منترفيو قد اعرض عنها في اول

الامر ولم يشأ ان يكثر ثوبها نكته لاسمع تهديدها ارتد اليها مرتجماً وقال كلا
ما انا بالذي طعنه بل هو البارون لودان الذي اتهمته الحكومة وقبضت عليه

— قص هذه الحرافة على غيري افلست انت الذي طعنه في وسط الحفلة في حين
كان اخي جيمس مشتغلاً بقل الابنتين الى يختك او لم يخبرني اخي انك لحقت
سنترمون الى مخزن الثياب حيث اشترى ثوب المساخو القرمزي فأعلمته من وراء حقي
تجيزه في حيرة الحشد — ومن اقامك علي مستقطاً وماذا

ملكك علي هذا الوعيد — لو لم اوقفك الان لكنت ذهبت

الى الجرمج تراً قد دفعت علي بما استطعت لاقام الوحشة بيني وبينه

ما كان في نيتي ان اقف بك بل قصارى فاني ان اورد سترمون واطلمة
 على حقيقة امرك وابنته بكان ابتيه حتى اسافر معه واسلمها له
 - ويل لك لو صنعت ذلك لكنت افشيت سرّك للمدعي العام فيكون نصيبك
 الجلس بعد ساعة لاحالة فتبسم متذفرو تبسم ازدراء وقال لها
 اولاً تعلمين انك تستطين انتِ ايضاً في الحفرة التي تحتفري
 - العلك تخيفني بهذا التهويل فباي اثم شاركك ياترى وكيف تثبت اتفاني
 معك فان تجرأت ان تنتهني بشي فانظر ماذا يكون جوابي في الحكمة (ثم اخذت
 سيكارة واضطجعت على المقعد واستأنفت كلامها) : ان هذا الرجل ما يرح يحاول
 الاقتران بي منذ صبوتي فكنت مضطراً ان اقبل طلبة ما دمت قاصرة ولكن لما
 بلغت اشدي رفضته كل الرفض فحقت علي وعلى الكنت سترمون الذي كان يحبني
 فانتقم منه والان يلتق علي ما شاء انتقاماً مني . فهل يتسنى للقضاة بعد هذا الكلام ان
 يصدقوا ادعاءك باني اغريتك على هاته الجريمة وماذا تصفكون محبتك ياترى وهل
 رافقتك لما ركبته - لا بل اخوك جرس كان معي
 - لم يعرف بذلك احد ولا يقدر احد ان يثبت انه قارق المشه لية المساخر ولا
 دقيقة واحدة فانت وحدك الذي غمس يدي في حماة الاثم ولذا اولى لك ان ترد سيفك
 الى غمده وتلبث صامتة كي لا يقلب عليك السلام وبالأ و ان اصغيت الى صيحتي
 كنت رابحاً وبينا اصحاباً اوداء مدى العرف لا يجب ان تنطق بحرف من هذا السر
 لاحد البتة لا لكنت سترمون ولا لغيره ولا لاي مخلوق كان

﴿ فصل سادس عشر ﴾

تخليص الفتاة الكبرى

خرج متذفرو من عند ليونيدة متصدع القلب . منكسر الحاطر يزجر كالاسد وراكبة
 مغلول اليدين لا يستطيع الى الانتقام سبيلاً وكان يردد هاته العبارة بفؤاد قرعه الاسي
 « قد قدمت كل شي . واضمت كل شي . وصرت محروماً » وقد تحلل كلاً من هاته

الفترات اصعاد الحشرات واسبال عبرات آخر من الجمرات

على ان فكر الانتقام لم يبرح من ذهنه ولم يكن ليضيع لحظة دون البحث في الطرق المؤدية اليه عاجلاً او آجلاً حتى لاح له وميض رجاء فطفر جذلاً وقال في نفسه اقوم الى نابولي حيث يكون زفرين بانتظاري فاسترجعه الى لندن واستعيد الفتاة بمرمين من عند السيدة بدمتون ثم اسافر الى نيورك فارجع امين من يدي غريك بوك واسلمها الى زفرين ليردهما الى ايسا مع كتاب مغفل الاضاء فيه بيان صريح بان سبب ما جرى كله كان ليونيدة الغرم هو اها ثم اعود الى اميركا حيث اقضي سائر العمر في سعة العيش بعيداً عن العالم القديم الذي كرهته ومقت نفث ذمام اهله

فسافر الى نابولي وانطلق الى البروتو واقش عن يخته في الثغر فلم يجد فاستشاط غضباً على زفرين لانه لم يطع امره وظن انه انتهى بالسكر والنحس في جنوا فآثر البقاء فيها حتى تنفذ من يده الدراهم لكنه خاف ايضاً ان يكون قد زلق في كلامه فقبضت عليه الحكومة فطير اليه على جناح البرق رسالة يقول له فيها « ان كنت لم تخرج من جنوا فابق فيها ريثا اجمي وجاوبني تفرافيا » فلم يرد له جواب الا من خادم البيت يقول « انا باق في البيت وحدي لان غريك وزفرين لم يرجعا منذ يوم سفركم ومحتاج الى دراهم »

فاضطرب متفرق عند اخذ الجواب وجعل يضرب في فيافي الافتكار في اعيى ان يكون زفرين قد صنع فتادة كانت نفسه تحمته بانه لما رأى في يده ثلثة الاف فرنك نسي العهد والذمة واندفع يتسرع في حماة الرذائل في لندن لا يخاف عليه رقيباً وانه لا بد ان يعود اليه يوماً ذليلاً صاعراً فيؤديه تأدياً وطوراً كان يظن انه اخذ الدراهم وضرب في الارض ينتهي الرزق حراً وحيناً كان يتوقع سقوطه في مصيبة او داهية

اما زفرين فبعد ان سافر مولاه من لندن فحضر ليرحل منها هو ايضاً فوجد ان في قلبه عاطفة سرية تدفعه الى الثبوت فيها وكان يناجي ضميره فيخذه وغزاً اشد من وقع الاسنة لتضيق فرصة كان يقد فيها ان يخلص فتاة انتش في قلبه حبها فجل يتجول في الاسواق هائماً في هاته الهواجس متودداً الى الحانات لتسل الزمان وتفرج

الكلوب والاحزان حتى ادى به السير يوماً الى الشارع الذي فيه قتل للسيدة بدمتون
ولا دنا من الباب رأى رجلين يحملان تابوتاً صغيراً ضاجت في صدره عاطفة الحزن
واشتق ان يكون في التابوت جثة جرمن قتلها واستوقفة ووضع يده على التابوت
وقال لها بالفرنسية أفيه صبي ام بنت فلم يفهما كلامه ولم يكتفأ اليه بل سار ومشى
وراءهما القس الى المقبرة فاطل من الباب فتشاهد السيدة بدمتون مكشرة فقال له
« ليست هي ليست هي » واقبلت في وجهه الباب

فجعل يدمدم ويحسم ويرفي ويذيقانلاً هذه ولا شك آخرة تلك النجبة اللطيفة
التي ضمنتها الى صدري اياماً فصرت احبها كأنها قلعة من كبدي وصارت تحبني
كانها ولدي تبأ لي كيف سلمتها الى هذه الذئبة الكاسرة التي لا تشفق ولا ترحم
قد قبضت التي فركت مسجة وثخاف ان لا يؤدي لها غيرها فلا يسعها عاشت ام ماتت
كلان يكون هذا والله لا آخذن الفساء طوعاً او كرهاً واديبها واستغني عن ظالمها
الاثم والله الرزاق الكريم

ثم قرع باب التزل ففتحت الخادمة فأمرها ان تدعو مولاتها فلما حضرت على
عادتها من التيه والكبرياء قابلها بالمثل من حيث انصرف والجفاء وقال لها يجب ان
تردي لي البنت حالاً

— هذا لا يمينك ما انت الا خادم ومأمور

— اقول لك يجب ان تردني لي على الفور والا خلقتها وملأت شوارع لندن من
قبائحك فانك جاعة تلك مصيدة لاقتناص صغار الاطفال على شاكلة دهليز يرون به
الى القبر ولم تخشي رقيباً ولا وشياً لان الاشياء تجري هنا تحت طلي الحفاة فلا نشين
اسرارك واهتكن اخبارك وانقض دارك واجعلتك عبدة للعالمين

فارتدت المرأة من هذا الوعيد وتعلم لسانها وكادت تسلم الفتاة الا انها قالت
له بجراءة ماذا اجيب اولياءها اذا سألوني عنها — انا هو وليها وحدي

— لكن يجب ان تعلم ان الشرط ينتان التي القومك المدفوعة سلفاً يجب ان تبقى

فعل ولا ترد البنت

— لسنا مختلف بشأن الدراهم فاسرعى بالفتاة ونحن نتفق على ما تريدن وفي الوصل الذي اعليتني لم تذكرى الا شرط الموت اما اذا كان اولياء البنت ياخذونها قبل .
تمام السنة فلوهم حتى يجلب اليك بمقدار المدّة لكني انا كريم فيكفني استرجاع البنت ولا
اجادلّك في الدراهم فلتبقى لك حلالاً

فانسلط المرأة لهذا الكلام على انها ارادت ان تتردد خوف ان يكون هذا
خداعاً وان يكون للبنت قصة فعل من ورثها مالاً جزيلاً فاحمرت عين زفرين وظهر لها
نظرة التضروب والتي يده النليظة على ركبتيها وضغطها فارتاحت وقامت من كرسيها فقال
لها اولى لك ان تسلميني الفتاة طوعاً والاً اخذتها قسراً

فلم تجد برمتون مناصاً من الرضوخ لامره وامرت الخادمة فجاءت بالفتاة يومين
بشياب قدرة وصحة وعينين جاحظتين وجسم ضئيل حتى لم يستطع زفرين ان
يبرّزها امامه فلما لحته مرعت اليه وانطرحت على صدره وجعلت تقبه وتجره ان يخلصها
من هذا الجحيم حيث يضربونها ويحوجونها ويسيتون معاملتها ولها رفيقات سليات
رديئات فكذبته برمتون وقالت انها مستحقة التأديب

فاحتملها زفرين وقل بها الى الشارع حيث استأجر لها عجة ووضعها فيها تحت
حراسة الحوذي الذي امره بالانتظار ثم عاد الى السيدة برمتون وطلب مواجهتها ثانية
فجاءت خائفة فقال لها ارييني السجل المكتوب فيه اسم الفتاة فامتتت فشدد الطلب
ففتحت فوجد تاريخ يوم دخولها واما تاريخ خروجها فلم يذكر عنه شيء فامرها ان تكتب
في الحبل القارغ « ماتت »

فشردته برمتون كأنها تنهت بالخادعة فقال لها دونك الف فرنك فاكثري يديك
« ماتت في هذا النهار » فلما ابرق الذهب اعمى بصرها فقلقت الدراهم وكتبت كما
شاء فودعها وخرج مسروراً

فاد زفرين الى الحجة التي سارت تنهب الارض نهباً وفي اثناء الطريق كان
يداعب الفتاة ويحملها على منكبيه وقبلها ويضمها الى صدره كأنها ولده وهي مبتهجة
فرحاً بقيامه كأنه والدها وقد رأت وهي في حننه انها انتقلت من الجحيم الى النعيم

﴿فصل سابع عشر﴾

محاولة منترفيو في استرجاع الاثنتين

بعد خروج زفرين بالفتاة جرمين جلست السيدة برمتون تفكر في ما جرى واخرجت ورقة الف الفرنك التي قبضتها اخيراً لتفحصها خوفاً ان تكون زائفة ولما وجدتها صحيحة كادت لا تهديق عينها وقزوت من وفرة فرحها وطلقت تمشي في الارض مرحاً لتكنها من ربح ثلاثة الاف فرنك في مدى اسبوعين لا غير لكنها لشدة طمعها اخذت تناجي نفسها وتقول ليتني ما طلت قليلاً لعل غير هذا الجلف ينفعني كماً او فر من المال ولبتت تنازعها هذه الافكار ثلاثة ايام فلما كان صباح اليوم الرابع انبأها الخادمة بقدم رجل جليل القدر يطلب مواجعتها فادخلته وسأله عن غرضه فقال لها ادعوك ياسيدي ان تسليني البنية جرمين التي فوضت اليك تربيتها من نحو خمسة عشر سنة فارقت برمتون كأن صاعقة انتضت عليها وقرعت سن الندم متأسوة لقوات هذه القرصة الثمينة التي كانت قد استدركتها فظن منترفيو انها متأسفة على اخراج هذه الفتاة حاجلاً وخسارة شيء من اجرتها فقال لها قبل ان تجاوبه : لا اشك انها بوجودها عندك تكون - تربية راضية الا اني عولت على اخراجها بسبب رطوبة هواء لندن ولا تخافي ان اطالبك بالمبلغ الذي ارسلته لك كله بل يكفي ان تردي لي منه الف فرنك فقط وكانت برمتون الى حين سماع العبارة الاخيرة مترددة في افشاء امر زفرين لكن منترفيو بسبب طمعه بالمال خسر كل أمل بالوقوف على الحقيقة وقد ايقنت برمتون انها لن تنال من زارها فلساً جديداً فأثرت ان تحفظ سر ذلك الجلف الذي كان معها كرمياً ولذا نشرت منديلها لمح العبرات القاصدة ان تدرفها وشرمت في تمثيل روايتها قالت :

بالصواب ظننت ياسيدي وان خوفك واقع موقعه بشأن هواء لندن . . . فله در تلك الفتية المحبوبة والدرة المتكونة كم كانت طليقة انيسة وديعة . . . اوأه ما كان اقمى قلب الذي نقلها في حادثة سنها من ارياف البحر المتوسط النضرة وزجها في ظلمات الضباب في لندن حقاً ان ذلك قد فتت مني الفؤاد وقد قلته الرجل انني جاءني بها

فارتحف متدفيو عندما سمع منها انها عارفة باصل وطن الفتاة وقال في نه ٤
 انها ولا شك لم تفهم ذلك الا من لسان يرمين وخاف ان تكون الفتاة قد افشت غير ذلك
 من الاسرار فتاه في يداها الافكار وقد كل ما اشهر به من الذكاء والفضة حتى
 صدق هذه الرواية بلا اعتراض

فاستأنفت السيدة يرمتون كلامها وكانت قد توقفت عنه لنظاهاها بالبيكا.
 قالت : انت تعرف ياسيدي ان الله علمنا ان نقبل مصائبنا بشكر ونبارك الله بها
 اشتدت الرزايا . فتأكد يامولاي النبي وحياتك قد عنت بها عناية ام يولدها لكن
 ما العمل وقد اثر فيها البرد بعد الحرق صيب انتال سريع وقد جلست على سريرها لم
 افارقها لا ليل ولا نهار وكان الطبيب يمودها في اليوم مرتين ولم ينجل عليها باخر الادوية
 ثم توقفت ايضا وعصرت عينها حتى اخرجت منها قطرتين من الدمع ثم فقت
 السجل وأرته اياه وقالت « منذ ثلاثة ايام »

فلما وقفت عينه على لفظة « ماتت » اقشعر بدنه اقشعراراً وقد وغزه ضميره
 وغزات شديدة احد من السهام ولبت جاءه دماً . تنظر المرارة من فرط الالتمام وكان
 يتصور نفسه قابضاً على عنقه والمديّة في يده يذبحها بها

فالتفت له يرمتون انها قضت يوماً كاملاً متقلبة على سهاد التزع وهي في
 حضني وانا انظر اليها وقلي يذوب . مها حتى فاضت روحها وطارت الى اللانك:
 أقترى ان تجشم . مثل هذا العناء الطويل لا يراي اليه فريك . . .

فاكفني متدفيو وقام الى الباب منكسر القلب غير مطالب بشي . وذهب الى منزله
 حزينا لا لقد الفتاة بل لقوات فرسه عزيزة للانتقام من ليونيدة واخذ من ثم يفكر في
 الانتحار اذ لم يجد بعد ذلك الذل للحياة لذة

على انه ذكر الفتاة الصغرى ا. ا. اين قال . ومن يدري ان كان غريك ملك لا يطعم
 بالحلمة والعشرين الف فريك فيقتل الفتاة ويهرب بالمال فعول على السفر الى ا. ا. ٥ سريه
 لا انشالها من ذلك الوحش قبل قوات الوقت

فحضى ذلك النهار في التفتيش عن زفرين في شوارع لندن بين احانات فكان

اصحابها يجبرونه الله كثيراً ما تردد اليها الشرب المسكرات فقال لا بد ان تفرغ يده
من المال فيعود اليّ ذليلاً قاذباً تأدياً

وفي اليوم التالي سافر الى نيويورك قضى في البحر خمسة ايام خالها خمسة اعوام
لم يفتقر في خلالها من اجهاد القريحة في تذكر المكان الذي كان يجتثه راسياً فيه في ثغر
نيويورك يوم اضطر غريك في البحر والجهة التي كان الشعب قادماً منها سعياً وراءه
والحالة التي كان غريك ساكناً فيها مع امرأته وقد تصور الله سيتهدي اليه بلا عنا
نهار وصوله

فاما حطت السفينة في ثغر نيويورك بادر متفرغيو الى المذرف الذي ارسل امره
التحويل بالف ليرة لامر غريك ومسا كاديسال امين الصندوق عنه حتى اخبره بان
الذي قبضه هو رجل غليظ يكاد يكون نونياً بشباب تاجر وعلى ذراعيه فتية نجيمة
فايقن متفرغيو ان صاحبه وصل بالبنت حية فصرع الي الحلة التي فيها بيته وقعد على
قارعة الطريق ساعتين يتعهد الداخل والخارج فلم يهتد الى المطلوب فتبوا حينئذ وتوغل
في داخل الحلة فوجد بعض عجائز يتبادلن الحديث فسلم عليهن وسألن عن امرأة
غريك فتقدمن اليه كلهن مندهلات واخبرته انهن مانت من زمان طويل اثر سوء معاملة
زوجها لها من ضرب وتجويع وتجويع غصص مرة وكان لها ولد فادبته الحكومة تيه
على زعمتها مع الاولاد القراء

فارتعد متفرغيو ولبت شاخصاً في العجائز فاسأفن كلامهن قلن: وهن الغرب
ان غريك الذي نسا بظن انه مات غرقاً في البحر قد عاد من نحو اسبوعين
يسأل عن امرأته وجيوبه ملأى بالذهب وعلى صدره طلبة بديعة يظن انها ولدت له
من بغي فتتمنى متفرغيو حينئذ ان غريك اتم امره مدقاً واراد مساكنة امرأته ولكن
لما رأى انها ماتت خاف ان يتهدي اليه الحكومة فوارى عن الابصار في اديركا
الشاسعة الامصار وصار من المستحيل اكتشافه في قطر من الاقطار

فعاد متفرغيو بجفني حنين وقد صاقت الدنيا في وجهه ولم يدرك اذا يصنع فند
حي على نفسه ليخرج به من حطة الانبياء من حصن اديما كي يفيد تلك الحادثة

التي نقضت ذمامه وكان يؤمل بالانتقام منها فحساب الامل فاشتدت عليه العموم
وتنازعت المهرم حتى ابتلاه السقام واعتقره الحمى عدة ايام

﴿فصل ثامن عشر﴾

محكمة البارون لوران

لما قبض على البارون لوران في باريس ستمها بمحاولة قتل صهره ارسلته الحكومة
مخفوداً الى نيس حيث التي في السجن ليحاكم فيها في اليوم المضروب للجلسة فبعت امراته
واستأجرت منزلاً قرب سجنهم باكله ونعني بكل لوازمه عناية المرأة الفاضلة برب بيتها
اما القوم في نيس فكانوا لا يتحدثون الا بهذه المسألة ولا يلهجون الا بالحكمة
وكأنوا يرغبون بامرهم ان يحضروا تلك الجلسة وقد اعدوا لهم في رصاعة المحكمة
مقاعد قبل عدة ايام حتى امتلأت ولم يبق لاحد محل فصارت الكراسي المأخوذة تباع
وتشتري كالسلع فارتفعت اجورها ارتفاعاً فاحشاً وصل بها الى عشرين ليرة اجرة
الكرسي الواحد

وكان من جملة المستعدين لحضور المحكمة الاميرة زامركو وبصحبته ليونيدة
واخوها جيس باركلادي ومنترفيو الذي كان قد عاد من يوريك وقد خطه الشيب
حتى خيل انه تقدم في العمر عشر سنين لا قاسى من مضى الاكدار وغصص الدهر
بجسوة امه من الاثار فضلاً عن ان الحمى كانت قد انتهكت في يوريك اياماً فلما عاد
اغضى عن القذى وتظاهر بالتودد نحو ليونيدة كأن لم يكن شيء

فلما كان الاجل المهود غصت باحة المحكمة واروقتها السفلى والعليا بمحلق كثير
فجلس القضاة على كراسيهم وحي بالبارون لوران متبض الوجه لكن ساكن البال دابط
الجلش كانه امين من بزاره وهو تتحمل بلبته بشكر كما تحملتها امراته بصبر جميل وقد
ايقنا كلاهما ان الحكومة وان ضلت حيناً فلا تضل دهرًا ولا بد ان يتكشف وجه
الحق يوماً

فشرع رئيس المحكمة باستنطاقه واتهامه اولاً باتيان الخلل في ادارة اعماله

التجارية ومد يده الى الامانات الموثق عليها لاسيا الملايين الثلاثة خاصة ابنتي اخته فانكر البارون هذه التهمة كل الانكار واطن ان عمله التجاري قد اصابته ازمة مالية من افلاس بعض البيوتات التجارية كما اصابته كثيرا غيره لكن لو لم توقعه الحكومة لكان واصل اشغاله واصبح ذلك الحلال بالحكمة

فاخذ الرئيس يقص على رصفاته القضاة اعضاء المحكمة خلاصة حياته التجارية قال : كان هذا الرجل منتجها نفع الاستقامة وحسن المعاملة في السنين الاولى التي تولى فيها ادارة المصرف الذي كان لوالده فاكسب منه ارباحا عادلة ولبث على هذه الحال مستقيما الى ان فوض اليه الوكالة على مال ابنتي اخته فتغير فجأة وساءت حاله

فصحح البارون كلام الرئيس وقال : اني كنت ولا ازال جاريا بحرى الصدق والاستقامة اما المبال المحبوس على ابنتي اختي فهو وصاة من عمتي كانت تريد تخصيصها بشقيقتي لكن هذه تزوجت برجل سيء السيدة خلافا لرضاها ورضاي فخافت ان يتلف المال فحوّلت عمتي الوصاة الى الابنتين على شرط ان يبقى المال هندي واعطي ابريسما ربه الى ان تبلغا اشدما فارده لهما كما وقدره ثلثة ملايين فورك

فلم يلتفت الرئيس الى هذا الكلام بل استأف ايضا قال : ان احوال البارون لوران التجارية قد اخذت تتضع منذ سنتين نعم لم يكن ذلك كله بذنبه لانه خسر مالا جزئيا بافلاس بعض التجار لكن لم يكن ليبرا من اللوم لانه اندفع في المضاربات التجارية وانكب على اعمال البورصة فاضاع قسما كبيرا من ماله فعرضاً عن الارتفاع عن هذه الاعمال الخطرة مد يده الى مال الابنتين القاصرتين وجعل يتصرف به كيف شاء فاضاع منه نحو نصف مليون ولو لم تأت هاته الحادثة فتضع لذلك حدا ولو لم تستول الحكومة والحالة هذه على ذلك المال لكانت الحسارة ابلغ واقطع ٠٠٠ وهوذا اوراق الدخوى تنطق باتهامك ايها البارون بامك قتلت انكنت سنقرمون لانه طالبك بمال ابنتيه

اما البارون فكان قد احنى رأسه خجلا عند ذكر تضعاع اعماله وحزننا على سوء حاله لكن لا وجه اليه الرئيس التهمة الاخير فرفع رأسه وقال مدافعا عن نفسه : كنت

دائماً محزناً غام الحرة في ادارة مال الابنتين ولم يكن عليّ الا ان أؤدي ريمه لاهلها
واجهزه يوم بلوغهما اشدّهما وقد قنت بذلك خير قيام .. فلما بدت افلاسات بعض
اليونات التجارية فجأة واضطرت الى اداء قسم كبير من المال لم اكن مديونا به بل
كافلاً له استنتت بشي من الودية ولكن قصد رده في اول فرصة وبرهاناً لذلك عندما
طلبت الحكومة مني تلك الودية أقلم أؤد لها ثلثة ملايين فرنك كاملة
فاجابه الرئيس : هذا صحيح ولكن لم تكن تستطيع ان تصنع ذلك لو لم تبع عقداً
لامرأتك التي لو أبت عليك يمه ٠٠٠ - انا وامرأتى واحد
- هب ذلك صحيحاً ولكن لا بد لسان نشهد انك لولا حبة امرأتك لك
لكننت عاجزاً عن اداء الودية وكنت تحت طائلة التهمة بانتك حرمة الامانة . والان
انت على حرف الافلاس ولا تخفي ايام قليلة الا وانت في هاريت
- لو لم توقفي الحكومة لكنت اتخذت المحرمات دفناً للافلاس
- هذا ليس من بمحتا الان اما الشيء الذي علمه فهو اذك في حين انبساكك
بياهته الازمة جئت الى سيز ونازعت اختك لتعترق عن زوجها
- له افعل ذلك الا لان صهري كان سانكاً في طرق الفساد مسلماً ذميماً حتى
انه في ليله ذلك الحادث لم يرقد في بيته - ما هذا بسبب كافٍ لازعاج راحه
الزوجين لان اكثر الرجال في هذا العصر على هاته الحطة سانكون والنساء يفضضن
عنهم الطرف مسامحات فكان اولى لك ان تصح صهرك على حدة لان تشير عوامل
التيرة في صدر شقيقتك ومن المقرر لديسان الكنت سنقدمون ولئن لم يكن اميناً
على عهد الزيمة قد كان حسن السيرة مع امرأته لطيف المعاشرة محباً لها ورعماً عن
اشتداد التزاع بينك وبينه يومئذ حتى أدى به الى طردك من بيته بلقنا انه قضى سائر
التهار على احسن ما يرام من الوفاق مع زوجه واولاده ولم يبارقهم الا بعد الظهور
بساعتين حين ذهب الى يس للاجتماع ببعض اصحابه لا للملااة احدى معشوقاه
كما اتهموه ثم عاد المساء الى البيت ليذهب الى يس لشهود حطة المساخو فقي هاته
الساعة اطلقت انت الى سيز

- نهم — وشاهدت صهرك نازلاً من العجة — كلا
- سيملك انت ان تنكر امسا نحن فتواصل البحث عن الحقيقة فانك تثبت صهرك من وراء وراء الى الحزن الذي استأجرو منه ثوباً يلبسه تلك الليلة ولست تستطيع ان تنكر انك ذهبت يومئذ الى ذلك الحزن
- ذهبت ولكن لم اجتمع بصهرى وقتئذ وكان الحزن مكتظاً بالخلق
- انك انتهزت الفرصة لتنظر اى ثوب يستأجروه صهرك ولا لبسه أعطته بثلاثة حروق من وراء حتى تستطيع ان تميزه بين الحشد الكثير في الموكب
- من الحال اتسامي بهذا الجرم في حين لم يكن معي سلاح
- لقد كنت احزن من ان تظهر سلاحك قد اخفيت حتى استحتمل على رجال الدرك كشفه الا انك لوفوة دهائك قد التفتت من تحت الجرم خجراً كان لشقيقتك واريته لرئيس الشرطة حتى توهم انها هي الطائفة له في ساعة فضها قبة منه
- لله ماهذه التهمة العظيمة واشقيته — وفي هذا الوقت عينه ارسلت شريكك في الجريمة الذي عثنا حاولنا البحث عنه فلم نلق له على اثر الى سيميز حيث دفع الى امرأة ان كنت ستقومون كتاباً . غفل التوقيع مكرراً الشكوى التي بدت منك في الصباح نفسه
- فلما سمع البارون لفظة شريك بالجرم اتسم اقسامه ساخم مزدري ثم صرف اسنانه وقال « يا المجنون كل هذا جنون » ثم لبث صامتاً لا ينطق الا ببعض الفاظ منردة في حين كان رئيس المحكمة . واصلاً سرد سائر الحوادث الجارية تلك الليلة حتى مل الجميع من اسباب الدعوى وتفصيلها
- ثم جمعي . بعدة شهود من خدام ان كنت ستقومون وصاحب مخزن الثياب وغير اشخاص ولدى استطاعهم واحداً واحداً لم يظهر من اجوبتهم ادنى شيء . يس البارون بسوء حتى وصل ان كنت ستقومون وكان قد برى من جرحه نكته كان ضئيلاً ممتنع الوجه فاشترأت اليه الاعناق واركن الجميع الى الهدوء كأن على رؤوسهم الطير
- فطارحه الرئيس عدة اسئلة لا طائل تحتها لم يظهر منها ادنى شبهة براءة البارون

ولما اعلنه الرئيس ان ابن حميه متهم بالجريمة عارضة بشهادة تقتضيها الذمة والمروءة قال
 « لقد انخدع الجميع في البحث عن الحقيقة حتى الحكومة نفسها لم تهتد الى اثر منها
 فرغما عما بيني وبين ابن حمي من التنفوس والحسام لا اظن البتة بأنه مجرم ولا يمكن ان
 يتعرف هذه الشكرات وكفاه ذنباً انه أثار غيرة زوجي الأسوف عليها (وهنا مسح
 عبراته ثم قال) وها انا اذا اشهد امام الله واقسم بشر في انه براء من جريمة محاولة
 قتلي في وسط المشهد في ليلة الساهر ومن قطيعة خطف ابنتي... اواه ابن حمي
 ابتنائي وحشاشة قلبي »

— فان كنت هجرى، ابن حميك من هاتين الجريمةين أفلا تتهم احداً او تظن
 باحد انه فاعل لها لتعاون الحكومة على كشفها

— لقد امنعت النظر طويلاً فلم اجد لي عدواً ولا اتذكر اني اغضبت احداً عليّ
 فاطن بل اوكد ان الضارب قد انخدع لي وكان يريد غيبي ضربي سهواً لانه
 استحال عليه تمييز عدوه في هيرة ذلك الحشد العظيم

— ولكن أنى اتت تلك الحروق في طيلسانك على شكل زاوية

— قد يمكن ان يكون ذلك من شعلة لماتق التبغ وكان المدخنون حينئذ مئات
 عديدة — فان كان طعنك قد صار سهواً فلا يمكن ان يكون خطف ابنتيك
 قد تم كذلك

— واحسرتاه اني على يقين ان فاعل الجريمةين ليس بواحد ولا علاقة للواحدة
 بالآخرى لان الرجل الذي حمل الكتاب الى امرأتى لو كان عارفاً بما يجري لي في ليلة الماخولما
 كان اخبرها بموضعي الحقيقي بل لكان دلهما الى مكان اخر فلا خلاف وحالة هذه
 بان مقترف الجريمة الاولى هو غير مقترف الثانية وانى ممتد ان خطف ابنتي انما كان
 من بعض قطاع الطرق الذين اتخذوا خطف الناس حرفة لينالوا منها العدية العظيمة من
 المال لكن لما سمعوا بانى طمنت في تلك الليلة خافوا من اظهارها لتلايتهم بانهم
 هم الذين حاولوا قتلي ولذا سأشر في الجرائد اني اسامح اولئك الحظفة ولا احاكمهم البتة
 وانى مستعد لادفع كل ما يطلبون من المال لاقتداء ابنتي العزيزة

بالتحقق الباردون لوران من كلامهم ولم يصدقوا ما قالوا بل ذهبوا
 بالصدق ولما عما يتبعهما من القصور فجاءة لم يفعل الا ما اضطره اليه الواجب
 ثم استأذن ان كنت بالاصراف بحبته ومن صحتة فخرج وجي. امرأة لوران
 لاستطاعتها فدخلت قلب جوي. كأنها واثقة بان القضاء لا يحسبون الا بالعدل
 فسالها الرئيس ان تقص ما تعلم من حوادث ليلة الساخ
 فتحدثت وقالت : لقد كان ذلك اليوم من اسوأ الايام لان زوجي عاد صباحا
 من بيت شقيقته مغموما وقضى كل نهاره كاسف البال حتى جاء المساء فاحلحت عليه
 ان يأخذني الى مركب الساخ تفريحا لكده

فقال لها الرئيس : لكن قبل ان يذهب الى المركب قد غاب عنك نحو الساعة
 - سم من عادته حد المشاء ان يدخن سيكارة خارج البيت ترويحاً للنفس
 فتمز الرئيس سائر الاعضاء استغنائهم الى ذلك التعب نحو الساعة و اشار الى
 المرأة ان تستأف الحديث قالت : لا طام من زهته كان منشرح الصدر ساكن
 الجأش فمن المستحيل ان يكون في تلك البهجة للقصة قد ازم تلك الكبد على صهره
 - تكن بعد ان ذهبنا الى المشد غاب عنك ايضا نحو ربع ساعة
 - نعم كان ازدحام الحشد عظيماً لا اعلم كيف اتفرق عني بعض دقائق
 - ألم تحتصي بزوجك الا عاب - x الجرح

فاحت رأسها لان لسانها اعتل عندما شاهدت ان قران الحادثة تؤيد التهمة
 وكان الرئيس قد استلقت انظار القضاة مرتين ثم قال للمرأة حسنا الان قد سمنا
 ما كنا نحب ان نسمع ما تصبت وصيخ من صميم مرادها « انه بريء بريء اقم
 نكه ائه بريء » ثم اطرحت على القعد وقد اغني عليها
 فاطن الرئيس توقيف الجلسة وتأجيلها الى اليوم التالي

فلما انقضت الجلسة ادهم الناس يخطون في بوادي الحلس والتضيق بشأن
 نتيجة المحاكمة وذهب كل منهم في ذلك مدها حتى ان القاسرين قد ابدوا عدة
 مراهقات ولم يكن حديث القوم تلك الليلة الا في هذا وقد عيل صهرهم في انتظار

للتهاد الجبل ليجتلاوا صبح التنبية

اما الاميرة زامركو فكانت اشدّهم اشتياقا الى الوقوف على الحكم وكانت تسأل كلامن زوارها رأيه فلما سألت ليونيدة ارتأت ان البارون لوران يردّأ وسألت متوقّية قدّرد اولاً عن الجواب ولا ألحت عليه ارتأى رأي ليونيدة محجة ان لم يوجد في اجوبته ادنى شيء. يؤيد اثبات التهمة عليه وانما قال ذلك لانه كان يجب ان يردّأ ساحة كي لا يحصل صـ. وزر جديد باهلاك هذا البارون المسكين فلما كان اليوم التالي اقبل الناس الى المحكمة افواجا وقد ظنوا ان الجلسة تطول فاخذوا مؤونتهم من الثقل والحلوى وبعض المسكرات

ولما انتظم عند المجلس جاء البارون وعلى وجهه امارات السكون والاعطمتان لاثمة كأن قلبه النغمي دله ان الحق يلو فلابد من فوزه بالتبرئة خلافاً لضمين الذين حينما يستعدّون لجلسة الاخيرة يتولاهم الخوف والرعب ويتمتع بوجوههم وتبدو عليها علائم السهاد لعدم الفة الكرى لميونهم تلك الليلة

قد اعتاد القضاة ان يحقّقوا كثيراً من التهم بمجرد النظر الى هيئة المتهم عند حضوره الجلسة الاخيرة فلذا كان سكّون جاش البارون سبباً لاقتناعهم ببرارته قسام المدعي المصري وقرأ حلاصة ما يدعى بمعلى البارون فانتصب الحامي وشرح ببسط الحجج والادلة اندامعة درءاً للتهمة واثباتاً للبراءة فكان لکلامه وقع عظيم في الملوب فدخل الاعضاء لفرقة المذاكرة بضع دقائق ثم عادوا قاعن الرئيس براءة البارون فله يطلع لوران الا بكلمة الشكر ثم سقط مضى عليه من شدة الفرح

فاقبلت عليه امرأته مبتهجة وادّته فافاق وانتش لمآها وقال لها هيا بنا لمشاهدة ولدنا هو بر ثم خرجا يخرقان صفوف الحشد الذي كان يهنئهما وكانا يسطمان على جانبيهما تسط المتقارمين يتنازسون بسبب دعواهما والراجمون يتقاضون من الخاسرين دهنهم وفيما كانت الاميرة زامركو عائدة في عجلتها مع ليونيدة الى قصرها دعت متوقّية ليراقبها قلبى الدعوة وفد لاحظ لأول مرة بعض تغير في وجه ليونيدة وقامتها فتحقّق انها حامل وانه خسرهما للابد فحقّق حقاً شديداً على انه كظم غيظه ولسان قلبه

يتاجبها : ثبأ لك يا شقيقة ما اشد كيدك فانك ارضاء لهواك قد مجلت موب حليلة
وسيت موت او اخفاء ابنتها وخربت ريت رجل كريم لان البارون لوران المسكين
لم يتخلص من تهمة الحكومة الا ليقع في ورطة جديدة ورطة الافلاس نمسا لك
يا غادرة قد اكرهتني على ركوب المعاصي والجرائم بغير جدوى ولكن سائتم منك ولا اخذن
بأثري وثأر جميع ضحاياك ولا صبرن على افضا ولو عشرين سنة ولكن لا بد من
ساعة تأنيك وان غدا لناظره روب

﴿ فصل تاسع حشر ﴾

بعد عرس اويندة

ما برحت ليوبدة تعود حلسها العليل تغدو وروح الى بينه حتى شفي وكان يرد
وتملص من اسر حبها لكنها خلبه واكرهته ان يرفها اليه عاجلا فعده له عيب وانفرد
معا معتزلاً عشرة ايام ثلاث سنن اجتنائي خالها غار الانس دانية الضلوف وقد
ولد لها صبي بعد الزفاف ببضعة اشهر قم للعروس سحده ورفص لها دهرها

الا ان سنترمون الذي اعتاد معاشره الطرقاء وموانسة الارانس قد سمع العزلة
كل تلك المدة ومالت نفسه الى اللهو وشهود المراقص والحفان واول مرقص شهده
مع عروسه بعد تلك الحسرة كان المرقص البديع الذي عساه الاميرة زامركو ايام المرامح
ودعت اليه كثيراً من اطفا الاكابر واجمل الحدرات

فلما دخل سنترمون مع عروسه اندهش المدعوون من ذلك الجمال الرائع واقصد
الايف واقبلوا يهنئون بها مرحبين بها وكان بينهم من ترفيو فنفس لقلب تلك
الجوهرة اليتيمة ولكن طوى كلده ومشر على عيها البشاشة فصالح العروس يدها
وهناها وطلب منها فرقة ببعها الذي تلتف به وعقد معه ربط صداقة متينة حتى
ان سنترمون دعاه لزيارته في قصره فوعده وهذا غاية ما كان يتحى

وكان لمرقص الاميرة زامركو ربة في الجوارح الباريسية التي وصفت الحلفة واطنبت
بها ليوبدة وجمال ملابس حتى شوقت جميع معدي المراقص ان يدسوها مع بعها

الى سهرات المرافع ومراقصها العديدة وقد سراً كلامها ودعياً في تلبية الدعوات لانهما
انما من الانفراد لكن ليونيدة ندمت على فتح هذا الباب الذي يؤدي بزوجهما الى
التطوح في العشرات ويدفعه الى سلوك غير سبيل الرشاد عائداً الى ما كان عليه ايام
زوجه الاولى من الانغماس في الملاهي والتكرات

وقد صدق ظنها فان اصحاب سندرمون ما كادوا يعلمون من ابياء الصحف انه
خرج من خلوة حتى اقبلوا عليه اقبسال الظلمآن على الماء واخذوا يتنازعون استائته
الى الالصاب والشتريات فاندثر من باب اخفاء ان يجذبهم وجعل يفضي الجلاب
الاكبر من النهار بعيداً عن عروسه التي كانت تنتهي عنه بداعية ابنها ارثور
وكان مترقبو اجابة لدعوة سندرمون قد غشي قصره مرراً فانفق له يوماً انه
صادف ليونيدة وحدها في الحديقة تلاعب ولدها فحاطبها قبل السلام بهذا الكلام :

ما اسعد حظي اليوم بمصادفتك وحدك ذلك ما ١٠ الما كنت اثناء واليه تتوق فسي
وقد شاهدت هذا الصباح زوجك مسافراً للاجتماع باصحابه قصدت واجهتك
فتشاءمت ليونيدة من هذه الزيارة الصاحبة واوجست ان يكون وراءها ما
يسعد صفاء عيشها على انها تجلست على ملاطفتها وبست في وجهه وقالت اهلاً
وسهلاً بالصديق القديم قد حصرت في حين كنت ارجو حضورك لان عندي شيئاً اريد
ان افوضك فيه على افراد

فسر مترقبو من ترحيبها والتفت الى ابنها وحمله على ذراعيه قبالة فصفعة الطفل
على وجهه وخدشه قليلاً فبسم وقال : هو خير كاسر نظير ابيه
- اعنذه فهو لا يعرفك بعد

- سيرفني ان شاء الله ويستبرني كصديق مخلص

فاستدعت ليونيدة الخادمة فذهبت بالولد الى القصر ولا خلا الجوف قال مترقبو
يسرفني ان اراك على غاية ما يرام من السعادة ورغد العيش واني انبسط سكناً
ذكرت انك مديونة لي بالقسم الاكبر من سعادتك فلا اظنك تستهجنين طليبي اذا
سالتك لنفسك من تلك السعادة صيلاً ولا سيما انك اوسعت لي في قلبك مقاماً

فسيما كما وعدني ولذا اراني الان اسمد البشر لان محبة امرأة مثلك هي لدي افضل
من كل كنوز العالم — هل صادق انت فيا تقول

— ولماذا لا اكون صادقا ولماذا ترانين بحبتي فهل ازعجتك بشي منذ ثلاث سنين
أو لم ادعك تفتنين فوزك بل الحرية

— ان اردت ان احمل كلامك على محمل للصدق ليس العزيم وان اصدقك
تصدقاً فساخذني على اصلاح الضرر الذي صنعناه كلانا في يوم غضب اجابة لداعي
الانتقام ٠٠٠ رد لي تينك الابنتين اللتين اخيمتهما فانهما لم يصنعا لك شراً وكثيراً
ما اعربت عن شقتك عليهما وقلت لهما يريثان

— لكن هل ذهبت يا عزيزتي ليونيدتا اني لم اخطف البنيتين من حضن ابيهما
الا اثاراً لاشارتك واجابة للاحاحك علي

— واحسرتاه يا حبيبي تصال لي ما كان اشد جنوني ولا لي اني كنت ومقتدر
ردية شريرة قاسية وانت كنت تثير في صدري عوامل الانتقام ٠٠٠ اواه انا اتينا
بذلك فعة شناعا — لكن اسمحي لي ان اذكرك انك

لولا هاته الفعة الشناعا لما كنت الان امرأة لكنت ستقومون

— والوعته هل اتيت الان لتثيقديم اشجاني وتهزأ بي

— كلا لست بك هازناً بل اتعجب كيف يغرك ضميرك من جراءة كانت
علة غبطتك في هذه الدنيا — ما همك لو رددت لي هاتين الابنتين

— ان حيي لك اعظم من ان اكد رصقاء عيشك باعادة الابنتين لان ستقومون
عند الحصول على ابنتيه تنقص محبة لك فيها الآن في حزن حيزوامن وسلام فدمعها
وشأنها ارنى لك ولها — تباً لك من ما كرخيت تريد

ان تحفظلها الى ان تسخ لك الفرصة فيجودعلينا بها سيف انتقام الان عرفت مرامك
— حاشا حاشا بل لا اعلم اين هما الان

فتميت ليونيدة من الغضب وعنفته وكذبتة اما هو فلبث ساكن الجاش
وقال لها :

اقسم لك بشرفي يا عزيزي اني حسب امرك واديتهما في الاقطار الشاسعة حتى
اضعتهما واصبحت الان لا اعرف لها موقراً ولكن لا اعلم سبب طلبك لها ولا اية فائدة
لك منها ما لم يكن لك من دراهمها طمع بثلاثة ملايين القرنك التي لا يؤخذ
لاحد بمسها — افـ للبال ولحيه فاني من كرم الله غنية لا حاجة لي به البتة
— ان لم يكن لاجل المال فلاجل تقييد بملك بحببتك التي اراها قد قربت
بترده الى الملاهي والمراقص ونواصي الاناس ولا بد ان تكوني قد لحظت من
ذلك شيئاً من يوم اخذ هذا المصفور يطير من قصره احياناً لمحاورة حور العيود
— صه صه — لا لا اسكت فلي كلام احراقوله

لك قد ظننت يا عزيزي ليوندة انك تضرينه بحبيبتك اذا ردوت له ابنتيه فينقاد
لامرك صاغراً ثلاث سنين اخرى فهب انه يحفظ عهدك هذه المدة فما انت صانعة بعد
لتطلي اجل حيه لك فاعلمي انه مهما احبك فلا يحبك تدرودة من شغفي بك فاني
اصكاد اذوب شوقاً اليك يا شقيقة الروح — اياك ان تراودني ايضاً بمثل هذا
الكلام والا شكوتك لزوجي

— بماذا تشكيني لزوجك ياترى هل تقولين له انك لكي تستطعي الاقتران به
امرتي ان اخلف ابنتيه وافرقهما في الارض هدفاً للشقاء ويل لك ان نطقت ضدي
فكنت شقة امام الكنت فلن تغلتي من يده ولا من يد الحكومة . . . وهل ذهلت
اننا كلانا ملتزمان بحفظ السر الذي يوثقنا توثيقاً مكيناً بحيث لا يمكن احداً منا ان
يفكر في اسقاط الاخر دون ان يسقط هو نفسه

وكان متغفرو في خلال كلامه يرمي ويذب بينين تبعتان شرراً وبلهجة تهديدية
حتى خافت ليوندة وقالت له خفض عنك قلعل احداً من الخدم يقتصت فيسمنا
— ان شئت ان البث هادئاً فلا تهددينني البتة ولا تجبريني ان اسمي اليك
اما بشأن الابنتين فانت تعلمين اني اريد خيرك يا ليوندة وخير هذا الطفل اندي
صغفني الان فلماذا اجعله يحسر اربعة ملايين فرنك
— لم اقه معنى مقالك

— الاترفين الامور المالية فهاذا اشرح لك : ما دام اعتبار ابنتي انكنت ستقدمون غائبين يسوغ لزوجك ان يقبض لثنتين الف فونك سنوياً وهو القسم الذي صيته له الحكمة من ربح المال وعما قريب يؤذن له بتناول الربح كله ولكن بعد ثلثين سنة تعتبر الابتان مخيفتين او مائتين فوريشهما ايومها وحينئذ يسحبون المال مع فوائضه المركبة قد بلغ مجموعه الى الاربعة الملايين فاذا ربح ابلك هذا المال يوماً فيكون الفضل فيه لي دون غيري فهل تشكين بعد ذلك بجي لك والحرص على صوالحك — ما كنت طوال عمري لا اكترث للمال

— ستكرئين اليه يوماً عندما يتلف زوجك كل مالك ويضك ثاب القتر... ومع ذلك ان شئت على كل الاحوال ان ارجع الابتين الى والدهما...

— فلما سمعت ليونيدة البارة الاخيرة انتمشت روحها وقالت له بلهجة اتهال اشكرك يا عزيزي على انك رضيت اخيراً باعادتها لاني اعهد انك طيب المنصر . ولست بذاتك رديناً الا ان الغضب قد اعمى بصرك ولكن ما لبث ان طردك رشذك وثاب اليك الصواب

— وحياتك اني لست رديناً به ولا اطلب شيئاً اكثر من الاخرين وقد جئت باليونيدة اقول لك هذا: اني صديق زوجك وصديق يتك ومنك لست اقتضي الان شيئاً... فان زوجك يخذلك اليوم وقلبه يتعلق رويداً رويداً بسواك من الغايات اليوم باحدى الراقصات وغداً باحدى الممثلات واخيراً ببغية يقطرها لحسابه على حد هذه الساعة انتظر — ما عساك يتخطر با ترى

— ان تطلي من يزيك ويقوم مقامك لديك

— صه با شتي واغرب من وجهي سريراً

قام منترفيو وحمل قبضته وتركها غير مودع وهو يقول : انت طلبت مني شيئاً وانا اقتضيت منك لقاء وهذا المثلن يتم القدر ولا سبيل للحياة او الكدر فان زوجك سيترك يوماً فتأخذين بدله عاشقاً فاناراحالة هذه اولى من غيري

— كلا لا انت ولا غيرك فاني بذلت نفسي في سبيل زوجي مرة قلن انك عهد

مانته ما دمت حية ولو تركني والا كنت احقر سائر الخلائق حتى البهائم

— اصنعي ما بدا لك

وكان قلب ليونيدة قد نفطر من شدة الامى فبكت بكاء مرّاً وقالت في نفسها : وقت الانتقام وانى وهذا اول الخماض . وبعد اسبائها العبرات سيولاً اضلقت لشاهدة ولدها قالت به قليلاً لكنها كانت تنتظر قدوم زوجها لتعزى به لانه كان يرأسها ويحميها ويقص عليها كل ما يسمع ويرى في بحر النهار فلما جاء عند المساء قابلها على خلاف عادته وجه صبور وجلس معها على المائدة وآثار الكدر على وجهه لانحة فلما اضرف الحلم وليتا وحدهما سألته عن سبب كآبته فاخبرها بان ابن حيه البارون لوران محتضر على سرير الموت وقد بلغ به القدر والتمس الى حال يرى لها حتى كاد يموت جزعاً

فتزل هذا الخبر الفاجع على قلب ليونيدة طول الساعة فصاحت في لجة الحزن واخذت تتأمل في ان الذي لم يتعرف من الائم شيئاً قد انتهى به الحال الى هذا المآل فكيف تكون حالها وماذا خبيء لها من العذاب الاليم . على انها ارادت ان نفيته فقالت لزوجها . نحن من فضل الله اغنياء فلم لا نسفك يسير من المال — لا اظن ان يقل ١٠ شتاً

الفصل العشرون

في موت البارون لوران

لا شك ان الآلام الادبية هي اشدّ صلا في قتل الناس من اعظم الامراض الطبيعية خطراً فقد تولى الغم قلب البارون لوران منذ سقوط مصرفه وقد صدق من قال ان البسارون لم يفلت من شر تلك الدعوى المشؤومة الا ليقع في شر الافلاس وانذا لم يدم فرحه ببراءته الا ليسة واحدة وهي اللبة التي سافر بها مع امرأته من نيس الى باريس بعد نهاية الدعوى

فبعد ان طلق البسارون ولده هو الذي كان يظن ان والديه سافرا للتفتيش

على ابنتي خاتمة الخطوبتين اطلقتي حالاً الى صرغفه فاحاقت به الصوم من كل جانب لان جميع عائلته قد قطعوا صلاتهم معه ولم يبق له اقل ثقة عند اخلص اصدقائه اما اصحاب الاوال المودعة في صرغفه فكانوا يأتون في مواعيد الاستمقات لقبضها لتقدم كل امنية فيه فاضطر سداً لديونه ان يبيع كل ما ملكت يد امرأته لان ثروته الخصوصية كان قد قدها . نذا اشتغل في اعمال البرصة التي ترزع اعظم البيوتات المالية وتقوضها تقويضاً

وكان كلما قد كفا من المال يزداد . يلاً الى المضاربة . وشتى الاسهم المختلفة فلم يخدمه السعد ولا يوماً واحداً بل كانت الخسائر تتوالى عليه حتى امسى اقرب من ابن المذلق وجعل يلن الساعة التي تعلق فيها على تلك الاشغال الخطورة التي كانت قد فرته اولاً بجلالة ارباحها فزلت . فقدم الى دارها حيث غرق كل ثروته ولم يخرج من ذلك البحر العجاج الا عرياناً

وكان البارون واثقاً بصداقة الوف من الاصحاب والحلان الذين كان يكرمهم ويفهمهم فلما تلت المصيبة تفرقوا عنه كمن عثرة جرباء وامسوا لا يعرفونه واذا صادفوه بالطريق حولوا ابصارهم عنه حتى ان كتابه وخداشه انسهم تركوه هاجرين

وكان البارون الي النفس قائف . من عار الافلاس فجمع ارباب ديونه وقص عليهم ما جرى له وفدمهم قصره وحلى امرأته واثالث بيته فاجتمع . منها ثلثائة الف فرنك لغاء دينه البائع مليوناً وثلثائة وخمسين الف فرنك فاكفوا بهذه التصفية وعدلوا عن اشهار افلاسه وشهدوا جميعاً بشهامته وصدقه فتعزى بذلك من المقود على نحو قول الحكيم « الصيت الحسن خير من المال المجموع »

على ان البارون رغمًا عن ترك كل شيء . يملكه لوقاه دينه كان منقص العيش غير ناس انه بقدمه مليون فرنك قد اضاع مالا جزيلاً على كثير من الارامل والعقراء الذين ائتمنوه على دراهمهم فامسوا بسببه تمساء كل عمرهم وكان مجود بهذا الفكر نظير سم قاتل افسد مورد حياته فانتابته الامراض ولم تحض بضمة اشهر حتى اشتعل رأسه شتاً وابتلي بداء الصدر الذي اخذهمم هكل جسمه وها فموا

اما امرأته فحصلت مصايها بصبر وشكر واضطرت بعد ذلك المز الرفيع ان
تخدم اصغر الناس للحصول على قوت زوجها ولدها فكانت تعلم القتيات الضرب على
القانون (البياض) وتشتغل في اوقات الفراغ بتصوير بعض اللعب المعدة للبيع فتفتي
من دخلها على بيتها وعلى تربية ابنها هوو الذي غدا باقة بين كل رفاقه ومخايل النجاة
تنهى عن فرط ذكائه

لكن الداء كان يزداد على لوران اشتداداً حتى دنا به من حافة اللحد وحينئذ
عرف ستومون بتقص حاله واخبر ليونيدة بانه عزم على عيادته واغاثته

وكانت امرأة البارون تكروه ستومون اعتقاد انه العلة الاولى لحراب بيتها فانقطعت
مع زوجها عن زيارته منذ تلك الدعوى المشهورة ولم تشأ ان تفكر فيه البتة
فلما وصل الكنت الى بيت نسيه وكان حقيراً مؤلفاً من غرفة ومطبخ في
الطابق الاسفل وغرفتين للنوم في الطابق الاعلى اخذه انهال من تقلب الاحوال
وانتقال اسرة البارون الشريفة من قصورها المنيفة الى هذا المسكن الصغير فدخل
ستومون فشاهد امرأة البارون في المطبخ تعلم زوجها طعاماً فلم عليها واعتذر لها بانه
كان تلك المدة جاهلاً حالتهما واحتياجهما

فشذرة البارونة وقالت له ما انا بحاجة الي شيء واخذ له فهل رأيتني طلبت
منك شيئاً فاضطرب الكنت من هذا الجواب

على انه تجلد وقال ادراك قد تغيرت يا عزيزتي حتى لم اعرفك

— اجل قد تغيرت ولكن بقي في شيء واحد لم يتغير الا وهو كرهى لك ونفودي
منك — عجب كيف تتكلمين بلى الحوية

— لاني لا اعرف ان اكذب مثلك — ما كان احسنك ولكن مصائبك

قد ادخلت على طبعك الحدة والتزق كما ادى فلا بأس

— كلا فان البلايا مهما عظمت فلم تكن لتؤثر في البتة

— لقد اتهمتوني اني كنت علة مصائبكم ولكن اؤكد انكم في غرور

— كيف نكون في غرور والامر واضح ووضوح النور في حالكم الديجور الست انت

الذي امرت من بضك زوجي ونفورك منه يوم كان ادباب الحكمة حولك يرقبون كل كلمة تلفظها وقد ايتت بعض الفاظ مشبوهة توهم انه الجرم اولست انت الذي اظن ان زوجي وحده هو الذي ينتفع من اختناك واحتفاء الابنتين في حين انك انت وحده الان تنتفع بذلك ولم يكن لك الا غاية واحدة وهي الاستيلاء على ثروة ابنيك - عفوا ياسيدي فاني اعلنت على

رؤوس الاشهاد امام الحكمة اني .وقن ببراءة زوجك

- ماذا نفع اقرارك بعد ان سبق السيف العذل وكان الشر قد جرى لى زوجي لم يخرج من الحكمة الا ليقط في هاربة الافلاس الذي طعن فواده اشد من طعن المدي

- يظهر انك آسفة لعدم الاجهاز علي ولكن ما لنا وهذا الحديث فاني جئت الان مدفوعا من امراتي لاظفر في حاجتكم واساعدكم بما وصلت اليه يدي فقابلني اسوأ مقابلة ولكن لا بأس فاني طيب القلب ما صفعتك صمعا

- لست بحاجة الى صفحك ولا الى مالك ولا اطلب .نك الا ان تدعني وشأني

- لعل زوجك يقبل ما اعرض عليك من الاسطاف

- لا اسمع لك ان تشاهده البنة

- اذن ترغين في قطع الصلات قطعا باتا

- لقد انقطعت هذه الصلات على ما اظن منذ ثلاث سنين

فانذهل سنتمون وصرخت نفسة امام شهامة تلك المرأة الفاضلة وخروج مودعا لما يقوله : لقد صنعت المفروض كواجب على كل ذي قرني نحو قويه فرغضتني بكبرياء ما بعدها كبر بعد ان كنت تصفيني بالعجرفة فلا تلومي الا نفسك اذا قلت بك بلايا جديدة - لقد قالت لك واكرر القول الان لم

الجميع الى احد ولم اطلب من احد شيئا حتى اطلب منك فاذهب عني بحفظ الله

فخرج سنتمون متقبض الصدر لما اخذ من الحبل بعد هذا النشل ولسعة حيث اند عرب ضيقه كوخز الامر لتيقنه انه هو عة آساسة ذلك البيت الكريم على انه هو

كثيـه كأنه غير مكثـر وقال لند صنعت ما عليّ وأردت انهاضم قابوا فليصنعوا ما
شاؤوا ولم تستحسن البارونة ان تخبر زوجها

ولا ابنها بزيادة سنتمون فكثمت امرها طلي صدرها لان داء البارون امسى شديد
الوطأة وكان ابنه هوبر مشتغلاً في تلقي الدروس مجتهداً في احراز العلم وكان في
كل صباح يتلو على ابيه امثولاتاً ويرض عليه التارين التي يكتبها فيصالح له ويصحح
بالمناظرة على الجداول والاسمي لانجاز دروسه سريعاً ليتسكن من اسعاف البيت ورفع شأنه
وكان البارون يشر بانحطاط قوامه ونضوب ذين حياته ودنو اجله فاستدعى
في ذلك اليوم امرأته وابنه وجعل بينهما غريب انخلاله من الدنيا التورر ويستغفرهما
عما فرط منه تركهما فقيرين بذنبه فبكيا على سريره طويلاً وعزيا به بالطف الكلام
ودعوا له بطول الايام وكان قلب البارون يتناظى اسفاً على

اولئك الارامل والمساكين الذي استودعوا صندوقه اموالهم فحسروها بقلة درايته ولم
يكن ينكف عن ذكرهم نادماً حظه لعدم تمكنه من التعويض عليهم ثم ضم هوبر الى
صدره واستودعه اولئك الدائنين حتى اذا اقبل الرزق عليه وتوفرت ثروته عوض عاهم
اضافاً ثم قال له : مش يا بني شريفاً كريماً اخلق محباً للجميع ما دمت حياً لاني كنت
كذلك فبك اثق انك تعيد بت ايك الى بهاته الاول وتحيي اسمي وشرفي فها انا
راحل فدنني اعتمد عروفتك حين اقبل الى القبر والسلام

فاجش الولد بالبكاء واسابت امة من الهبات سيولاً اءا البارون فما اتم كلامه
الاخيرة حتى غاب عن الارشد واشتدت عليه الحشرجه واخذت جسده البرداء ولم يلبث
بضع دقائق حتى فاضت روحه فانكب الام والولد على السرير وبكيا ساعة ثم صليا
وقاما للاهتمام بتجهيزه فجمعت في اليوم التالي بنارته على نفس القراء ولم يسر وراءه الا
بعض خدامه القدماء واحد كتابه الذي كان اميناً لصندوقه وحسره وهو وحده من بين
كتابيه لبث حافظاً لوداد سيده

وكانت البارونة قد كتمت عن ابنها كل ما جرى لايها الى ذلك اليوم من
الحاكة والافلاس كي لا ينقص عيش صوته بتلك الاشجان فتسم حياته النضة ولذا لا عرض

عليها أمين الصندوق بعد الدفن ان يأخذ هويرو الى الحفل نفسه الذي استخدم فيه
ليدبره على الخدمة أبت وقالت له لا يكون اول استخدام في باريس ولا في فرنسا بل
في بلد غريب حيث لا يمكن احداً ان يرفقه بقوله « انت ابن الصراف المخلص »

﴿ فصل حادٍ وعشرون ﴾

سهاجرة البارونة وابنها

لقد سئمت البارونة الارملة ان تقيم في فرنسا ذليلة خفية بعد عزها الرفيع وعزمت
ان تهجرها الى امبركا رغماً عن شغلها وطنها العزيز فباعت ١٠ بقي لديها من الاموال
وعافت تلك الديار العاصرة والدمع ملء مقلتيها وانتهزت فرصة السفر لتعد ابنها
هويرو للعيشة الجديدة في ارض الغربة وقد ربه في ما يحب صميمه وكان ذكي الفؤاد فطناً
واسع الفكر ولو لم يكن الا في العاشرة من عمره فكان يسمع ويحي في قلبه كل شيء على
انه لا سمح ان اده مستعدة ان تشغل يديها في نقش الراوح للقيام باودهما ونقطة اقام
علمه في احدى المدارس عارضها بانة لا يدعها تحمل ذلك العبء وحدها بل عزم ان
يشغل في النهار ويدرس في الليل

فلما وصلا الى نيويورك واتخذوا لها مركزاً في تزل حثير انطلقت البارونة الى احد
بار الراوح حاملة اليه كتاب وصاة من عميله في باريس فاطلع التاجر على بعض
اعوذجات كانت معها فاعجبته فوعدها بالشغل ثم تركها والتفت الى مهنة اخرى فامتعضت
لانها لم تجد لديه من الاكرام ما كان لها في وطنها ولم تكن تعلم بعد ان « الوقت ضد
الانكايزر والامير كان دراهم » فكل ١٠ لا فائدة منه لا يستد به ولذا توفرت ثروتهم
وعظمت منزلتهم لحرصهم على الزمان فادت الى المتزل عند المساء ولم يكن هويرو فيه
قلقت لكن ما لبث ان عاد فرحاً يبشراً بانة وجد شغلاً وقص عليها ما يأتي :
خرجت من البيت عند الصباح واخذت التجول في الازقة مفكراً بوجوب الاستخدام
في اي محل كان وبأي معاش كان دون ان تظارولاً بطالة رغبة في تعلم اللغة الانكليزية التي

لا بدّ منها هنا اعتبار ان ذلك الاستخدام يعني عن المدرسة فشاهدت الغلمان يوزعون
 الاعلانات في الشوارع قلت ان لم يكن لي من الخدمة الا توزيع الاعلانات اكن قنوعاً فاخذت
 اعلاناً وقرأت عنوانه فاذا هو صادر من معمل يصنع الطيوب فذهبت الى صاحبه وعرضت
 عليه الخدمة فطارحنى بعض الاسئلة ثم ادخلني الى المعمل للزجاجات والعلب
 فاستصعبت العمل لاول وهلة وخصوصاً لاني رأيت بعض الغلمان بارعين مسرعين في
 عملها فافترغت الجهد ولكن لم يأت الظهور الا تودمت اصابعي وتألّت شديد حتى
 كدت ابكي فنجلت وصبرت ولا جاء المدير وظل شغلي قال « تما الشغل وانت في اول
 يوم » فنشغلي كلامه وانساني العناء وواصلت الكد الى المساء فلانّت اصابعي وألقت هذا
 للعمل فضمت الام الى صدرها ذلك الولد

الغريب وسالت عيالتها من القريح به ثم حانت منها التفاتة الى المنضدة فرأت عشرة ريالات
 فاندحشت وقالت اني لك الدراهم ولم نشتغل بعد الا يوماً واحداً

فتبسم للولد وقال لما كنت قد اخذت معي احدى الماروح التي تصنعنيها لعمي اسمها
 فلا يضيع نهاري سدّي فلما دخلت الى معمل الطيوب اخبرت المدير بمهارتك بنقش
 الماروح واريدته التي معي افوضكاً فاعجب بها واتفق حينئذ ان قد كانت عنده احدى
 السيدات فسألته عن ثمنها قلت لها خمسة عشر ريالاً اي ثلاثة اضعاف قيمتها في باريس
 لاني ذكرت اني قلت يوماً ان المعيشة تكلف المرء في اميركا ثلاثة اضعاف كلفتها في
 باريس فاخذ صاحب المعمل خمسة ريالات وترك لي العشرة وعيني ان اكون في محزن
 البيع لا تكلم باللغة الفرنسية مع المشتريين الذين لا يعرفون سواها وجعل راتبي في
 الشهر الاول خمسة عشر ريالاً

صانعت المرأة ابناً ثانياً وتوسمت فيه محاييل الدكاء والحذق والدراية
 والحساسة واكتسرت بانه لو كان مديراً لبنك والده لما كان جوى ذلك الافلاس

﴿ فصل ثانٍ وعشرون ﴾

زهرة الحقل

ما احسن ما قيل ان الصل والكد افضل من كل تزية فان البارونة وانها
 كانوا يجتهدان في الشغل متعاونين على القيام باودهما فكان ذلك الاشتغال باعثاً على
 زوال الحزن من بينهما وتناسي غمتهما وما مضت السنة حتى ارتفع راتب الفتى الى خمسة
 وعشرين ريالاً فظن انه صار غنياً واخذ يجر امة لترك القتل واستجار بيت خاص
 وتجهيزه بالاثاث فردت طلبه بحجة ان ما يربحانه كلاهما لا يقوم بنققات ذلك البيت
 ولم تحسبه انها كانت تشغل معظم الليل ونحوه قسماً من اجرتها حين الحاجة
 ثم انقضى الهم الثاني فتحسنت احوال هوبر واصبح يحسن التكلم بالانكليزية وجعل ينصب
 على تلقي بعض العلوم لنفسه منكباً خصوصاً على الفروع التجارية حتى برع فيها وطلق سلال
 الأمل بنجاح المستقبل كما نفع في ذلك العالم الجديد ائس كتيرون كانوا اكثر منه
 خمولاً وصاروا اصحاب ملايين ومليارات فاطلقت عليهم القاب الملوك فسمي احدهم
 بملك النحاس وآخ بملك الذهب وآخ بملك السكك الحديدية وآخ بملك النضة وتوفرت
 عندهم الخدم والماليك مع انهم لم يكونوا في بدء عمرهم الا قراء صايليك
 وكان هوبر طامح البصر الى العالي ياتق القلب الى جمع المال لا حبا به بل قياماً
 بامر ابيه الذي اوصاه قبيل وفاته باسترجاع ثروته المفقودة ورغبة في اتقاذ امة من متاعب
 الشغل والكد في التقش فلما تمت له السنة الخامسة في معمل العطر الذي اتخذه معرضاً
 للمراوح التي كانت تقشها امة توفرت وارداته من راتبه ومن مبيع المراوح فصار
 يتأتى في المعاش والملبس وكان قد بلغ مبلغ الرجال واصبح شاباً مليحاً مقتدر القوام
 جميل الوجه جديراً باستقلات اقطار القيد الحسن الا انه كان ادنياً مهذباً قلما التفت
 الى الرعونة والجهل كسائر الشبان لان قلبه كان مغلقاً دون تلك الترهات وكان ينتهز
 اوقات الفراغ للتضلع من الحساب والفنون التجارية ولا يخرج الى التزهة الا صباح الاحد
 راكباً جواداً وبصد الظهر يسير امة الى احدي الحدائق السوداء

ولما رأى احواله في فلاح استأجر داراً وأثنتها بما اتصلت اليه من الرياش والادوات اللازمة وبعد الانتقال اليها بمن يسير انبأ والدته مائة عول على الخروج من محل العطر فاساءت من هذا التبدل وظنت انه تقازع مع سيده فطليب خاطرها باعلامه لها انه على غاية ايرام من الائتلاف معه وقال لها : ابد طلمت كل شيء عندى وبلغت لديه منتهى الحد الذي يمكن البلوغ اليه فلا يستطيع فيما بعد ان يزيد راتي ولا يدر ان يتخفى ويسطيني مقامه فن نحو ستة اشهر اخذت اشتغل في ترتيب حساباته ومسك دفاتره فوجدت في ذلك منتهى لذتي ورايتني اني خالقت لحساب والمكانبة التجارية وقد تمكنت من ترتيب تلك الحسابات وتوحيدها مع اني لم اتعلم شيئاً من ذلك قبلاً وقد اتاح لي الحظ اليسوم ان اخبر احد مديري المصرف العمومي في نيويورك فامتحنني واستحسن ما رافني . . لكن عجباً . الى اراك يا امي قد امتنع رححك ونصرت الراك وكانت البارونة لدى اجتماعها لفظة «المصرف» قد انقضت واضطربت لاتها كانت تود ان ينسج انها في التجارة والصناعة لان مجرد اسم الصرافة كان يخيفها وقالت له . ان الحرفة التي رغبت فيها هي اكثر سائر حرف احتياجاً الى رأس مال كبير وادت لاحتلاك منه شيئاً واكتفت بايراد هذا السبب الطفيف دون الملة الحقيقية التي حملتها على الخوف من المصارف لثلاثه افكاره الى مصائب والده

فبسم هوو وقال لها ما حاجتي الى رأس المال فهذا هم المصرف لا كتابه ولا يخفاك ان مصرف نيويورك العام هو من الطبقة الاولى فان مديره المقيم في نيويورك يربح في السنة مائة وخمسين الف فرنك ومديري شعبه في شيكاغو وسان فرانسيسكو ولندن مائة الف وفي برلين وباريس ستين الفاً فلاتخني علي عشر سنين الا اصير واحداً من هؤلاء المديرين ان شاء الله

فلما سمعت البارونة اسم باريس اضطربت وقالت له لانه ان يخرج من نيويورك فاننا فيها على الرحب والسعة — يجب اذن ان تتفطري اكثر من عشر سنين حتى اصير مديراً لمصرف نيويورك

وقد ارب هوو عن نجابة فريدة حتى احبب مدير المصرف ونقله الى قلم الادارة

وجعلته من اخصاء كتابه وجعل معاشه في السنة الاولى ستة الاف فرنك فوجد هذا الدخل كافياً ليجمع والدته عن الاشتغال اليدوية وما بلغ السنة الحادية والعشرين من عمره الا اضحى شامة بين شبان العصر وقدة بالتهذيب والاداب واحرز لدى الالفة اعتبار العموم له ولما آتست منه الادارة الذكاء والنظنة اختارته ليمتسح شعب المصرف في جهات اميركا ويطلع على حساباتها ويفض عدة مشاكل مالية

فتكررت امه لاول وهه لابتعاده عنها على انها اذنت له معتصمة بالصبر فانطلق هو بر دقام بالمهمة المتدب اليها احسن قيام وبعد ان قضى في تلك السفرة نحو خمسة او ستة اشهر بر يداً عن نيويورك وكاد يعود اليها اذ ورد له امر تلغرافي بان يرجع على اقليم اركساس حيث المسيو غريغوري دريوكوف احد مشاهير اصحاب المواشي واكابر الاقنياء فامتعض بداة ذي بده لانه كان مشتاقاً لاهله وكان قد اخبرها بقرب عوده . وكان دريوكوف هذا ذا اراضٍ فسيحة

والوف مؤلفة من جميع انواع المواشي وكان يتعامل مع مصرف نيويورك فوقع خلاف بينهما كاد يفضي الى الانفصال وعزم دريوكوف ان يقطع علائقه معه ليصلها مع مصرف شيكاغو فساعت المدير هذه الازمة وفرض الى هو ان يفصل عنه الخلاف بالتي احسن بشرط اعادة المياه الى مجاريها ولو ببعض التساهل

فركب هو بر القطار سائراً الى اركساس واخذ يقب في اوراق وحسابات دريوكوف الذي كان على جانب من الجهل وقد اتفق انه جاء الى نيويورك مرتين لاسا الثياب الطليظة فكان ضحك في عيون كل كتاب المصرف فظن هو بر انه واحد من القرويين الاقنياء يسكن بيتاً حقيراً ولكن لما دنا من منزله وجده قصراً فسيحاً وسط جنة غناء وما قرب من الباب حتى سمع انغام الاوتار فقال هي ولا تلك فتاة هذا القروي تضرب على العود ولما وصل استقبله خادمه بيثة حسنة كسائر خدام الاكابر فسأله عن سيده دريوكوف فأنبأه انه يشتغل في الحقل مع الحصادين ودعاه الى ردهة الاستقبال ريثما يستدعيه

فشد ما كان اندهال هو بر لما رأى تأنق صاحب البيت نزيته وثامه الفاخر

وكان في الردهة باب يؤدي الى الترفة المجاورة حيث كان ضرب العود
قام هوبر الى الباب فرأى امرأةً كهلته جالسة تضرب على القانون وفي وسط الترفة
فتاة كاعب غير بالغة من العمر سوى خمسة عشر ربيعاً ذات شعر ذهبي مدلى على
ظهرها هيفاء القد بارعة الجمال تتخضر للرقص على نغم الاوتار لكنها لم تكن لتعرف ان توفق بين
حركاتها واتقام الموسيقى قالت لمعلمتها كيف استطيع ان اتعلم الرقص من نفي
وانتِ فصدين بالضرب وتقرئين فسا قول لاني هذا المساء انه يستحيل عليّ التعلم
وحدي فاما ان ياخذني الى المدينة واما ان يقيم حفلة راقصة في قصرنا هذا
- لا بأس الان نعي الامتحان - عينا اتعب وفي يقيني انه لو كان
هنا شاب ياخذ بيدي لكنت ارقص رقصاً مرتباً ولو لم اسمع نقر القانون
وما امت هذه الصارة حتى سمعت من داخل الصاعة صوتاً مجهولاً يقول :
هوذا يدي ياسيدي فلنرقص

وحينئذ دخل هوبر متقدماً الى الفتاة التي ادهشت ونجحت لاول وهلة في حين
ان معلمتها حملت متناظرة وكبرت محنارة على ان الراقصة قهفت وقالت لها لا مانع فعي
فرصة انيحت لي لاتعلم الرقص في هذه البرية المقفرة فعودي الى الصرب على القانون
فترددت المامسة وكانت الانكليزية بجمته واستهجنحت هذا العمل الغريب الا ان
ليلي كانت لسذاجتها لا ترى في ذلك الامر غرابة بل بالعكس ظنت ان في رفضها
ليد ذلك الشاب اللطيف، لتلاظة وقلبة لياذة ولا سجا : على اياها صديق لها لها
فلا سبيل الى الحياء

فادت الانكليزية بالرغم عنها الى قرا الاوتار واخذ هوبر بذراع ليلي وشرها
يتخاضران على توقيع الاتفاق وبينما هما على غاية ابرام من الانبساط واذا وفد
دربوكوف الى الصاعة فلما لم يجد فيها احداً غضب وجاء الى المرقص فلا تسل حينئذ
عن انذاله من مرأى المتخاصرين لكن الفتاة ما لحت اباهما حتى تركت الرقص وعانته
وقبل ان ينطلق بكلمة قالت له : آه يا ابت كم انا مسرورة اليوم بقدم هذا الشاب
الاديب الذي جاء ليعلمني الرقص متطعاً من تلقاء خاطره فما اكرم اخلاقه

تتلمس لسان دريوكوف وتنهّد فهمت في اذنه وقالت : انه بارعٌ جداً بهذا الفن وقد علمني اليوم رقصة الميدان فأرجوك ان تبقيّ عندنا ضيفاً ليعلمني رقصة الحجلان فسكن ما كان تد جاش في صدره من قائر التعصب ونظر الى الشاب نظرة لطيفة فحياه هذا احسن تحية وكان دريوكوف ناقماً على مصرف نيويك زاعماً انه هوأ به وعزم على قطع كل صلة معه بشائناً ولولا تلك الفتاة المائكة فؤاده والسائدة على قلبه لكان يلجأ في الشاب ولا يرضى بشي من التسوية الا ان تلك المشكلة المعضلة قد انحلت بواسطة رقصة واحدة لم تكن تخطّ لدريوكوف ولا لهوبر على بال فساله دريوكوف عن مهمته في ذلك الموضع ، «اجابه انه كاتب سر المدير وقد جاء ليفض الخلاف الناشئ عن سوء فهم بين الفريقين في حين انه ليس في حد ذاته من الامة بشي»

فلما سمعت ليلى اسم المصرف رتعت مع معالمتها لان دريوكوف كان لا يتردد عن الطعن عليه يومياً مستاء من معالمتها له ولكن ما كان اشد اندهال الانكليزية وما كان اوفر ابتهاج ليلى عندما رأت والدها يصالح هوبر بيده متبجلاً له مرحباً به بنشاشة وقال له : نؤانسنا اليوم بالتعشي معنا وبعد المشاء نفضي المشكلة

فازداد اندهاس الملمة من تغير دريوكوف السريع وكانت تغلنه يتبت على مناوأة المصرف الذي دالمها اج غضبه شأن الانكليزية الذين اذا عولوا على امر ثبنوا فيه وقالها حادوا عنه ولو كانوا على غير هدى فتصبرت وقالت لليلى هلم قد حان وقت امثولتك الفرنسية ثم اخذتها بيدها واذا ابوها يدعو هوبر للتزّه معهما في المريج القرب حيث ترمي الوف من المواشي فرجعت وقالت لايها : الا تأخذني معك في هذه النزّهة

- هذا وقت امثولتك الفرنسية فكيف تدعينها وات غرمة تعلم هاته اللغة
- يكلمني الخواجا هوبر بالفرنسية فيقوم الخطاب مقام لف امثولة
- وكيف عرفت ان الخواجا يتكلم بالفرنسية
- الا ترى ان اسمه اسم فرنسي وان لهجته تمل عليه

فتبسم هوبر وقال اني بالحقيقة فرنسي الحقا. والمولد وهاءنذا مستعد لخدمتك
فبكل سرور اعلمك لتقي كما علمتك الرقص ياسيدي

وقبل ان تنتظر الفتاة اذن ايساصريحا هربت الى غرفتها لتلبس ثيابها وفد
لاحظت من سكوت ايها انه راضٍ عن خروجها معها

فلما ابتعدت عنها قال هوبر لاميائه درها ما الطنفا وما اطيب قلبها فضحك
الاميركي ثم سالت من عبته وهو يضحك وقال للشاب : هذا خلاف رأي
معلمتها الانكليزية التي ترى في هذه المذاجة الطاهرة خفة ورعونة وقلة ادب
ولو سمعتك الان لكنت ذات عنيك عطلة تقول ثلثة ارباع الساعة

ثم تمشيا قليلا وقال دروكوف هوبر : اظنك تتعب من الركوب الان بعد وصولك
من السفر فاجاب سببا مع انه كان في الحقيقة قد اعيى من اللنوب

فامر دروكوف باسراج الحيل المطهارة مضت هنية حتى عادت ليلي بثوب
الركوب وقالت لها بالفرنسية هوذا الحيل فلركب

فانذهل هوبر من حسن لفظها باللغة الفرنسية وقال لها من المستحيل ان تكون
معلمة انكليزية مد علمتك هذا اللفظ الذي يشبه لهجة الفرنسي انفسهم فاجابت
مسرورة بانها تجد في نفسها اغبالا شديدا على تعلم هاته اللغة وميلا طبعيا الى اتقان لفظها
فلما ركب الثلاثة اكتنفهم ثلثة من الخدم وركب كل منهم فرسا كريما
وسادوا بين ايديهم فاعربت ليلي عن مهارة غريبة في الفروسية انذهل منها الشاب غاية
الانذهال وقاما اكثر في الطريق الى بيادناك المروج الزرجية بل كان بصره
شاخصا في تلك الآتة « فتاة الحقل » وقد اشرق بهاء جمالها الطبيعي فلم يكن ليصد
ان هذه العصا من تلك العصية لان مينهاوين دروكوف في الملاحم بونا بعيدا

وكان دروكوف يطلع ضيقه على ما في ذلك المكان من الترتيب والعناية بتربية
المواشي على قوانين الصحة اما صاحبنا فكان ذاهلا عن كل ذلك ولا يفكر الا في كياسة
تلك الفتاة التي خلبت فؤاده وقد انتهت الفرصة لامتداح مهارتها في الفروسية فلم
تبدل كلمة على ان وجهها صبغ بالحمرة وكان قلبها فوحا بتدريج هذا الشاب الغريب لها

ولما عادوا انطلقوا الى المائدة تَوَّان الجوع كان قد اضناهم مجلس الشاب
بازاء الفتاة فتحسوا بالغلبة شدة الاختلاف بينها وبين ابيها بالملاح والاطباع والاعمال
فكان ذلك يلتهم الطعام كالوحش في حين ان الفتاة كانت تنقده نقدة العصفور
وبعد العشاء انشد الشاب بعض الاغاني الرخيصة موقمة على القانون ولا رأى الاميركي
انه قام دون ان يخافه بالحجاب نام هو ايضا
وعند الصباح تجاور دريوكوف مع هوبر في مسألة الخلاف ولم يلبثا ان اتفقا على
تسوية موافقة للمصرف وقال له دريوكوف :
يجب ان تعلم اني رضيت بهذه التسوية اكراما لحاظك واني من الان
فعايدا لا اعرف احدا سواك وساقول لمدير المصرف انه لو ارسل لي غيرك لا
كنت قبات الاتفاق على الاطلاق

﴿ فصل ثالث وعشرون ﴾

في الرجوع الى الوطن

لا تأخر رجوع هوبر الى نيويورك بسبب تعريضه الى اركنساس اخذ القلق من والدته
كل مأخذ وطلعت تشتم دريوكوف الذي كان حلة لتلك العافة وكان قد مضى على
تغيب هوبر خمسة اشهر لم يسكن في اثنائها بل بالها رغما عن مواصلة اياها برسائله في
كل اسبوع وكانت تظن ان الاسفار تكون قد انتهت والاتاب قد هزلته لكن ما اشد
ما كان اجتاجها لما قابله رجوعه غضا متجلببا جذاب العافية متورد الوجه رشيق الحركة
وكان هوبر قد قام باعباء المهمة المنتدب اليها احسن قيام فأكرمه المدير غاية الاكرام
وجعله رئيسا لكل شعب المصرف و زاد راتبه حتى صار ثلاثة الاف ريال سنويا ولا
راى والدته بهذه البشري قال لها اما قلت لك اني ساكون يوا مديرا لها ان اذا بلغت
السييل المؤدي الى تلك الادارة ان شاء الله

فظم شأن هوبر وتحسنت احواله واثبتت جيللا وصار من الشبان المشار
اليهم بالبنان يماشر الكبراء والافتياء وكان مدير المصرف يحسره حضور الاعداد

والاحتفالات فكان ينبى عنه هور في المراقص والسهرات ومآدب الوزراء . فيقوم مقامه على غاية ما يرام وصارت الجرائد تنوه بذكره وتعرض عليه أحيانا رئاسة بعض الاجتماعات والاكستابات الخيرية الا انه رغما عن هذا التقدم السريع كان وديعا مطيعا لين المريكة لطيفا حتى حجب اليه كل من عرفه وعشقه كل من عاشره وراقت اليه نفوس كثير من الاوانس الكريكات واذن لديه الوسائل في الترويج بين فكان يستحسنه كل من الا ان قلبه لم يكن ليحل الى واحدة منهن البتة

وقد شهد عدة مجتمعات ورقص مع مئات من اجمل الفتيات فلم يكن فوائده لينبسط انبساطه في تلك الرقصة التي رقصها مع فتاة الحقل بنت دريوكوف التي حلت في حية ليه حلولا متينا ورسخت فيه رسوخا مكيئا ولم يكن يعلم اية عاطفة تجذب اليها وقد كتم في صدره سر هذا الترام الطاهر ولم يبد له لاحد ولا لاه عنها التي اخبرها عن تفاصيل . فنه وذكر لها ضيافته عند دريوكوف كمثال الاخبار

وبينا كان ذات يوم في مكتبه اذ رن في اذنه صوت قوي اشبه بصوت دريوكوف فتعجز للقيام الى الباب واذا بدريوكوف نفسه داخلا عليه . سالها بصوت عال سمع كل الكتاب وصافحه باليد . صافحه اعز الاصدقاء وقال له لقد انجزت وعدي واثبت لزيارتك فرحب به الشاب احسن ترحيب وسأله عن ليلى فاجابه انه جاء بها الى نيويورك لتكمل عينها النجملاء يتاحف هذه المدينة الحسناء وقصورها الشاهقة وجنتها الفناء .

فخفى قلب هور سرورا وانجز ما عليه من المهام بلحمة طرف وقام مع ضيفه الى التزل الذي استأجره لاجل فتاته فاذا هو من اجمل الاصور مزدانا بالرياش العاخر ومزخرفا زخرفه انيقة لائقا بتزل الامراء والملوك فاندش الشاب واي اندهاش وصرفت نفسه اذ ادرك مقام هذا الرجل من التقى وواسع الثروة واقبض صدره اقباضا لم يدركه سببا مع انه ما كان ليحسد نعمة احد من قبل وقد رأى نفسه دونه طبقات وكان يود لو لم يكن عرف تلك الفتاة على انه تشجع ودخل معه الى التزل وما كاد يصل الى باب الدار الداخية الا استقبلته الآنسة ليلى تهادى يرد من الحورير القرمزي وصافحه باليد صافحة الاخوان ووجهها احمر قان وكلمته باللغة الفرنسية

بمبارة فضيحة وعاتبة لعدم استئناف زيارته لها واخبرته بانها اكرت على تعلم هذه اللثة لكي
تطلق الى فرنسا

فلما سمع هور اسم وطنه اضطرب لاهل لم يكن يجب ابتعادها الى العالم القديم الا ان
دربوكوف قد طيب خاطره بقوله انه ان هذا السفر لا يكون الا بعد سنة او ستين
وكان دربوكوف لا يسا ثيابا ضخمة لا يلبسها الا اهل القرى وكانت ليلي ترجوه
ان يغيرها باثواب مدنية فلم يطاوعها فاستعانت عليه بهور الذي سألته ان يحبها
الى خياط يفصل له ثوبا على الزي الاخير فلم يسه حينئذ الا الرضوخ فاخذ يده
هور واشترى له ثوبا مخيطا من عند احد تجار الملابس وفصل له عند احد الخياطين
الماهرين ثوبا رسميا لائقا بالزيارات وشهود ملاعب التجميل وعاد به متشحا بالثوب الجديد
فما نقتئ الفتاة قلبها طامع فرحا وقالت لهور هيا بنا الآن لنزود والدتك فارتبك
الفتى وكان يود ان لا ترى ليلي بيته الحقير نسبة الى غنى والدها صاحب الملايين الكثيرة
الا انه رضي بقبول الزيارة تأدبا فانبا بها والدته بالتلفون ثم ركب معها في العجة
الحاصة التي كان دربوكوف قد استأجرها من الخو محلات نيويورك لتكون في خدمته ماشاء
طوع اشارته

فلما وصلوا استقبلتهم البارونة اجمل استقبال وما وقع جرها على الانسة ليلي
الا انشرح صدرها وذكرت عند رآها اخت الرحومة هنريت امرأة سنقدمون فحنق قلبها
كما خفق قلب ليلي عند مشاهدة ام هور فتعاطفتا كأنهما تصاحبتان من زمن طويل
وتبادلتا بعض العبارات الجميلة اساسا للحبة التي ربطت قلبيهما

ثم قدم هور لاهم ضيفه دربوكوف الذي كان متلبكا بثوبه الجديد ولا
يعرف كيف يسلم على الزي المدني الا ان المرأة اخذته يده وخاطبته بالطف الكلام
ذاكرة له ما اخبرها ولدها مما لقي لديه من كرم الضيافة فابتهج الاب والفتاة من هاته
الزيارة التي طالت حتى الغروب قال لابنته داهنا الوقت فان زمان العشاء قد دنا
فاجابته بسداجة لا اعلم لما اذا انا مسرورة هنا كأني في بيتي

فبادرت البارونة لدعوتها الى العشاء ففرحت ليلي وقالت انا قبلت الدعوة بأبـ

أفلا تقبلها انت فاجلبها ماذا تقول عنا البارونة اذا رضينا بدعوتها وهي غير مستعدة

قالت البارونة احسبني سعيدة بقريركم

اما هوير فاستحض من ذلك لانه تجمل ورأى نفسه فقيراً بالنسبة لثروة ضيفيه وخاف ان تنقص كرامته من عينها عند مشاهدة مائدته الصغيرة الحقيرة

ولكن ما اشد ما كان سروره لما رأى المائدة مزودة باشكال الازهار والرياحين والمأكّل طيبة من اغزا يصنعها طاهية باريس حتى ان ليلى التي اصبحت في بيتها ان تنقد الطعام قد العصا فيرقد اكلت بشهوة نظير ايها الذي عجب منها غاية العجب وابتهاج بذلك العشاء ابتهاجها باعظم الآداب

ولما قاموا عن المائدة اخذ هوير ليلى ينداعها الى صاعة الاستقبال فانتكأث على ذراعه وقالت له باطقة الخنو : سقياً لك لان لك اما

وقبل الانصراف اتفقوا على ان الانسة ليلى تأتي في صباح اليوم التالي لتجول مع البارونة في شوارع نيويورك وتشتري بعض الحوائج في حين يذهب ابوها لتفقد المسالخ ويوت عملائه اما بعد الظهر فيجتمع بها هوير ليتدبر معها في بعض الحوائج. انتهى
النضرة

ففي صباح اليوم التالي اطلق الى المصرف باكراً وانجز كل مهامه بسرعة غريبة وكان عقله يردد بالرمع عنه ذكر تلك الفتاة البديعة الصفات وكان يفكر في طريقة للاستئذان بعض ساعات في النهار ليخدمها بعض الخدم واذا بالمدير قد استدعاه واوصاه قائلاً : بما ان دروكوف تربل نيويورك حالاً فاعتنم الفرصة في النهار لترانسه وتلاطفه ثم قال له مازحاً : يجب ان تعلم انه اذا اقلت من يدنا ليشغل مع مصرف اخر فتكون انت بذلك مسؤولاً

فسر هوير كل السرور وجعل يؤانس ضيفيه عدة ساعات يومياً حتى مرت ثلاثة اسابيع مرور الحساب فعولاً على الرجوع ولكن على غير رضى الفتاة التي ساءها هذا الاسراع ولاسيا عندما شهدت ملاعب التمثيل وحضرت بعض المراقص وذاقت لذة الالفة فصر عليها فراق تلك المدينة الزاهرة لتنتقل الى بيتها في فلاة قفرة لا ترى فيها

الوجه ابيها والحلم

فلما حان وقت الفراق ذهب هورر وامة نوداعها الى الحطة فبكوا جميعاً كانوا
من الاقارب الاقارب وبادلوا ارق العبارات التوددية وتواعدوا بمواصلة الكتابة
ومن ذلك اليوم قلل هورر الزيارات وامتنع عن السهرات ولم يهتكن ليلى الا
الدعوات الرسمية وكان يجلس اوقات الفراغ للتضلع من العلوم التجارية والفنون
المالية واكب على تعلم اللغة الالمانية فحبت امة وسأته في ذلك فاجابها « من طلب
الاعالي سهر الليالي » فان شئت ان ارتقي منزلة رفيعة فلا بد من الكد لبوغ الغاية
ومن الواجب على مديري شحات المصارف الكبرى ان يعرفوا كل اللغات الادوية
وانجزت ليلى وعدها فاخذت تكتب ام هورر وتقص لها خبر عيشتها في تلك
الحقول الفسيحة معربة لها عن حب حميم فكانت البارونة تحبها بالطف الكلام
وكان تبادل الرسائل بينهما متواصلاً حتى حال الحول فكتبت ليلى لبشرها بانها اقنعت
اباها باخذها الى باريس

فلما اطلع هورر على كتاب ليلى النبي بالسفر امتنع وجهه واخذ منه الكدر كل
ما أخذ ولم يستطع ذلك اليوم عملاً لانه طفق يقول : يا ضيعة التعب فبنا اسعى الى العلى
وليلى تسافر الى باريس وانا اعلم ما يكون نصبها هناك فان فريقاً من شبان الامراء
وحفدة الملوك الذين قعدت هم الايام وعضهم ناب التقرير بكون قدوم اغنياء الاميراء الى
اوربا لمعاهرتهم فلا يبعد ان نطمع ليلى فقاطعت غيرها من قبل من فتيات انبياء
اميركا بالشرف الاثيل وتتوق نفسها الى لبس تاج الامارة فترضى بشاب من الامراء
قد يكون كسلان سيء للسيرة فيبيع العوائد فتضيع عمرها في شقاء دائم فيالمني اليك
يا ليلى . . .

اما البارونة فكانت تسلي ولها الحبيب وهو لا يريد ان يتعزى حتى رضى
شهر وقابه مشرب كآبة لم تجل الا بشاهدة ليلى التي مرت بنويرك مع ابيها قبل سفرهما
الى اوربا وقد جددا عهدود الصداقة مع الشاب وامة مدة عشرين يوماً كانت ليلى
في خلالها تردداً هما تعلقاً حتى قالت يوماً « حبذا لو نقل مركز هورر الى باريس »

قال دريوكوف ان هوبر على جانب من الحداقة والدراية التين تؤهلانه ليصبحون مديراً لشعبة المصرف في باريس فتأوه الشاب وقال : لقد علمت الامل بان ارتقي يوماً الى رئاسة شعبة في داخلية اميركا اما الرئاسة في حواضر اوربا فامر عسير ولا يمكن البلوغ اليه دون بذل مبلغ كبير من المال

وكان قلب هوبر تنازعاً ثائرة عوامل السرور بترب الفتاة وطوراً عوامل الكدر لدى التفكير بدنو اجل السفر الى ان حان ميعة الفراق فما اشد ما كانت مرارة الوداع . ولما اقلعت السفينة الاخيرة الى اوربا اقلع فؤاده معها وبكى وقد شعر بشوق شديد الى وطنه لم يشعر بمثله من قبل ثم عاد الى البيت حزينا

ثم مضت اربعة اسابيع وذكر ليلي لا يذهب من فكر هوبر ولكن دون ان يقصر في شيء من واجباته فاستدعاه المدير ذات يوم وقال له : اني مرتبك بامرك يا عزيزي ولا تظن اني اريد لك شراً فاجلس لأكلمك .

فجاس هوبر مرتعشاً فقال له المدير اني مختار في شأنك ولا ادري كيف احل هذه المشكلة ولا اجعل انك تحب نيويورك وتوثرها على سائر المدن وقد انشأت لنفسك فيها سمعة حسنة ومركزاً شريفاً في الالقة ولكن يسوئي ان اخبرك ان مركزك يضايقي لان في بنتي ان اسامه لابن اخي الذي لم اجد له عملاً اوفق منه وكنت قد رغبت في ان ارفعك الى منسوب اعلى في مصرف رافيلو فلم استطع ما الى ذلك سديلاً فاضطررت ان املك الى مكان آخر

فاكمد وجه الفتى واسف لبعاده عن تلك المدينة الزاهرة اقرب مدن اميركا الى وطنه لكنه لم ينس بيت شقة في حين ان المدير كان يتبسم كأنه سرور بهذا الانتقال فقال له : فرغ مركزهم في الخارج في بلد تحسن التكلم بلغته احسانك للغة الانكليزية ويسرين ان ابشر ان مجلس ادارة المصرف في الجلسة الخصوصية المتعددة هذا التماس قد قرر تعيينك رغباً عن حداته سنك مديراً لشعبة باريس

فتهايل هوبر ولم يكذب بصدق . اسمع ثم قال : من العادة ان مديري الشعب يؤدوا مالاً حزيناً الى صندوق المصرف حين تعيينهم لهذه المراكز وان لا املك الان

أكثر من خمسين ألف فرنك

دع عنك هذا الفكر فهو امر لا يمتنع لان مجلس الإدارة قد استحسن ان يشذ عن قاعدة الرمية لاجل شاب فيه نشاط حاذق مثلك فستدير بشأن المال اللازم دفعه الى الصندوق وكفى حل هذه العقدة ان تخطب فتاة من اكابر الاغنياء الذين يهتمون بصادرك قد عينت الان مديراً للشعبة المصرف في باريس براتب خمسة وعشرين ألف فرنك في اول الامر ثم يزداد الراتب رويداً رويداً حتى يبلغ الخمسين والاثنتين الفاً فاهلك يا عزيزي فيها لتبشير والدتك الفاضلة

نخرج هويم من غرفة المدير وهو لا يرى بينيه من سدة القرح والظلم رياحاً البت عاصراً شوارع نيورك كختم الشعور لا يعي شيئاً لم يتذكر في استنساخ حجة تسرع به الى البيت فاضل راجلاً ولا وصل دخل من ساعته الى غرفة امه التي كانت تسطر رسالة للانسة ليلى فاعتقتها وانباها بالبشرى فاحتضت امه من ذكر اسم باريس وقالت له مقطعة لا شك بانك رفضت هذا المركز

— كيف ارفضه وانى اعده اعظم سعادة . . . الى اوالك قد ذهبت من هذه البشرى ولماذا تكرهين باريس اجمل مدن العالم

فتظاهرت البارونة بنيرة في ضيورها من وقت تلك المدينة لان اسمها اهاج في صدارها ذكر اسم زوجها المأسوف عليه وقد خشيت ان يعلم ابنها بما آلت اليه احواله اياه قبل وفاته فقالت هويم متوهمة عليه الحقيقة : نحن مسرورون هنا فلماذا الانتقال .

— ولماذا لانكون هناك ابضاً منشرحين صدرنا لان نصبي صار رفيعاً ويمكننا ان نعيش عيشة الامراء في فرنسا ووطننا العزيز

هبارات البارونة ان من البيت الدول يابها من قبول هذا المنصب الجليل جاهد بالرضى وفي قلبها من حوادث الدهر غصة

﴿ فصل رابع وعشرون ﴾

مدير المصرف الجديد

ما اجمل الوطن وما احلى العود اليه بعد الغربة الطويلة وما كان احب هذا الرجوع الى قلب ام هوبر لو لم ينغصها ذكر زوجها وعزه السابق ثم الخطاطه السريع بعد تلك التهمة المشؤومة على انها عزمت ان تحيا في تلك الحاضرة حياة جديدة اشبه بجياتها في نيويورك بعيدة عن الآل والاصدقاء - متطمة الى خدمة بيتها وحيدتها - متغنية بذلك عن شر السنة الناس من قبل وقال

وكان وصولهما الى باريس نهار الاحد فلما اياها ان اقاما في القزل موفتسا حتى طلب هوبر الى والدته ان ترافقه الى منتزه الجبان العجيا مراعاة لثا ايام كان صيا وكان في ودها لو لم تخرج ذلك اليوم لتهم في استجار منزل مناسب وتديبه لكنها لم تشأ ان تحوم قلعة كبدها من هذا التستر الذي يذكره بايام صباه الحلو فاطلانا راجلين لان النهار كان صاحيا والجو صافيا فما اشد ما كان اندهال الشاب لما رأى ازدحام الحلق الجا جئين الى الشوارع ذرافات ودحافات ذاهبين في الارض وعاهم ملابس الاعياد وعلى وجوههم الصبيحة سياه الافراح فظن ان في ذلك النهار ميذا عظيما لكن انه اخبرته ان كل ايام باريس اعياد وهكذا يكون في كل الاحاد

فسر الفتى سرورا لم يشعر بمثله فيما يربا لكن الشوارع النسيجه كانت على ستم تضيق دون المشاة لا فيها من العجلات المتراصة حتى كان يصعب على المرء ان يجير من رصيف الى اخر لاتصال خط العجلات المتلاصقة فانتهر انقطاعا لحلة لمبور الجادة واذا بعجلة تنهب الارض نهبا كادت تدوسه مع والدته لو لم ينتهرهما الحوذي انتهارا ازدرارا شرف هوبر رأسه ليجاو به على باك القحة واذا في العجلة صاحبه دربروكوف وابنته ليلي فابتعد نجلا كيلابا به ما شاءا - ثم نهما لو لحظاه انكنا قد اوفنا العجلة واخذاه مع له برصتهما

وكان هوبر قد اعلم مدير شمة النثل الذي خلفه في باريس بوموله مصرب

للمواجهة فحضر الاثنين موعداً فلما جاءت الساعة انطلق هوبر لايساً احسن الثياب ودخل المصرف هوبساً رزيناً فاستقبله المدير الذي كان شيئاً جليلاً لكنه شك أولاً في ان يكون هذا الشاب هوبر عينه المرسل خلفاً الا انه لما تحقق من الاوراق التي بيده صدق بعض التصديق واخذ يعلمه على اسرار الشغل ويسلمه مهام الادارة فاعرب هوبر عن نباهة ونشاطه مما سلفه على ان يقدره حق قدره فقال له الان عرفتك انك رجل عظيم فاهنك بهذا المنصب الرفيع ثم استدعى المدير السابق كتاب الشعبة الخمسة عشر واكثرهم متقدمون في السن وقدمهم للمدير الجديد الذي استصغره كلهم وظنوه كساتر الشبان الجبهة الذين لم يرتقوا ذلك المنصب الا من فضل اموالهم او تواصي الكبراء بهم راء انصرفوا قام المديران للقاء واستألف المدير السابق على المائدة سرود سائر الاعلاءات اللازمة بشأن الادارة ثم ودع هوبر وقال له : « وعد اجتماعنا الساعة الثالثة بعد الظهر حيث تجتمع باعضاء مجلس ادارة الشعبة وهم من كبار المتولين واصحاب الاسهم في المصرف تراء بباريس ولا يجتمعون الا مرة في ال اسبوعين وهم ثقلاء مزعجون ولكن لا بد من تحمل غلاظتهم رعاية للعوائد فضلاً عن كونهم من الاغنياء المتقدين

ثم دخل هوبر الى ردهة المصرف لاسلام مهام مأوريتها فاقبل عليه الذئاب يهنئونه بالانصب الجديد فلامهم وبش بوجوههم ولما عادوا الى غرفهم قام الى الشرفة : مرع النظر في شوارع باريس النضرة حتى اذف الوعد لاجتماع مجلس الادارة واستدعى لاستقباله ولما دنا من الباب سمع المدير السابق يقول لهم : « نعم عمره من خمس وعشرين سنة الى ثلثين سنة فقط ولكنه بالمثل ابن اربعين الى خمسين كما سترون »

فدخل هو : ونام عليهم وكان المدير السابق يبرمه عن كل باسمه حتى وصل الى الشئاليه ذي منقريه فلما طرقت اذنه هذا الاسم اضطرب في نفسه ولكن دون ان يبسدي من الاضطراب اثرأ على ان منقريه قد اعرب له عن قودد زائد وقد دنا منه وجعل احاطة عن عدة امور : بشأن افامته في نيوراك حتى انتهت الجالة وذهب بل في سياله الا منقريه قد بقي مع المدير السابق الذي ادعى به هوبر واخبره انه

قد أتى للمصرف بأرباح طائلة بمساعيه الحسنة ولذا يمكنه الاعتماد عليه في عدة أمور فلزاد هور منه نفوراً

وكان منترفيو في أثناء الاجتماع حين اطلاع الاعضاء على سجلات المصرف وخلاصة أعماله شاخص البصر في هور الذي داخله الرب في امره ولم يدبر ما غرضه ولا سبب نفوره منه اما منترفيو فكان يحدق به لانه ظن أولاً انه ابن البارون لوران ديمرت ولكن اشكل عليه خالو وجه الشبه بينهما ولم يكن هور ديمرت ليشبه اباه البتة بل كان شبه جده تماماً فقال في نفسه هو ولا شك من اسرة ديمرت التي منها البارون لوران فلا بد ان اتدبر به سلاحاً للانتقام ولذا لازمه ملازمة القتل لحجم واوعز الى مدير المصرف السابق ان يمتدحه لدى المدير الجديد حتى يتمكن من ابدالك الارب

وقبل الوداع سأل المدير السابق هور هل تعرف في باريس احداً قال لا فحس في اذنه ان اعتمد على هذا الاميركي الجنوني فهو آية في الدهاء والذكاء وقد اقنع تسعين من موسري الاميركان ان يشتغلوا مع هذا المصرف واخص لك بالذكر الاميرة زامركو الغنية الشهيرة .

ثم تصرف المدير السابق ومالب الى منترفيو ان يصحبه فأبى بحجة انه له شئ فلا مع المدير الجديد فضطرب هذا ولكن لم يسعه الا التلطف بهذا الرجل الثقيل الذي ابدي له غاية التجميل وعرض عليه خدمته مراداً فاحتار في هذا الترف احتياراً

ويتنا كان هور يوقع الرسائل التي سطرها الكتاب واذا وقع اقدام ضخمة في الدهليز وصوت غليظ يسأل عن المدير فأنبأه الخادم بخروجه فاندهل وقال لا اظن ان المسيو هور قد خرج فاجابه الخادم غفوا ياسيدي فأنت تطلب المدير الجديد

أجل فادخلني عليه سريعاً

- لا اظن اني قبل الآن احداً لانه يشتغل في توقيع الرسائل الواجب ادائها بالبريد

- انتم بتدومي فلا يابث ان يواجهني سريعاً

وفجأ كان يدفع له الرخصة المطبوع عليها اسمه فرع المدير الجرس فبادر اليه الخادم وامره بادخال هذا الزائر عليه حالاً لانه يعرفه من صياحه انه صاحب درج كرف ابو ليلى

فاحسن استقبالة وتبادلا ارق عبارات التحية

ثم سأل هو بر عن ليلى قائلاً: بمحسن صحتها وانشراح صدرها في باريس واعرب
له عن شدة فرحها بقدومه مديراً لشعبة المصرف الاميركي في تلك المدينة الزهراء
لكنها استاءت لعدم تمكنها من الاجتماع بك مساء ذلك النهار لانها وعدت بتساول
المشاة عند الاميرة زامركو فوعدها الغدا ان شاء الله

فلما سمع الشاب بكلمة (الاميرة زامركو) نرق قلبه وصمت متفكراً في امر هذه الفتاة
التي خلبت جناته وقد طسارت من يده لتوغلها في العشرة الباريسية ومخالطة الكبراء
والامراء فصار الحصول عليها احر من يرض الانوق

فقال له دوبروكوف لماذا انت سأت اجبني هل تأتي للمشاة غداً استظرك
ام لا

— لا شك انها تريد فاليك عنوان اقامتي

ودفع اليه رقعة اسمه وجنوناً متزله وودعه وخرج مهرولاً كدخوله دون ان يرى
وجهه متزفرو الذي كان قاعداً على كرسي وداء وقد تأمله ملياً في مرآة امامه ولبث
يتفرد فيه كأنه يذكر فيه صودة شاهدها منذ امد طويل فلما خرج قام متزفرو الى
المنضدة وقرأ في الرقعة اسم هذا الضيف « غريغوري دوبروكوف » وقال ما هذا الاسم
الغريب اني لم اسمع به من قبل لكن صورته راسخة في مخيلتي فمن يكون ياترى
فاما عاد هو بر قال لتزفرو ادركوك ان لا تؤاخذني لاستقبال هذا الرجل الايركي

فهو صديقي الحميم

— وهل هو غني كبير

— وهل خدم فتاة بالغة سن الزواج نعم وهي بارعة الجمال

— لا شك انه قد جاء بها الى باريس اسوة بامثاله لطلب زوج لها من الامراء

— هذا ممكن وغير بعيد

المفلسين

— ما اخف عقل هؤلاء المتحولين الذين رى منهم كثيرين باتوا سنواً هذه الناية

فلا يعزدهم اميراً خطيراً قد اغنى عليه الدهر وعرضه ثاب القدر فيشركونه ما هو لهم

الطائفة داخلين ان هذا درو كوف الذي يردد الى بيت الالوية زامركو سينجح في مصاهرة
احد الامراء . — وهز تعرف هذه الاميرة

— اعرفها وهي من اعز اصدقائي لكن خوفاً يا عزيزي هو هذا احسن لك وبعثاً
تبعاً نفسي الآن وادجوك ان ننتهي من هذا المساء

اشكرك من صميم القواد ولكن لا اعلم ان كان يمكنني ان اترك والذي
لأبأس فان والدتك تكون مشتتة هذه الايام بتغير منزلها . اتم عملك الآن وعند
المساء تنتهي ثم نذهب معاً الى ملعب الادب او ميدان الخيل

﴿ فصل خامس وعشرون ﴾

سهرة باريسية

بعد ان اتم هوير ما لديه من المهام انطلق الى التزل حيث أعلم امه بدعوة
منترفيو له ولبس الغر الملابس السوداء وذهب الى المطعم الذي عينه له ضاقفه
فوجده مكتظاً بالخلق لما له من الشهرة الطائفة بطيب مأكله وكان منترفيو قد
سبعة واعد له مائدة منفردة مزدانة باجمل الازهار وأمر فأتى بالذ اللون ونفيس
الشرب واذكى الاثمار

وفي اثناء السهرة اخذا يتجادبان العلف الحديث حتى افتتن الشاب بصدقة منترفيو
الذي قال له من جملة الكلام : لعلك تتعجب من شدة محبتي لك من اول نظرة
في عذ . انهار خلافاً اساتو رفاقي الالوية كان الذين . يحسن في عينهم تسمية شاب فونحي
لادارة المصرف

— يحق لهم التعجب من حيث شباني واما من حيث جنسيتي فلماذا عجبوا
— لان جميع الاميركان نظير جدودهم الانكليز يتعجبون سائر من سواهم من
الامم احط فهمك وادراكا منهم . اجل يقرون بلطف الفرنسيين وظرفهم وتأنقهم
في الاعمال ولكن يرون لهم دونهم في الصناعة والمالية
— وكيف انت لست من رئيسهم — اني من اميركا الجنوبية اسباني
الحد فانا وانت اخوان من اصل لاتيقي واحد وهذا ما امال قلبي اليك . وجباً بك

ابذل كل ما في وسعي لتدرك الفلاح في المهمة المنتدب اليها فاجتمع علي كعلي والد
عجب ترك صلاح ونجاح

فاتفق هور بهذا التردد وايقن باخلاص صاحبه رغمًا من نفور قلبه منه لاول وهلة
فاخذ يقص عليه كيف توصل بكده وجدته الى منصبه الرفيع وكيف خرج مع امه من
فرنسا قديراً ابن عشر سنين بعد موت والده الفني

فلما سمع منتفيو قصة الفتى قال في نفسه هو ولا شك ابن البارون لودون ولكن
لا يفتق لي الامر الا الكنت سنقومون زوج عمته

ثم انتقل منتفيو الى ذكر حوادث ونكات لطيفة انبسط لها هور حتى كانت
الساعة الثامنة مساءً فانطلقا الى ميدان الخيل حيث تجري العباب مدهشة وبين
اللاصبات ثمانية بارعة بالقروسية اسمها اليريني دومنسكي كانت بهجة الملب

ولما دخل هور الى الملب انشرح صدرًا بفساحته وجمال زخرفه ورأى
الناس الوفاً ينتظرون ابتداء الملب فلم يعرف احداً منهم الا انه وقع بصره على
شاب ابن واحد وعشرين سنة جميل الصورة حسن الهندام فارتش من عجزه
مرآة فناداه منتفيو باسمه ارثور وساله عن صحة امه ليوفدة وابيه الكنت سنقومون
ثم عرفه هور فتصافعا بالايدي ولم يعرفا انهما نسيبان الا ان هور قد شعري
نفسه بنفور بديهي من ارثور ولو كانت امه قد اخبرته بان الكنت سنقومون تزوج بعد
وفاة عمت بامرأة اخرى لكان حزر لا محالة ان هذا الفتى من ذلك الرجل

وكان ازدحام الناس في الملب تلك الليلة عظيماً لان فارساً جديداً واسمه
زفيرو كنتستينو من اشهر مهرجي لندن كان قد غشي باري من يومين مع ابنته
ماينا التي كانت من اصغر فوارس عصرها واخذ كلاهما يبديان من الرشاقة في الملب
على الخيل ما ادهش الابصار وابهم جميع الحظار فكانت تصديت الاستحسان تقصف
كهميم الوعد وكان من زفيرو انه لما يوز الى ساحة

الملب ووقعت عينه على عين منتفيو شخص بصره فيه مبهوياً كما ان منتفيو احلق و
كانه يرى فيه شخصاً يعرفه منذ امد مديد على انه ظن انه قد يكون رآه في ملب آخر

في احدى حواضر اوربا التي يطوفها اللاعبون سنوياً

وكانت ليريفي قد حققت على اللاعبين الجديدين اي حق لانهما استلفتا اليهما جميع الانظار فلم يكثر اليها احد بعد ان كانت هي بهجة الملعب كل ليلة واشتد غضبها على القارس فرنسيس مدير الالعاب الذي كان قد جاء بها الى ذلك الملعب واهم معها عهداً الى اجل مسمى فزاعها متفرقو بهذا المصاب ووعدها بالمساعدة وقال لهوب هيا بنا الى ملعب الاوربا قد حانت الان ساعة التمثيل

ثم خرج الرجلان مهولين في الشوارع وكانا يتبادلان ارق الحديث الى ان افضى الكلام بهما الى سوء اداب الناس في باريس من حيث انكباهم على السلاح في قاعن متفرقو ان اكثر الرجال فيها ارقاء لسلطان الهوى وسترى بينك في اللعب الذي نحن منطلقون اليه ان داقصة اسمها سلفرقي يتنازعا اثنان من كبار الاعيان البارون كنديا والكنت سترمون ولا نعلم لاي منهما ستكون

قال هوب : أمل الكنت سترمون هو ابو الشاب ارثور الذي سلمنا عليه من

هنية

— هو بينه وعنده عادة حسنة من اجمل النساء ساريكها عما قليل

فلما وصلا اتخذا لها حجرة خاصة في اعلى الملهى يشرف الى سائر الحبر ومسا كادا يقعدان حتى اشار متفرقو الى حجرة قريبة فيها الكنت سترمون وامراته ليوندة فاضطرب هوب لمشاهدة روج عمته لأول مرة واراد ان يخفي اضطرابه الا ان متفرقو الذي كان يوقب كل حركاته تحقق من تكون وجهه انه ابن البارون لوردان

ثم اخذ هوب بتطلع الى الحبر الخصوصية المعلقة على جوانب الملهى وكانت مكتظة بالحقاق وينا هو يسرح النظر فيها قال لرفيته اظن ان هذه المرأة المسنة هي الاميرة زامركو — استغفر الله عن هذا الخطأ القبيح

فلو سمعتك تقول عنها (مسنة) لكوهتك كل عمرها . واظن ان الفتاة التي بجانبها هي الانسة ليلى فتوددت وجتتا هوب قال « نعم هي بيننا »

فلم يخف اضطراب الفتى عن متفرقو الذي قال : لله درها ما اجمل .

هذا الوجه الصبيح فلا شك انها سنحز بين حسان باريس مقاماً علياً
 ثم شرع اللاعبون يرقصون ويمثلون رواية تلك الليلة ويوقعون أطيب الإطمان
 اما هو فكان حاضراً بالجسم لكنّه نُب بالعقل وفكره كله عند ليلي
 فلما خرجت الاميرة ذاك ركو تلت السلم وهي متكئة على ذراع ليلي قال منترفيو
 لهويز هل تريد ان اعرك بالاميرة وقبل ان ينتظر جوابه جذبه بيده وقدمه لها فضاغها
 باليد وصاح الفتاة بسرور ماعليه مزيد وبعد كلام يسير اعتذرت الاميرة بدنو مركبتها
 التي صعدت اليها مع ليلي فلبث الشاب شاخص النظر بالحجة حتى غابت عن الابصار
 ثم مرّاً بالكنت ستريمون وامرأة مليونيد فآراد منترفيو ان يعرف صاحبة بهما فنظر
 وامتدح بعلم مواهبة القرصه فازداد تأييده بصلة الرحم التي بين القرينين واكتفى بالقلم
 على ليونيد اياه فاحمر وجهها واجابته مضطربة لمشاهدة نسيها بين يدي عدوها
 فادركت ان وراء ذلك لدهاية كأن دودة ضيهرها اخذت تصور لها سباقى لئها
 وتتوعدا بعقاب قريب

فصل سادس وعشرون

في التصادف الغير المنتظر

ولا عاد ستريمون وامرأته الى قصرهما تناولوا شيئاً من الطعام ثم دخلت ليونيد
 الى غرفتها وقلبا منقبض كدّاً فدرفت عبرات حري واخذت تتأمل تعاسة حياتها مع
 زوجها الذي لم يفتأ منذ اقترانها به مدة عشرين سنة مستسلماً الى داعي الهوى
 والتردد الى الملاحى ورسكوب المتكرات وجعلت تحاطب نفسها وتقول يحسدني
 الناس على عزي وجاهي وغناي ولكن ليتهم يعرفون ما يلهب في الصدر من جمرات الهم
 والكدر آه اني ارى السماء سوداء وكأني بعيني تنظر ان سيف الانتقام معلقاً فوق رأسي
 ثم ركعت تصلي وتستغفر الله عما اقترفته بتسيبها اختفاء الابنتين وكانت
 تقول ماذا جرى بهما يا ترى والى متى يجتبيها منترفيو وهل يقصد ان ينقض كل عمري
 بذكرهما . اه بآلة من منافق اثم وشيطان دجيم ليتني اطعمه يوه على غرة طعنة قاضية

ولكن ما الفائدة وقد انبأ لي ان بعد موته يظهر كل شيء - قاتله الله ما اقضى قلبه فهو
يعذبني منذ عشرين حولاً والى الان لم يشف مني غيلاً . اواه يا الهي رحماك ياربي
اغثني ولكن اني الي الرحمة ولست لها مستغثة

وقضت السواد الاكبر من الليل وعوامل المواجه تننازعها حتى اطارت
الكرى من اجفانها وكانت تارة تبكي وطوراً تصلي وحيناً تحوض بحار الافكار ثم خربت
من الترفة تسلياً لهما ولا وصلت الى محبة ابها دخلتها لتائم وجهه الوضاح ولكن ما
اشد ما كان اندهاشها لما رأت سريره فارغاً وفراشه لم يمس منذ ثلثة ايام فزاد ذلك في
طين غمها بله ولم تكن لترتاب في شرود ابنها في ظلمات المعاصي على منهاج والده ولكن
تجاوز الحد في قضاء الليالي برمتها ساعياً وراء اللهو مستترّاً تحت جمع الظلام صاعدت
الى فرقها كنيية وكان قد اضناها القم فارتقت على السرير ونامت الى الصباح
ومض الضحى اطلت ليونيدة من النافذة فوجدت ولدها ارثور مشتغلاً في
قرين فوس كويم في باحة الحديقة فزمت على توبيخه بما هو اهله ولكن لما دخل عليها
ساحاً صباحاً وقدم لها طاعة من الازهار وقبل يدها انحلت عزانها من شدة محبتها
وخافت ان تنقص عيشه في سائر النهار ولاسيا انه دعاها للتزّه على الحيل في القاعة الثانية
وكان ذلك اليوم اجمل ايام السنة فاسرحت الحيل الطهمة وركب سنقرمون
وامراته وابنه الى غابة يولون الشهيرة بظاهر باريس فصادفوا متزفياً برحاض جواده
خبياً فسلموا عليه وراقوه وينا كانوا يبادلون الحديث واذا بامرأة مدت على
حصانها من اقصى الائمة يتبعها فتي من ساسة الحيل فاحمرت وجنتا ارثور عند وقوع
بينه عليها فسألت امة متزفياً عنها فقال هي ابرني دومسكي التي كانت اية الرشاقة
في ملعب الحيل لكن انكف نورها بدم الفارس فرنسيس

— وعن هو هذا الفارس الجديد

— اسألني ارثور فهو اعلم به مني وكان امس قد شدوها بمشاهد الملعب

— كنت اذاً امس يا ابني في ذلك الملعب وقضيت الليل كله ولم تحبوني

— نعم كنت الليل الطويل للتسلية

ثم صست الجميع وساروا قليلا فشاهدوا من بعيد قلعة فوسان وبهم قنات باردة الجمال
قتال ارثور لايه الا ترى هذه القادة الحسناء ماينا كتستينا بالحقيقة انها لاجل من عرفت
من النساء

فاضطرب مسترمون لاول وهلة ولم يكن رآها من قبل لكن قلعة ازداد لما تفرد
فيها وذكر ان صودتها لم تكن عنه غريبة على انه لم يتمكن من معرفتها فمال منترفيو
عنها فقال عليك بابنك ارثور فهو الحير بدواخل ذلك الملب وخوارجه
فسر ارثور من تفهم منترفيو له فانشأ يقول :

ان الشاب فرنسيس هو من امير فوسان عصره لانه يقفز من فوق اثني عشر
حصانا قفزة واحدة والرجل الكهل الذي معه هو المهرج المشهور زفيرو الذي يدور على
رجليه كحجر الرحي مدة طويلة وهو ابو القنات مايسا التي يجانبه ولا يخفى ان الحسد بين
اصحاب الحرفة شديرا فلما جاء هؤلاء الثلاثة الى الملب امتعضت ابني وطقت قلعن
عليهم وتشتهم سرا وعلاية
والا اتم كلامه حتى مر الثلاثة مر
السحاب واقبل من جانب القناتة الابن فتاء كاعب بديعة الخلق والخلق وتحتها قوس
انخ من النعامة فسألت ليونيدة منترفيو عن هؤلاء ايضا

— الا تذكرين انك رأيت القناتة لية امس في حجرة الاميرة زاموكوفي الملهى واسما
الي ديوكوف الاميركة — لاشك بانها غنية جدا

— نعم ان اباهما صاحب ثروة طائلة تقدر بللايين

— ومن اين تعرفها

— شاهدتها عند الاميرة مراداً وكنت قد عرفت اباهما عند المديو هو ديوكوف الذي
حين من عهد قريب مديراً للمصرف الاميركي

فلما سمع الكنت سترومون هذا الاسم ارتجف فلما سأله متحسناً : هل تأكدت
ان اسمه هو ديوكوف من هو ياتى فاجاب منترفيو بهدوء وقد شعر باضطراب صاحبه :
لا اعلم لاني لم أسأله ثم قال لليونيدة : يا انه صرافك ساعرفك به متى شئت

تجملت ليونيدة وقد شرت محتلمها شجرة وفكرت بان تعيين ابن البارون

لوران شفيق صرّنها لم يأت عوا بل نوهمت انه نفيجه سعي: نوميرو الحاندا عليها فاخذت
تتوقع منه الانتقام

اما سترمون قتال اليه رشده وذكر ايامه الاولى وزوجته هنريت وابنتيه
المقنودين وخاص في جلة الحزن والحلم وقضى سائر وقت التزهة مع امرأته صامتتين كئيبين
في حين ان ابنتها ارثود كان يلعب ويضحك وان عدوها مترفيو كان يتبسم تبسم اشتفاء

﴿ فصل سابع وعشرون ﴾

تزهة صباحية

وصي ديميو هابته مابا نحو شهر في باريس ولم يخرجوا ولا يوما واحدا الى ظاهرها
اللزقة بل كان دأبهما الكث في تزلها من الصباح الى الظهر ثم كانا يذهبان بعد الظهر
الى الميدان تقمن بالالعب استعدادا لتمثيلها ليلًا

وكانت ماينا دغما عما في اللب من بنات الهوى والشبان الاغراد ملازمة جانب
الحياض عن كل عشرة رديئة حافظة واجبات الادب على منوال الشاب فرنسيس الذي
كان لها ولايتها من اخلص الاصدقاء وكان صيفاً يكره المسكرات ولم يتردد قط الى
الحانات ولا يشغل الا في تحمين سياسة خيله وتقرينها حتى طارت شهرة براسته في
الافاق وتساقط الملاعب الى ادخاله في خدمتها

ما اتفق يوماً ان ملحه مدير المضار الجديد قد ارتبك في امره من هرب احد
كبار اللاعبين عنده ويحيد في تلك المدينة من يقوم مقامه فسال فرنسيس لعله يعرف
احداً فذله على زفيريو وابنته وكانا يومئذ في لندن فطلب اليه ان يستحضرهما فكتب
الى زفيريو اولاً وثانياً وثالثاً فلم يقبل حتى ايجزل له الامرة اربعة اضعاف

وكان فرنسيس يعرفهما ايام كان يشغل في ملاعب لندن وقد جاورهما سنة
كاملة فسرّه حسن سلوكهما ولا سيما رصانة ماينا وقد تقى لو تكون شريكة عمره فلما
جاء باريس فطن اليها فسمى باستقدامها مع ابنتها لعله يبلغ ما عنى

الا ان زفيريو لم يرض بالانسان الى باريس الا مرضاة لحاطر فاه ماينا الي

تجولت في أكثر حواضر أوروبا ما خلا حاضرة فرنسا فلما سئحت هذه الفرصة الحت عليه
فرضي ولكن اشتغل عليها بانهما يتعدان عن عشرة الناس ما امكن فلما جاء باريس
لزم جانب الحياض واتخذها مقامهما في نزل قريب من اللعب وكثيراً ما كان فرنسيس
يرجوها ان يصحبا للتزفة في ظاهر باريس فكانت الفتاة ترضى خلاف ايها على ان
زفيرو لشدة احلام فرنسيس عليه واكراما لحاظ ابنته رضي اخيراً ان يذهب الى
تلك التزفة الصباحية فركبوا احسن الحياض وبنوا كانوا في اول الغداة صادفوا منفيرو
مقبلاً فر من امامهم ولم يعرف منهم احد ارغماً عن اشتباهاه بعرقه زفيرو فلما ابتعد
عنهم قهقه زفيرو حتى كاد يستلقي وطلق هرج ويلفظ النكات اللطيفة حسب عادته
يوم كان في لندن فانفهل فرنسيس ومايتامعاً من هذا التغير البديه لانه في
كل ايام الشهر الذي قضاه في باريس كان كثيرًا متقلب الوجه كأنه مكروه على القعود
فيها وما شرح صدرهما ان زفيرو قد

ابدى استعسانه لهذه التزفة الصباحية واعلن انها تفيده وأنه يجب اعاتها تكراراً قضا
هنية من الزمان بين لعب وضحك وتهريج وفيها هم على هذه الحال من الانبساط اذ
اقبل فرس يجري كالسيل وعليه فتاة من ربات الجمال تستحش فلما دنت من زفيرو
كادت تصدم فرسه فشررت وأبنت بكلمة لطيفة ثم مرت وكان ابوها دريوكوف على
قيد عشرة امتار فاقبل مغضباً واستعد زفيرو لاستقباله بنكتة مناسبة للمقام فلما التقيا
التم لسان دريوكوف فاجتاز دون ان ينسب بنت شقة واضطرب زفيرو ولم يبد حراكاً
وعاد من نشوة السرور الى ما كان عليه من الغم والتعطيل

فتنص فرنسيس ومايتامعاً من هذا الانقلاب السريع مع انها كانت قد تأملا
قرب انفراج الكربة واعتماد الثلاثة على سكنى باريس وعلا الرجاء بتوثيق عرى
الاتحاد باقتراح الحبين اللذين كانا متفاهمان بإشارات الحب للحجوب ولو لم يجم الواحد
للاخر بما طي العلوب

﴿ فصل ثامن وعشرون ﴾

لمعة من ترجمة زفيرو مع ابنته

لما اشكل على فرنسيس سر تقلب زفيرو من حال الى حال عهد الى مايا في استجلاء الامر وتركها منفردين فجملت الفتاة عانقه وتبدي من مظاهر النعج والدلال ما قن قلبه وسلب جنانة لكنها لم تستند منه الا زيادة حب لها وانطاف اليها على نحو معاملته لها كل عمرها ولاسيا منذ وفاتها

ولم تنتص الا لذكرى تلك الام الحنون وكانت تظن في مخيلتها ان لها ايرين الواحد كان رقيقاً لطيفاً نكتة لم يكن يلتفت اليها قبل وفاة امها وانها في تلك الاثناء كانت ساكنة في قصر فسح مكتف بالاشجار والازهار تحت سماء نقيصة تتلأأ فيها الشمس الباهرة الابصار فلما ماتت امها انتقلت حالاً الى ارض قائمة لا تنقطع منها الامطار ولا يارقيها الضباب وان اباهم الاول تحول فجأة الى ذلك الرجل الضخم الجثة العليظ الملامح نكتة انقطع من ذلك الحين خدمتها وقضاء كل مطالبها

الى هذا الحد كان موقف ديمسرى الفتاة ولم تكن تستطيع ان تتعداه الى ما وراء مما كانت تغلفه أضغاث احلام على انها كانت مؤكدة ان اول كلمة سمعتها من ايسا هذا الجديده كانت « يا سيدتي الصغيرة » وكثيراً ما كانت تبسط لاييسا هذه الافكار وتعرض في هذا الازكار فكان يوم عليها الحقيقة ويظهر بعض الالاماب والقصى دون ان يدعها تأبه لما يظلمه من الاضطراب حتى لا يداخلها بعض الارتباب ثم كانت تذكر امامه احياناً اختها

الصغرى التي كانت غاية في اللطف والجمال فكان يخبرها بلها ماتت ايضاً وهي تشبه امها وكثيراً ما كانت تفاجئه بشمل هذه الاسئلة فكان يجتار اولاً في الجواب ثم يتبادر الى ذهنه بعض القصص فيلقها لها تلقياً

وكان زفيرو منذ صبوتهما قد اجتهد في تهذيبها على شاكلة بنات الكبراء وكان يكدر وسعى فوق طاقته ليكسب ماله يسوم باودها لكن جميع المحاولات الانكليزات اللاتي

عهد الين في تربيتها كن رديئات فكانت ترفض البقاء في المدارس الداخلية واطلعت
لأنها تفضل ان لا تترك عن البيت فلم يسهل إلا بحارثتها خوفاً من تكديدها وكان
قد حلف أنه لا ينقص لها عيشاً ما طال للعمر

وكان زفيرو في ١٠ اثل دخوله في الملاعب يرمح قليلاً فمكسان يتصد غاية
الاقتصاد ممتعاً عن كل الملاذ حتى تناطلي الشراب كي يقوم بارضاء الفتاة ثم يرح في
هذا الفن وازداد راقبته حتى اصبح في عيش هنيء فالتقى لها رافته يوماً الى اللبب فسر
بها المدير وكل الحاضرين ومال قلبها كل الليل الى ركوب الخيل الذي كانت تهواه في
عهد ايبا الاول

ولم يكن زفيرو يحب ان تجري ابنته في الشغل عمراء ولا ان تتعلم القروسية لتلب
مثله امام الناس بل كان في فيه ان يتسمتها وتنفيتها في العلوم كما لو كانت في
حضن ابيها فلم يضر عليها بضع سنوات حتى اتقنت اكثر العلوم اللازمة ولا صارت
ابنة اثنتي عشرة سنة اخذها معه الى لينبول حيث طلب التمثيل في احد الملاعب وفي
هذه الاثناء طلبت ان تتعلم قواعد دجها وتستعد لاول القران كسائر لداها

فسر زفيرو مما بدا منها من روح القوى ودفعها الى كاهن الرعية ليحلمها ما
يلزم ولكن لم يكن ليتكرر في مساء ذلك من طاب الاوراق المثبتة كونها مسيحية
والخينة بتاريخ عمادها
لكنه لاذ بالحيلة واسر الى الكاهن ان الفتاة ولدت له من امرأتها التي تزوجها في اسبانيا
دون واسطة الكهنة فاهمل تعييدها وتقييدها في سجلات قوس الحكومة

فصدق الكاهن تلك القصة وبعد تهذيبها بما يلزم عمدها ثم ناولها القران ودفع الى
اليابا اوراقاً رسمية مثبتة باسمها (ماينا كنتستينا) بنت زفيرو كنتستينو ومجمل
مولدها في اسبانيا ويوم اعتمادها في كنيسة لينبول

فما اشد ما كان فرح زفيرو لما رأى ثبوت ابنته للفتاة بصورة رسمية فكرم الكاهن
صحة جزيلة واحسن الى الكنيسة بالتي فربك واشتغل في مدة السنتين اللتين قضاهما في
لينبول بتهديب الفتاة على احسن المبادئ واثارة ذهنها بالعلوم والمعارف

تم له اشتهرت صداقة زفيرو طلبه مدير اللعب الكبير ~~في~~ باجته مولقة قدم الى تلك الحاضرة وعول على استجار بيت حسن في ارواضها فتيم ~~في~~ مايا معتية بتدبيره وهو يشتغل في اللعب في اوقات معلومة ثم ياتي الى بيته ليقضي سائر الوقت بعيش رغيد لكن ماينا بعد عودها الى لندن اعربت لايها عن عزمها بان تعلم ركب الخيل وتعلم اللعب في الميادين العمومية لكي تكون معذ ليل نهار قلبي زفيرو اجابها الى طلبها وافهمها انه يريد جعلها كاحسن السيدات القدرات فاصرت على وجوب راقعتها لاسوة به

وبعد ان قامها زفيرو ثانية ايلم اضطر الى عبارتها اعتماد ان ذلك من اجل اسباب سروره لان قلبه كان يود ان لا تافقه البتة

وكانت ماينا في اول ايلم تمثيلها في الملاعب بنت خمس عشرة سنة بارعة الجمال هيضاء القوام رشيقه الحركة بوجه صبور وعينين نجلارين وشعر مستو على الاكتاف كسلاسل الذهب فكانت اذا برزت الى الميدان فتنت الجلمان وسقت طاعتها اليه ما كانت تأتي من الخلل في اللعاب الرياضية فطارت شهرتها في كل المدينة حتى كانت مقاعد الملاعب تكتظ بالناس القبلين افواجا بما دعا المدير الى زيادة اجورها مع اجرة ايبا اضافا

فاقاما في لندن على هذه الحال حولين كاملين جمعا فيها شيئا كثيرا من المال ثم لما شاع ذكرهما في الافاق توارد عليهما الطلب من كل الجهات فاضلحا الى اسبانيا واطاليا واميركا وغيرها ولكن لم يقبلا السفر الى فرنسا البتة

وكانت ماينا تشتهي زيارة باريس لما كانت تسمع عن جمالها وعن انتظامها وتندهل كيف كان ابوها يرفض كل طلب اليها بحجة ان اللعب في باريس يحتاج الى براعة فريدة هما بييدان عنها فكان يقنعهما لما زال يتبع عن غشيان باريس حتى اجتذبه صديقه فرنسيس الى اللعب الجديد

وكانت ماينا تشك في نجاحها في تلك الحاضرة فذهلت قصارى براعتها حتى ادهشت كل من سمع ورأى وكانت تغل ان اباهما سيمر والحالة هذه من المكث في باريس

فأنت الخلاف ولم تشهد مثله في كل تلك المدة إلا وجهاً مقطباً وصدراً منقبصاً ما خلا تلك الساعة التي أنشرح فيها أثناء التهمة الصباحية على أنه ما لبث أن عاد إلى كاتبه فبذلت كل ما في وسعها لاستجلاء سره وكن ذهب سميها طلقاً

وكانت تراه أحياناً يلتفت ذات الميخ وذات الشمال كأنه خائف من عين رقيب أو غدر عدو فأمته فرنسيس وأعلن أنه يخلص له الصداقة والولاء ما طال المدى فانتعش زفيره وكأنه وجد له عضداً يمكن أن يقدم مقامه في الذود عن ماينا إذا ثارت به بعض المصائب

❖ فصل تاسع وعشرون ❖

لما شخص دريوكوف إلى باريس كان في نيته أن لا يلبث فيها إلا أياماً معدودة لكن لمي رافتها سكنى تلك الحاضرة وتعلق قلبها بعلامها وكانت تردد بها شغفا يوماً فيوماً حتى أنها رغبة في رسوخ قدمها فيها استألت ابها إلى مشرقى قصر فسيح في أجمل أحيائها وقد اضطرته إلى مشرقه بحيلة لطيفة افتتحت بها ساعة كانت تدهاب إذ سألتها : يا أبت إن رجوتك أن تشتري لي قطعة من الحلى بشرة الاف ليرة فهل تأبى فأجابها : لا ولو كان ثمنها ضفين لا نجحت بها عليك فقات له : القرب من الشارع الكبير قصر جميل بمابع تسعة الاف وخمسة ليرة فقط لما أكثر ما احبك لو اشتريت فنبسط فيه ما دمنا في باريس

وهذا كان دريوكوف ليتنظر من فتاته الجميلة أن تأخذه به به الحياة فاضطر إلى مهاراتها بالرغم منه واشترى القصر وبشر بتأثيثه بأغراض على نسق ميوت الامراء وعيون الوجهاء وكانت لمي تشتغل في ذلك أكثر ساعات النهار وتتجول بنفسها في اعظم الخازن والمتاحف لتزين القصر بكل انواع الخزاف وكانت عند المساء تعرض مشتريتها على والدها فكان يشرح لها صدراً لكنها لاحظت أنه في مساء اليوم الذي خرجت به إلى التهمة الصباحية كان غابساً ناتهاً في دياجي الافكار وكانت كلما عرضت عليه شيئاً من نفائس مشتريتها لا يكثرث اليه ولا يجاوبها حتى اخذ منها القلق كل مأخذ فاضطرت على صدره وجعلت تستنهم عن سبب كدره فوه عليها بقوله انه تشاءم من

ذلك الصباح من حين صدم جوادها ذلك الفارس الفليط

قهقهته ليلى حتى كادت تستقي وقالت له : ما هذا الا عارض مد زال فما لنا والاشتغال بذلك ثم عادت الى عرض نفسها عليه فظاھر بالانسياط كعادته ولكن عوامل الحوف والاضطراب ما برحت تتنازع

وفي اليوم التالي قصدت ليلى ان تدور ام هوبر وتدعوها مع ابنها لامشاء وكان قلبها يتوق الى مرأى حبيبها الاول الذي لاجله عوت ان تطيل مكثها في باريس فلما وصلت الى القزل خفق قلبها اضطراباً وصعدت الى الطابق الثالث وابوها وراها فمشاهدت ام هوبر امام منضدة تكتب حساب ذاك اليوم فرحبت بها ترحيباً وقامت لمناقشتها ولكن توسست في ذا الاستقبال تكلفاً لم تر مثله في بيورك حيث كانت تبدي لها من الوداد اخلصه فانذهلت من هذا التغير ولم تدرك له سبباً ثم زاد عجبها لما دعته لامشاء مع ابنها في ذلك المساء فاعتذرت عن نفسها باستغاثها في تدبير منزلها وعن ابنها بانهما كفي اعمال المصرف وصاياه في الايام الاولى من استلامها فامتعضت من هذا الرعش الغير المنتظر وقالت في نفسها : عذر غير مقبول عليها نعمتي بتدبير منزلها في الليل أو يشتغل ابنها في مصرفه ليلاً او ليس عندهما ساعة فراغ للاكل . ليس هذا العذر صحيحاً وانما وراء ذلك اسباب غامضة »

فخرجت الفتاة حزينة . منفضة الصدرة قلقة الفكر وازوت في المعلة تتنازع نفسها عوامل الهم والغم ثم قالت لابنها ماذا جرى على ام هوبر ياترى اين محبتها القلبية ومودتها الراحلة التي عاملتني بها في اميركا فاجابها اماها وقد حزن لتكدرها : لعلها نجت من زيارتنا لها في حين ان منزلها لا يزال غير مرتب وبدون ان نعلمها — كلا بل لا بد لهذا الجفاء من علة اخرى . ومع ذلك ألم يحسن هوبر

مقابلتك بالامس — بل هو لطيف ايس دائماً

ثم سارت العجدة بهذا الى اغابة فجمعت الفتاة تفكر في تلك الاسباب ضاربة اخماساً باسداس حتى لاح لها بارق ظن تخيلت انه الباعث لهذا الجفاء الا وهو افتخارها وبكبرها بارتقاء ابنها الى ذلك المنصب الرفيع حتى توهمت انها صارت اجل من ان

تخالط فتاة الخطل الخامة النسب ولو كانت اغنى الافنياء.

على ان هذا الفكر اغضبها ودفعها الى نوع من العجرفة قالت في نفسها : لماذا
نفاخني ام هوبر وانما الفكر اليوم للنسب فوق الحسب الا ترى كيف انفتحت في
وجهي ابواب الامراء والكبراء في باريس ولم ينظروا الى حسي وصنعتي بل الى مالي
وثروتي او ليست الاميرة زامركو تحسبني كأمر صديقاتها وتناديني كأحدى بناتها

وهذا زالت هذه الافكار تناجيها حتى دنت من بيت الاميرة فصعدت اليه مع
بها لتناول الشاي بعد العصر فوجدت عندها بعض الاوانس والشبان يتناولون
الحلواء بين هرج ومرج قاموا جميعا لاستقبالها فاذهلها هذا الاكرام عما خالجهما من ذلك الاعظام
وقالت اين عين ام هوبر لتري مكاتي لدى هولاء الاعيان الكرام

ولما دخل دروكوف اضحكهم هيئة القروية واذهلتهم خشونته بالنسبة الى لطف
ابنته فجالوا يتغامزون عليه واخذت الاميرة تعرفه بكل منهم على حدة فلم يتب به الى
احد الا الى رجل كهل في صدر الساعة قد استلفت بصره اليه لاول وهمة وقد شام
منه سوءا حتى اذا وصلت اليه الاميرة قالت لدروكوف هوذا الشنايله منترفيو من اخلص
اصداقنا ولا شك انه سيكون لك من احسن الاصحاب لانكما ابناء وطن يكاد
يكون واحدا

فلما سمع دروكوف اسم منترفيو ثابته البرداء وتغيرت ملامحته فجمد كي يخفي
اضطرابه وجلس ولم تعد اليه روحه الا لا رأى منترفيو يخاطبه خطاب غريب يجهله
فنشط وجعل يلاطفه لكنه داخله الرب في ما اتى عليه من الاسئلة بشأن تربية المواشي
كمثل الزمان الذي باشر فيه هذه المهمة ورأس المال الذي استعان به وقد لاحظ انه
لم يصدق له ما قال له انه برق جبينه بلغ الى تلك القوية ويدا رويدا بعد نصف وعشرين
سنة

فانقطع عند هذا الحد حديثها وانتبهت الى حديث الجماعة وكانت ليلى تسددها
اسراع الجميع وبينما كانت مسرورة بجوارحها في استمالة الالفة الباريسية طاردها الفكر في
ام هوبر وقالت ايضا « اين عينها الان ترى » على انها توسست في وجه منترفيو شوفا

لأنه لما جاء بذكر هور فوق اليها الحافظاً احد من السنان قد عرت واستشمت من وراء ذلك الاحداق انه يريد لها ولجيبها هور شراً فتشاءمت منه وكرهته واورعت الى ريسها بالانصراف فقام يودع الاصحاب ولما وصل الى منزله صاغحه بالبد والتطلعا وسأله ان يزود قصره مشرفاً

فاستاءت ليلي من دعوة هذا الرجل المكروه وما خلت بايسها قالت له : ان جاء هذا الرجل فلا اخرج لمقابلته لان قلبي يحتمه متناً . لكن ظهر لها ان اباهما قد ارتجف قالت له : هل تكدرت مني يا ابت قال لها كلا وانما لا يوافق احتجابك عن رجل اكرمني ولا علفني طريقاً فمن اللباقة ان تحسني مقابلته كساتوا الناس . . . ولا ينبغي ان تكدره بشي . بل لاطفيه كعادتك . كي لا يصنع بنا شراً هذا ما اريده منك يا عزيزتي ليلي قال دريوكوف هذا وهو يتعجب من شدة الخزع وابنته شاحصه فيه مندهشاً ، تغير اطباعه فانه بعد ان كان الى ذلك اليوم لا يكثر الى دواعي اللباقة ولا يسهه رضي الناس او فضيهم ولا يلتفت لاخلاله بالعوائد الباريسية وجدته اليوم متقاداً الى هذه القوانين صاغراً بعد ان كان يحترها مكابراً وطقت تفكر في ما عسى ان يكون هذا الرجل منزله الذي سطا على قلب ابيه وهو كارب الاسد الضرم فاصبح جباًداً كأنه يقوده بزماء فاندرت وفي فوادها عصه من حوادث الايام

﴿ فصل ثثون ﴾

في ظهور الابطال

خرج مندهو من بيت الاميدة وقلبه طامح فرحاً لمصادفته دريوكوف الذي بذكره فيه صورة خادمه يوك الذي كلمه بنقل الفتاة الصغرى الى اميركا فدخل عرقته واخذ يرقص طرباً ويقول ها قد عثرت على ضالتي المشردة فاستعدي يا ليونيدة ثم اخرج من خزائنه صورة التوتوي يوك وتأملاها فاذا هي طبق دريوكوف عاماً فلم يشك حينئذ انه هو نفسه وقد قد رآه اشتغل بالحسة والعشرب الف فرنك التي استطاع ايلها فخرج واقف وصار ذا ملاين ولعل ليلي التي يدعي انها ابنته هي احلى

اتن اثنين الي سلمته اياها يوم خطفها

فقل منترفيو من فوط السرور وقال في نفسه سقيا لي ما اعظم حظي فان الايام
قد مهدت لي الان سبل الانتقام بعد انتظار عشرين من الاعوام وقد حان وقت الانتقام
:ك يا ليونيدة جزاء فعلك الذمير فبشري نفسك بحداب الم

نكن منترفيو اراد ان يتحت بطارية قاتونية انه اصاب المرمى بحفرة دريوكوف واحترق
في كيف الوصول الى المرام لان صاحبه كان او فر منه مالا واقدر على خذله واجمال
مساعيه ولعله يطرده من قصره ولا يمكنه من مواجهة ليبي ولا مس قلامه نظرها
لان المال اليوم هو اساس القوة وبه يستطيع المرء كل الاعمال فلم ير من وسيلة اقرب
لادراك الارب من رسالة يكتبها لصديقه مدير المصرف العام في نيويورك فاخذ قرطاسا
وقلمنا وكتب له

" عزيزي

" جرأتي الصدفه في باريس الى الارتباط بعلائق الصداقه مع المديو دريوكوف احد
اصحابكم لكن قبل الدخول معه في اشتغال هامة رغبت ان اهرق بالتدقيق حالة ثروته
ومنشأها واصل اسرته وامرأته وبما انه يتوقف على هذه الاعلانات امر عتد
زفاف ابنته الانسة ليبي الى شاب من اشرف الاسرات الباريسية ارجوكم ان تكرموا علي
بالجواب المدققي بأسرع ما يمكن ولا حاجة لاعرب لكم عن استعدادي لحفظ جوابكم
طبي النكتان كما ارجوكم ان تبقوا سوالي في سركم وسلفا اشكر لطفكم "

وحسب منترفيو لوصول الكتاب ثمانية ايام وثمانية اخرى لورود الجواب فرغب في
الابتعاد عن باريس كي لا يضطره الاحتاج ببعض الاصحاب الى ابداء ما يتنازع نفسه
من عوامل الفرح او الاضطراب وانطلق الى بلجيكا قتلا للزمان وقد طالت في عينيه
تلك الايام حتى خالها عشرة اعوام على انه تمويها على ستمون ولبونيدة كتب لها من
هناك يشرح لها ما لاقى من الانسباط والحبور في تلك التزهة

ولم يرجع الى باريس الا في اليوم الخامس عشر وهو ميعاد ورود البريد من اميركا قلم

يتردد مدير المصرف في نيويورك ان يبحث على القود بالجواب الاتي :

« سيدي العزيز

« لا استطيع الان ان اكتبك لسوء الحظ الا بعض افادت مبهة لكن اظنك لا تطيق صبراً طويلاً على معرفتها بالتدقيق فلذا وافيتك بمجل ما اعلم عن المستر غريكورى دريوكوف الذي هو رجل اديب فاضل لكن اصله على ما اظن مجهول. خامل نظير كثير من اغنياء بلادنا ولم اسمع قط شيئاً عن امراته ولا عن اسرتها ولعلها تكون احدى القرويات او العاملات الخدريات اما ثروته فلم تظهر لا من نحو اثنتي عشرة سنة ولم يكن يشتغل من قبل الا باسغال طفيفه حتى جمع نحو ثلثين الف دولار فاشترى حقولاً فيسيحة واستثمرها فاصبح بعد ثلث سنين غنياً صاحب ملايين

« وبالجملة فان المستر دريوكوف قد ادرك الثروة بمرق جبينه وكد يمينه وحاز في نيويورك مكانة معتبرة وهو صادق في معاملاته وقد عرفت انك يوم راقحت اباهما الى نيويورك فاذا هي من الطف الاوانس التي تستحق اجل نصيب هذا واقبل مني خالص التحية والسلام »

فاكتفى مترفياً بهذا الجواب الذي اوضح له ان دريوكوف قد كذب عليه لما قال انه حصل على ثروته من عشرين سنة فما قبل وخاطب نفسه يقول « ان التوقي غريك بوك كان من عشرين سنة خادماً في بخيتي . هو نفسه الذي حرق اسمه فجاء غريكورى دريوكوف هو هو بيمينه ووجهه وحيته وقد عرفني هو من اول لحظة فاضطرب انا فما اشد بلاهتي اذ ترددت في معرفته اما الانسة ليلى فلم تعرف اسمها هي اذ احدى الابطسين . . . اه يا ليزيندة هوذا سيف الانتقام في يدي . . . نعم صبرت عشرين سنة ولكن لم يذهب الصبر سدى »

وبينا هو مثل بنجاحه تنص لتكر فاجأه وقد غرزه ضميمه وغرزه له لا اعترف آتامة الاولى اذ قال في نفسه : لا ابلغ المرام الا بتضحية هذه الشاة البريئة فما ذنبها حتى اسومها التعذيب من غضاضة عموها . ولكن ما العمل تباً لها . . . فلا يمكن الانتقام ان لم يضح بعض امياء الانام

وخرج منترفيو ذلك اليوم نشيطاً بشوشاً يازح أصحابه ويسألهم
عاداتهم مما اذهلهم عموماً ولا سيما الكنت سنترمون الذي عهد به رجلاً رصيفاً متوزّجاً
في كلامه غير مكثر الى شيء من امور العالم فقال له متعجباً : بين انك دلفنة
الهم والرصانة في بلجكا وهذه اول مرة رأيتك فيها بعد تشرفي بعرفتك منذ عشرين
سنة انك تكثرت الى بعض امور العالم

قال له منترفيو وهو محدد به البصر « اني اكثرت الى اشياء كثيرة مما لا يخطر
لك على بال ألا ترى يا عزيزي ان لكل في ما يهوى مذهباً » فلم يأبه احد من السامعين
ولا سنترمون نفسه الى ما طي كلام منترفيو من الهزء والزقاة

ومند العصر اطلق الى قصر دريو كوف للاشتغال بمشرك الاقتصاص لكنه لم يجد
فيه احداً فابغى رقعة الزيارة ومضى قبيل الغروب الى بيت الانسة ديونسكي التي
كان هو وارثور سنترمون يتماقبان في مخادنتها وهواها فوجد رصيفاً عندها مدمواً
للعشاء وكان ارثور في اثناء غيابه قد لزمها ليل نهار واشترى لها من الحلوى بقيمة عشرة
الاف ليرة اتدائها من منترفيو الذي اراد ان يحرمه الى هذه التفتات الفاحشة والديون
الباهظة فرفضة في انتزاف ثروة ابويه سنترمون وليونيدة حتى يصعبا فقيرين ويتكئس
كل التمكن من الانتقام منها

قضى منترفيو نحو ساعتين من لهو وانشراح حتى ازفت ساعة التمثيل في المضمار
فاستأذنت الانسة بالانصراف فراقهاها اليه ولما دخلها سمعها ضجيج القوم واصرات
التصديع والابتهاج استعساكاً لما كانت الانسة ماينا وابوها زفيرو يأتياه من غرائب الالاب
والنكات فلما دخل منترفيو الى المشهد وجد زفيرو متسلقاً على حبل واصل بالسقف
تسلق القروء فما كان كلمح البصر الا وصل الى حافة السقف المرتفع عشرين متراً
والتفت الى الحضار المدهوشين بنحته فوقعت عينه على منترفيو فارتجف وتلعثم لسانه
وكاد يسقط من الخوف الا ان منترفيو الذي اضطرب لمشاهدته ايضاً قد تمكن من
كظم قلقه ولم يلتفت الى السقف فتوهم زفيرو ان صاحبه لم يبرقه فعادت اليه روحه
ودرج الى ما كان قد بدأ به من اللب والتهريج حتى تلى وكل الاعين شاخصة فيه

والإيدي مصدية له

ولم يلبث متزفرو ان عاد الى مستقره لانه لم يتالك من شدة الفرح فدخل غرفته
واخذ يرقص كالمتوه وهو قوا ياما اسعدني وياما اكبر حظي قد سحر لي الدهر كل
عزيز لا ادراك الختمى . ما هوذا الخادمان قد اجتمعا في نفس المكان ورجعت الابتان فاما
اعدل تصاريف الزمان وتبأ لي الانتقام من شر الافراد اللثام فما احسن عناية
الرحمن بل ذلك من توفيقات الشيطان

﴿ فصل حاد وثلاثون ﴾

لية العيد

طبع متزفرو على حب الالهال والتأني في الاعمال فلما ايقن قرب نيل المرام لاجتماع
وسائل الانتقام اخذ يدبر في الحفاء ما يمكنه من اذلال رقاب الاعداء على مرأى ومسمع
من عموم الاححاب والانساب فلم ينفك مبدياً لستزفرون واهله مظاهر التمجيد والولاء
ستراً لما ابطن من الحقد والبغضاء فانتهر لية اغد فيها ملعب الخيل ذكراً لتأسيسه ما
لا يوصف من المشاهد البديعة واستأجر فيه مخدعين دعا الى احدهما الاميرة زاهر كرمع
دروكوف وفتاة ليلي وابقى الثاني له ولاآل ستزفرون

فلما كان المساء امتلأ المشهد بالباريسيين متساقين اليه افواجا حتى طُلب الكرسي
بئة فربك فلم يوجد لان ليسة ذلك العيد كانت مظنة البهجة تضرب لها المواعيد
ويتنا الناس مشتتة الابصار بما ازدان بالملب من ساطع الانوار واصناف الرياحين
والازهار اذ اقبل المهرج زفيره تشكاً بالاطمار المرقعة بني يضحك التكللى المنفجرة
طالبا سحنته بادهان تختلف الالوان بهيئة اشبه بالموخ او بالجان وما كاد يلفظ اول
كلمة الا ضج الحاضرون ضجة ضحك اهتزت لندوها الارض اهتزازاً فاظلت
لسانه باطائف الهزل ولتكات يتخلها من رشيق الحركات ما شرح القلوب وكشف
عنها غابة الكروب

ثم اقبلت الالمة ابنة اقاضة على عنان فرس كريم والنور يسطع من وجهها

لوسم فصدى لها القوم واستقبلوها بالترحيب والتكريم وقد قتنت بقوامها المياس عقول جميع الناس واذهلتهم طلعتها الهبة عن نفحات ايها الذكية ثم ما لبثت ان وثبت الى ظهر الجواد فجاءت عليه وواقه وضربتة فركض يهب الارض نهبا وهي ترقص عليه تارة وتجم طورا وتركح حيناً ونأتى غير ذلك من اساليب الحقة والبراعة ما زاد الافئدة بها شغفاً

ثم انتطعت ماينا عن اللب قليلاً وجعلت تدور على ظهر فرسها الهويناء امام الحادع حتى اذا وصلت قدام الاميرة زامرك وقتت مبهوتة بالثناء ليلي دديوكوف وهي لا تعلم اي جاذب عطفا اليها ثم الفت الى نكتت ستقومون في القصد الاخر فورد الى مخيلتها ذكر ذلك الوجه الذي لم يظهر لها غريباً وكانت قد صادفت ليلي وستقومون في الغابة مراراً فلم تكترث اليهما ولم تدرك الان ما عطفا اليهما لكنها حسبت ذلك اوهاماً وظننت انها ترى احلاماً ففكرت عينها وعادت الى وسط المشهد واستاقت العالما فابعدت وادهشت ثم انصرفت الى خارج لتتال نصيباً من الراحة فتبادر اليها بعض لطفاء الشبان وطارحوها السلام وقد ذاب قواد كل منهم من الوجد والهيام فامتدحوها واعلروا واملأوها وماتها فتبكت ذلك بالابتهاام

وكان ممن هرع لتنهئتها «تفرير حبيب ايريني» قال لها «لقد فتنت باريس بأسرها» فاجابته : «حذار من هذا النساء كي لا تجر عايت بض الملام» وقد اشارت بذلك الى ايريني فقال لها لست اخشى لومة لانهم بل افوا، الحق ولا اريد ان يمسك احد بسوء . ثم التفت الى زفير وصادفها باليدوهنا فاضطرب هذا واجابه بالشكر متلعثاً ثم اشار الى ابنته فاستأذنت واضرفت وكان فرنسيس قد اقبل فهنأها في دوره فغل كلامه اقصى محل في قلبها وكان احلى من العسل ولاسيا لا قال لها لقد افلحت في باريس فما عليك الا اقناع والدك بالزسوخ فيها طويلاً . وكان هذا جل مرامها ولكن ان، لها ان تستميل اباهما

ثم تهيأت ماينا للانطلاق واذا بتتريفود استوففها وصرعها بالكنك ستقومون الذي فيا كان يكلمها شعرت بنفس الاضطراب للذي خامرها في اللب على انها تمانت في

بالجواب وشكرت له على ذلك الخطاب وكان حديثها معه كأنها تحدث رجلاً عرفت
منذ امد بعيد ولا انحنى لتوديعها مدت له يدها لتصافحه مدفوعة بجاذب داخلي مع
انها لم تعد لها احد دونة من قبل

وفي هذه الاثناء اقبلت ايريني ديونسكي تنبخر بالفخ الثياب وهي تردهي كبراً وخيلاء
وكان من عادة الشبان انهم اذا وفدت تسارعوا الى التسليم عليها فلم يكثر اليها حينئذ
احد حتى ان عاشقها منترفو تظاهر انه لم يرها فازداد حنقها على ماينا وسميت غير
منها وحسداً فدخلت الى الحفل والشر من عينيها يتطاير ولبت بعض الادوار
كعادتها فلم تصادف من الجمهور اقبالا ولم يصد لها احد استحقاقاً

اما زفيرو فأخذ يد قناته واطلق الى الغرفة فاشار اليه مدير الملب بان له كلاماً
يقوله له فاعلم ان عاد فوجد المدير يتداول مع منترفو وفرنسيس فقال له المدير اراك
مسروراً هاته الليه واحب ان تكون باريس قد اسالت اليها فوادك فاصحيت مستعداً
للبقاء فيها مديراً دكت قد وعدتك بان اوذي لك في كل شهر مائة دينار فدونك
الان صك اتفاق الى سنة فوقعه فارفع راتبك الى مئة وخمسين ديناراً

وكان منترفو يلبي توقيع اية معاهدة كانت ويود ان يبقى حراً يذهب الى اين
اراد متى شاء فاحتال المدير عليه بزيادة الاجرة مغرماً من فرنسيس الراغب في توثيق
عري الحب مع ماينا ومدفوعاً من منترفو الذي لا يتمكن من ادراك اربه الا بتقيد
زفيرو وماينا الى امد بعيد

لكن ذهب سعي الثلاثة ادراج الرياح لان زفيرو الى الا البقاء حراً مكتفياً بالوعد
انه لا يذهب الى ملب اخر ما دام في باريس مقياً وطلب لقاء ذلك الوعد ان
ينقد راتبه ثلثة الاف فرنك شهرياً ثم مضى

وما كاد يتعد حتى وفدت ايريني ووجهها يتدفق غيظاً وفضباً وهي تمن
وتشم فدخلت الى وسط الغرفة وضربت على منضدة المدير ضربة شديدة اطارت
ما طيسا من الاوراق وقالت وهي ترغي وتربد حسي اليوم حسي صبراً فا انا باقية
هنا ولا ساعة فاما انا واما ماينا

فخطر المدير الى متريفو وخطبته بإشارة خفية وقام الى الباب فاقطعه ولم تكن المديني قد دخلت متريفو لاول مرة فلما شاهدته حملت فيه وقالت له : ما انت صانع هنا اما كان من الواجب ان تستقبلني حين خروجي من الملعب فضحك متريفو واراد ان يطيب خاطرها فأبى والتفتت الى المدير وقالت : لم تبق لك في حاجة فيكفيك ماينا وابوها فدعني اطلق اينما شئت واضرب لي موعدا لعمل الحساب فطلق المدير يلاطفها وهي لا ترد الا انفقوا قال له متريفو علي بها فما انا ذاهب معها الى منزلها وهناك اعني بكشف النعم عن صدرها فتبقى لك اطوع من بئائك

﴿ فصل ثامن وثلاثون ﴾

المديني جيونسكي

هي التي اتخذها متريفو معاونة في ادراكه الوطر وكانت في اول امرها فتاة حذيرة بنت رجل فوقي يكدي الليل والنهار للقيام بارد عائلته فكانت تضطر ان تساون اسها في الخدمة منذ صبوتهما ولكن رغبما عنها لان نفسها كانت ثابتة الى الجاه والفني والكبرياء فكانت في بيت ايها تتحمل شظف تلك الميشة حتى بلغت السادسة عشرة من عمرها فاشتهرت في القرية بجهاها الرائع وأنفت من الخدمة وتقدم لخطبتها بعض التوتية فأبى لانها كانت تنكر في جمع المال للزوج برجل ارفع مقاماً فهي احدى الليالي خرجت تحت جنح الظلام الدامس ولم يوقف لها على اثر

وكان قد اغراها احد البحيرة الانكليزي سير من المال والحلى فتبعته الى انكلترة حيث بذل قصارى جهده في ارضائها وتوصل ان يقرن بها اقترانا شرعياً فترددت الى ان صادفت لها عشاقا اخر فندرجت اليه وجاء صاحبها الى بيته فوجده خاليا خاوياً

ولما كانت رغبة الفنى والعظمة تتزايد في صدرها ووجدت ان صناعة التمثيل تكسب البارعات فيه ارباحاً فاحشة مالت الى هذا الفن واقتبسته بالاجتهاد فكانت فتنة الملاعب ثم نالت نفسها الى ركوب الخيل فبدعت فيه وما لبثت ان تعلمت افانين الالساب فادهشت وفاقّت الاقرب وطارت لها شهرة في الافاق

وكانت اينما دخلت سبياً للنفرة والتحاسد بين المحلات في ملعب واحد فلا تستطيع الثبوت في مكان لا تكون فيه السائدة المتأثرة حتى جاءت باريس فخلبت قلوب شبانها فتهاوتوا على مروضاتها الا ان متفرقوا قد فاز في هذا الميدان فصاحب الفتاة وسائر طمعا فاستاجر لها تزلزلاً جميلاً واثمته باغز الرياش وحظر عليها معاشرته سواء فكان يتردد اليها اكثر ايام الاسبوع ويأدب المآدب الطيبة عندها لبعض خلانه فتقوم بواجب الضيافة والترحيب

وكانت ايريني قد حافظت على الامانة لصديقتها مدة مديدة وظنت انه سيكون لها بهلاً لكنها فهمت انه لم يمسكها الا لأرب وقتي فكرهته بعض الكره ومالت عنها الى غيره فكان ينفض عنها الطرف كأنه لا يرى احداً

وكان ممن علق بهواها الفتى ارثود ابن انكث ستقومون صديقي متفرقوا الذي عرفه بها وكان يتردد اليها بحضوره وغيابه فلا يبيد له نفوراً ولا سباً لان الشاب كان يتلف عليها كل امواه ويستدين بالربا لبشقيتها الحلى التفتية

وكانت ايريني على هذه الحال لا جاءت ماينا كتستينا وثالث قصب السبق عليها في اللعب فامتلاً قلبها حنفاً عليها وكرهت الدنيا بما فيها ولا عادت تلك الالية مع متفرقوا الى نزلها جعلت تبدي له ألمها عراة فلم يكلمها بشيء على الطريق ولكن لا جعلت الى البيت انتهرها انتهار سيد مطلق لاسيرة مسكينة فارتجفت واماشت ولم تجواباً وظنت انه قد هوي مايناً فوجب في حجرها فاطلت له انفسا لا تنفك عن نفض ماينا ولا تبالي بهجرانه ولو كلفها ذلك المجر خد ارة خمسين الف فرنك سنوياً لكن شد ما كان اندهاشها لما اعلن لها انه لا يبغي قطع صالها البتة بل يريد معاونتها للانتقام من ماينا التي ينفضها هو ايضاً اضفاف بنفضها لها

فانفجرت كربة ايريني لكن بقي في صدرها من كلامه بعض الريب قالت له : ان كنت تكرهها حقاً فلماذا تتظاهر بحبايتها ولا تطردها من باريس وانت اقدر الناس على ذلك

كيف اطردها ولي غابة في بقائها في باريس واني اسعى في اسقاطها من حائق

مجدها وادبر لها احبولة اذا وقعت فيها فلا تقوم لها قائمة وتضي احقر فتاة في الارض
فلا يقبل على الاقتران بها ولا رجل من اراذل القوم تشفي حينئذ غليل حسدك
منها. أفلا يسرك هذا التدبير

— بل لي هو غاية المرام. آه جبذا ساعة سقط لها فادوسها دوساً لانها حرمتي
لذة العيش باستمالة جميع القلوب اليها . . . متى يا عزيزي يتم هذا قل لي بجياتك فيلشرح
صدي

— من تأني نال ما تمنى فطينا ان نسعى من الان وطيك ان لا تخالفني لي امراً
— مريماً تشاء قطاع بلا مراء — اول ما أمرك به ان تكفي عن
التظاهر بالصداء لها وتبدي لها عين الحب شيئاً فشيئاً

— حسن وماذا بعد — متى ايقنت انك صرت لها صديقة
حسنة فلا تمتع نفسك الدخول في زوايا قلبها واكتشاف خفايا دواخلها

— اظن هذا صعباً اذ لم يتمكن احد حتى الان من مصاعبتها ولا معرفة بيتها
— ان صعب على غيرك فلا يصعب عليك انت ولا سيما انها ترغب ان تكافئك
على انقلاب بنضك لها حباً فلعلمها لا تخفي عنك شيئاً ومتى بلغت الى ذلك الحد من
الصداقة الخلسة فسوف اطعمك ماذا يجب ان تصني كي تغريها للوقوع في الاحبولة
المديرة لها وهذا منتهى المرام

وكانت ايريني ترتعش فرائصها عند ذكر هذه التعاليم الشيطانية التي كان يوسوس
اليها بها . تتقرب متغذاً اياها كآلة يلعب بها للفوز بآربه الشريرة دافعاً اياها الى سارك سبيل
النفس والحداع والمداخنة والرياء والكذب والافراء على الضعفاء وكانت تود لو تركت
هذه السبل المعوجة وقارمت عدوتها وجهاً الى وجه وفقاً لطبعها الحر ولكن شدة حنقها
على مايا وتلفظها للانتقام منها وخوفها من معاندة . تتقرب ذلك كله دفعها الى اتباع
هواه مساعدة له على ادراك مبتغاه

﴿ فصل ثالث وثلاثون ﴾

﴿ القارس فرنسيس ﴾

لما عاد فرنسيس الى بيته تلك الليلة التي اجتهد فيها مع مدير الملب ما قناع زفيرو للبقاء في باريس طويلاً اخذ يتصر في طريقة يتدرع بها لبوغ الوطر واوصى خادمة ان ياتي به عند الصباح بجميع الجوائز الباريسية التي يرد فيها ذكر تمثيل تلك الليلة وكان فرنسيس مقيماً في ضواحي تلك الحاضرة في منزل مشتمل على اربع غرف تتصل بها حديقة فسيحة اتخذها مضاراً لحيل السباق التي كان يروضها في النهار فلما كان الصباح اقبل الخادم ويده اضاربة ضخمة تضم ثمانياً وثلثين جريسة فتلقفها واخذ يصنعها واحدة واحدة فوجد انها اجمعت كلها على استحسان اللاعب زفيرو وابنته وضعت ليد الملب ان يجتهد في ابقائها عنده كل ذلك الفصل نظراً لما يرحى من دوام اقبال الناس عليه وقد اطراأت كلها الفتاة ماينا واصفة براءة جمالها مادحة تفنن العالما مثنية على حسن ادائها فاذا د بها فرنسيس هماماً وعزم ان يضاعف السعي وراء اقامتها مقام اليربني التي تكرهها

وبينا هو مشتمل في هاته الافكار لم دخول امرأة الى الدار فانتهر الخادم قائلاً ألم امنعك عن ادخال اية امرأة كانت الى بيتي

— غوا يا سيدي ليست الداخلة بامرأة — ومن هي اذن
— هي احدى المثلثات في الملب — افذلك من غيبي ابله أليست
المثلة عندك بامرأة — سهلاً سيدي اريد ان اقول انها

ليست بامرأة غريبة فهي السيدة اليربني ديونسي
فاضطرب فرنسيس عند ما رن في اذنه اسم اليربني وقال مخاطب نفسه : ما قصد هذه المرأة الحبيثة في الحجيء الي هذا الصباح ياترى أعل وداها شركاً تنصبه واليماذ بالله من مكرها . وكان يجب الا يواجها لكن اللياقة اقتضت ان يسايرها فاستقبلها متجبلاً

وكانت ايريني قد نفر قلبها من كلام منترفيو في البسارحة واستشفت من ورائه
مكيدة نصيبها بواسطتها لسأرب خبيث فلم يطارعهما فؤاده الحزان تكون لمعة لهذا
الاحتال ولاسيا انها سبرت غوره طويلاً فوجدته متمسكاً خبيثاً خداعاً ناكث اليهود
يظهر لها الحب ويطن البغضاء مع انها كانت قد محضته الحب واياحت له نفسها
عن رضى دون التفات الى احد سواء رجا ان يبيد معها مدي العرس فساء فألما وخابت
امالها فانقلب حبها له كرها ثم ازداد فضالاً رأته معولاً على استئناسها لقرضه آله
شيطانية بالكر والحاجة خلاف طبعها

وكانت قد حشدت شيئاً كثيراً من المال يكاد يبلغ المليون من الفرنكات فتكرت
في الاستغناء عن منترفيو وترتيب عيشتهام مع رجل تصطاده بالمال فتكون هي السيدة المطاعة
على نحو ما صنع غيرها من نساء العصر وكانت تحب فرنسيس رغماً عن حسدها له
وابداها له عين العدوان لانه كان شهياً ادياً كريم النفس لطيف الحاضرة طلق
الحياض الشباب فقالت في نفسها اضغض بالاطياب والبس الغر الثياب وأقرع ذلك
الباب واراده عن نفسه بما لدى من سعة المال وبراءة الجبال لطي احلى بجواب يكون
من شأنه ضم شمل الاحباب قاعود بحسن المآب

فلما دخلت بيته اخذها الرجل لاول وهلة خوف ان يصدها صداً لكنها تجللت
واشتد قلبها لما احسن استقبالها خلافا لعادته في الملعب وقال لها :

قد اسعدني الحظ بشريفك ذا المنزل ياسيدي فهل من خدمة تقتضيها فاقضيها
على الرأس والعين

فنبست بسم ربات الفصح والدلال وقالت : شكراً لك ياسيدي لكن ان كان
احداً محتاجاً خدمة الاخر فلا اكون انا

فاشار من هذا الجواب الشديد وقسم فيه اقتراح مداعاة او تهديد وبما انه
كان يرب الصراحة والجللاء استفسرها بلامراء

فاجابته باحسن اسلوب : لقد تكلفت بعرض خدمتك عليّ وانا ابادلك عرض هذه
لخدمة لكن بما اني مقيمة في باريس امد أطويلاً قبلك ولي خبرة اكثر منك اظن اني

استطيع ان افسدك اكثر من اقادتك لي لو لم انفعك الا في وضع حد للأموال التي
تتلفها بسخاء على الناس كما فعلت مع رفيقك حنا بالامس باعطائه عشرين ليرة
لكفى ذلك خدمة

— انا اعطيتك ذلك على سبيل الاسعاف لان امرأتك مريضة ونفقات تطليقها جزية
— انك على غرور فان مرض امرأتك ليس الا زكاما يداوى ببعض المديريات ولم
ياخذ منك المال الا لينفقه على عاشقة له في ظاهر المدينة وعندها يتلف درهماتك التي
ربحتها بوق الجبين وكن على يقين انه لا يرد لك منها ولا درهما
— أو لا استطع ان اتصرف بمالي كما اشاء

— أجل ولكن هل يوافق ان تضة في جيوب قوم يضحكون منك وياخذونك
خدمة وما اني ارى على منضدتك ورتين كذبت على احدهما مئة فرنك وعلى الاخرى
مئة وخمسين اظنها اسعافاً لرجلين مثل حنا — أو ليس من العدل ان نقيث بعض
الاخوان بمن اخنى عليهم الدهر وعظم ناب الفقر

— نعم ولكن متى كانوا في الحقيقة قراء فلقد يسوئي وائم الله ان ارى دراهمك
توزع على اولئك المحتالين واني اؤكد ان ليس في جيبك الا ان خمسون ليرة تبقيها
لحين الحاجة في حين لا ينفعك اخ ولا صديق وان اولئك الذين اسعفتهم يفضون
عنك ولا يلتفتون اليك التفاتاً . . . بقي هذا اقدر ان انفعك بخبرتي فلا يحسد ان
تعيث الا المرزوقين بالمصائب الاكيدة لالمحتالين والكسالى

فانذهل فرنسيس من خطاب ليريبي ولم يدري ما عسى ان تكون غايتها في التعرض
لما لا يعنيهها فقال لها بلهجة كبر وترفع : احضرك الشكر لتعيرتك على صاحبي على اني
اجيبك الان اولاً اني حرّ بقبديد اموالي على هواي ولو بذلتها في سبيل من ليس لها
اهلاً وثأياً ان كان احد يثار على مصلحتي ويجب نصحي فلا تكونين انت

— تريد ان تقول : فلا تكون تلك المرأة التي اساءت اليّ احياناً لكن ألا تعلم
يا عزيزي ان المواطن تبتد والا فسكرتتير (ثم ادنت منه كرسيا وقالت) لقد
صدقت بالي فد ابضتكت قبل ان عرفتك ومن يوم كنت في الملعب الاول لان المناظرة

صفة متبادلة بين الرصنا.

— عنوا ياسيدي فاني لم يحطرك فكر مناظرتك قط على بالي
 — صدقت فاني انا كنت وحدي سبب هذه المناظرة بل اريد ان اقول ذلك
 الحسد ... أجل قد حسدتك على ما نلت من النجاح وما حُفك به القوم من
 الثناء حتى اني من اول يوم دخلت معنسا الى الملعب الجديد حسبت ان عدواً لدوداً
 دخل بيننا

— اما انا فلم احسد احداً طول عمري ولا اكن عدواً لخلق قط
 — كيف لا وقد كنت عدواً لراحتي فاني من اول يوم نظرتك قاتلتني جيوش الافكار
 ولم اقدر ان اهدأ بك ليل نهار قالت هذا وتوردت وجنتها خجلاً
 وقرست في فؤديس ترى ما يكون منه قسواء هذا التلميح الذي يكاد يكون انصاع
 من التصريح فوجده لم يابه الى كنه غايتها بل لبث سهوياً مفكراً في ... عسى يكون
 من وراء هذا الكلام فاستأنفت الحديث وقالت : كم من مرة اشتيت ان يحفل بك
 الجواد بصرمك على الحضيض لكن لسا رأيتك تعاملني باللفظ عوض الجفاء
 وشاهدت الجميع يشنون على رقة اخلاقك وكرم ارومتك اخذ البغض يزول من قلبي
 رويداً رويداً وحل محلة الحب التي فاقبلت ارثي لحالك مشقة ناصحة
 فضحك فرنسيس مقهقها حتى استلقى قسالت : تاخذ الامور بالهزل
 مستهزئاً لكذلك لن تضحك دائماً وسيأتي يوم تعرف فيه اني لم آتاك الا بالمشورات
 وبصائح كلها حكمة ... اجل اني رايتك لحالك فما انت صانع لو نابتك رزية كما
 تاب رفيقك كافوراً

— لي بك اسوة ففحن كلاً ما معرضان للاخطار
 — صحيح اما انا فليدي من المال الذي جمعت ما اقوى به على رد غارات الزمان
 وتحمل مصائب الحداث واما انت ... ثم نظرت نظرة عاطفة اليه ولطفت
 صوتها كأنها مشقة عليه لانه ارتجف قليلاً وقد تحقق صدق مقالها الاخير لانه كان
 جواداً سبط البنان يتلف من الاموال اكثر مما يدبح ولم يكن يصل الى احوال الشبر

حتى يكون قد أنفق كل راتبه واستدان فوقه فعادت الى الكلام بصوت نشتم منه
 رائحة التبج اللطيف من الحب الخالص وقالت : انك بالحقيقة اميركي لا غش فيه
 لا تحسب المال بشي ولا ترى الدراهم صالحة الا للانفاق فكل ما ترجح تصرف ولا
 تفكر بما يكون في المستقبل بل اظن انك لم تضمن حياتك ايضا

— ولقائده من اضمن حياتي وليس لي اهل ولا ولد

— لفائدتك انت نفسك اذا تركت بك رزيتة هيمزت عن السبل واكتساب الرزق

— واية شركة تقبل ان تضمنني وحياتي معرضة لخطر في كل لية

— ان لدي ضمانة لم تفكر فيها تطوحي التي لاجلها جنت اليوم ضنا بك ايها العزيز
 فاصاح لها فرنسيس سحاً نخبذاً من قوة كلامها الذي لم تظهر له غايته بعد في حين
 كانت الخبي آخذة باضاحه شينا فشيناً بأسلوب من الفصاحة لم يسمح على منواله وكانت في
 اثناء حديثها تتنقش كتمن البان ووجهها الوردي يبت نوراً وسهام الحاظها تصبي
 الجنان وكان لسانها الذي يزداد فصاحة لا خامر نفسها من 'بل الفلاح اءا فرنسيس
 فلم يلتفت الى شي من ذلك لان حيل الحسان قلما كانت تؤثر فيه الا انه ظن انها
 تريد بذلك ان تعرض عليه شغلاً جديداً فاسأها : اذن ما ودائك يا عصام

— اريد ان اسعى في خلاصك من هذه العيشة المرة وان اراك حراً لا تنقاد

صاغراً لامر اي مديركان بل مستقلاً آمراً طاعاً واني اعرف لك امرأة ...

فانتبه فرنسيس اخيراً الى مغزى كلامها وفهم بعض الشي واصفى الى

النهاية فنظر اليها محمداً بصره في حين انها اضطربت وحنق قلبها من هذا الموقف
 الخرج الا انها تجلجت وقالت : اني اعرف لك امرأة بارعة الجمال لا يزيد سنها على
 سنك الا احواما قليلة فهي لا تزال شابة قوية نشيطة الجسم والعقل وقد بليت بحبك
 ولكن لا كعب سائر القتيات بل هو حب قلبي ثابت اشته به بحب الزوج لبعلمها او
 الاخلة لشقيقتها وهي بكلمة واحدة منك تقف نهيا لك كل حياتها وترضى ان تكون
 بربك على ما تشاء إما عروساً واما مسيكة فتقبل منك عبدة رقيقة من مولايها
 الحصة الي نهجها لها في سائر عمرها فسواء لديها ان تبقى فارساً في الملاعب او تعيش

على بساط الرغد والهناء في المدينة او في القرى او في اية بلدة من العالم شئت او ان اردت ان تنشيء حقولاً لتربية المواشي فهي لك طوع بئانك ما طال المدى

— لا شك ان هذه المرأة غنية مثيرة

— نعم يا عزيزي تلك على نحو مليون من الفرنكات

— اذن ارجوك ايها السيد ان تقولي لها ان الفارس فرنسيس لا يشتري بالمال . .

فانا رجل فقير حقير ولكن حسبي غنى اني شريف النفس ارفع عن الدنيا التي تحبط الانسان الى الخسيس واما الزواج فذهبي فيه مذهب سائر اخواني الاميركان ان البر لا يجب ان يتزوج بامرأة الا عن حبه لها وبغية ان تكون رفيقة عمره وما المال الا عارض اثل الى الزواج

— ما احسن ما قلت يا عزيزي والمرأة الراضية فيك لا تنصد الا ما انت قاصد

— زه زه غنية ومسنة تسعى تشتري بل من الشباب أقلم يقع اختيارها الا

علي انا الفقير المفلس لتلكني بالها كلا كلا ما انا ممن يشتري بالمال واعلمي ان مثلي اذا مول على الزواج فلا يفتن الا بغشاء ادية من حرفته

— على الخير بها سقطت فالمرأة التي اكلمك عنها هي من حرفتك على وفق ما

تشتهي

— لله درها اهي من لاصبات المضار وفي جيبها مليون حاشي . الله اعلم كيف

جمت ذلك المال فلما انقطعت النساء من الارض لا تزوجت بها وانما أوتر عليها فتاة ساذجة لا مهر لها سوى كمال اداها وذكاء جناها هكذا يجب على الفارس ان يتزوج وبمثل هاته الفتاة سائر زوج

فتوسمت ايريني من كلامه انه يكرها ويذريها كاحقر النساء في حين انه يحل عدوتها ماينا ويحقرها كاحسن الخدرات فازداد حقداء اضطراراً وقامت وقد اخذ منها القلق كل مأخذ وقالت له . اسفي عليك فانك من الخاسرين قد عهدتك وحب الصدر شهيد الادب . لماذا تكررت وتولاه النضب

— لكن اظن ان هذا لم يمك بسوء — كلا فلا تاتق لي في الامر ولا اجل
وانا وافيتك هذا الصباح حباً بمجرك لاعرض عليك الاقتدان بصدقة لي لا تستحق منك
الأكل اكرام فما كان عليك الا ان تجاوبني سلباً فنقطع الحديث بهذا الشأن والسلام

﴿ فصل رابع وثلاثون ﴾

في صدق فونسيس وامانته

لم يكن فونسيس ليكره ايريني جزافاً بل كان ينتقد سلوكها ويشتمز من كبريائها
ورى انها لا ترجح من تكيها الا عشرة الاف فرنك في السنة في حين تنفق في بيتها
وعلى حلالها خمسين الفا فسقطت من عينه وصددها كسائر النساء المبتذلات ولم يلتفت
قط الى جمالها ولا الى عواطف غنجها ودلالها وكثيراً ما كانت تراوده عن نفسه
فلم يرها اذن صاغية لانه كان رصيناً طاهر الذيل مغلق القلب في سبيل النساء
ضناً بكرامته وحرصاً على صحته ورعاية لمصلحته التي تقتضي منه حفظ كل قوته
على انه كان يفكر في وجوب الزواج بمائة سالحة تكون رفيقة له مدى العمر في
السراء والضراء فجعل يقرب الفرصة صابراً حتى شاهد ماينا في لندن ففتنت قلبه
باداها وعول على ان لا يتخذ من دونها زوجاً وكان مغطوراً على الحياء فنجعل ان يطارحها
حديث الهوى فلما جاء باريس ووقف على رغبتها في عشيان باريس ايضاً لم يدخر وسماً
حتى اتفق والدها قدما تلك الحاضرة وحينئذ طفق يختبر اطباعها ويترب منها ما
امكن ويؤاكلها مع ايسا فازداد يقينه بطهارتها كما انها رمت ايضاً بعين الميل
والحب التي فكان يمار عليها ويدافع عنها ويسهر على كل حركاتها وسكناتها
فأتى للسكنة ايريني والحالة هذه ان ترى من الشاب عليها اقبالاً وعنده تلك
الحمامة النقية النضة الشباب الصادقة الوداد السالبة منه الفواد وقد فهم صاحبنا ان المرأة
التي زعمت انها موفدة منها ليست الا هي بينما وانما اتخذت هذه الحيلة خوف القتل
فلما انطلقت ضحك منها وقال انحسبني ولداً اتطلي عليه الحيلة او يفتقر بالمال
ثم قام فونسيس الى اصطبله لينتقد صحة خيله حسب عادته في كل صباح وامر

الساسة باعداد ما يلزم للتدريس واذا بالباب قرع فظن ان البرني قد رجعت فتعوز من الشيطان وعزم على ان لا يقابلها لكن ما لبث ان شاهد رجلاً كاملاً السن بلحية شقراء اشتعل شعرها شيباً فشر بنفسه بيل غريزي اليه وهرع لاستقباله واذا هو غريزوري دروكوف فوجد فيه من الاسطاف اليه ما لم يهده في غيره فتصانحاً واخذ يتبادلان اطراف الحديث الذي كان مشرباً اخلاصاً وتودداً وكان في نية دروكوف ان يعرض على فرنسيس امراً آتلاً لحسن مستقبله بان يكل اليه ادارة حقوله النسيعة في اميركا لانه آنس من ابتته ليلي ميلاً شديداً الى الاقامة في باريس ولم يجب ان يارضها ولا يفارقها فاصبح مضطراً الى رجل امين يستمد عليه فلم يجد اوفى من فرنسيس الذي مال قلبه اليه من اول نظرة فصرح له في غضون الحديث عن مراهه عارضاً عليه ثلثين الف فرنك راتباً سنوياً اي ثلثة اضعاف ما كان يربح من التمثيل

وكان كثيرون من اكابر اصحاب الاملاك والمواشي قد عرضوا على فرنسيس مثل هذه المهمة فكان يرفضها لاول وهلة لانه لم يجب ان يترك باريس ولا يدع حرفته التي تمكنه من نوال اربه بالاقتنان بايضا لكن لما سمع عرض دروكوف تنازله عاملان عامل القبول بذلك المنصب الذي يجعله في ارغد عيش واحسن حال وعامل الرفض حياءً بن سلبت فوائده لكن العامل الثاني كان اشد عليه ضغطاً فشكر لدروكوف حسن ظنه به واعتذر بانه مرتبط الى اجل معلوم مع مدير الملعب

فضحك دروكوف وقال له علي بالمديرفاني ارضيه بالمال فلا يارضك البتة فاعتذر فرنسيس ايضاً بان له علائق تشغله عدة اشهر فاعطاه الرجل المهمة التي يشاؤها فضايق فرنسيس ذرعاً ولم يجد له محيصاً فقال له : عندي اسباب اخرى تضطرني الى رفض طلبك الان رغماً عني لكنني اعدك اني اذا خرجت من هذا الملعب فلا اقبل الا خدمتك فقال له دروكوف : هذا عسبي واني احمده على شرفك وصدقك ودعنا الان من هذا الحديث الى خدمة اخرى جئت لاجلها ارضاء لابنتي التي ولعت بجواري تحب ان تشتريه وقد رأيت غير موافق ولا اختلافنا اعتماداً ان نجعلك حكماً في فض الخلاف سنداً الى خبرتك الطويلة بالحيل فاجاب فرنسيس على الرأس والمين

الف خدمة مثل هذه الخدمة ياسيدي دريوكوف فابن الحصان الان

— هو في ميدان المدينة فتى تحب ان تصبني لامتحان

— في هذه الساعة ان شئت

فلو كره دريوكوف في عجلته ولا وصلا الى الميدان شاهدا الفتاة ليلى قد سبقتهما
بجعة الاميرة زامركو فلم فرنسيس عليها ثم ذهب الى الاسطبل فامتنه لتهمس في
اذنه ان يمنع اباهما بمشترى الجواد لانها تحبه فلم تحصل اليه الا وقد دخل الاسطبل
فوقفت على الباب تنصت واذا بصاحب الجواد يقول: اهلاً وسهلاً بالصدق الحبيب
فرنسيس ما اسعد حظي بمرآك هذا الصباح ثم خفض صوته وكلمته بالانكليزية قائلاً :
روحى فدائك يا شقيق الروح ارجوك ان تشني علي الجواد وتشير بمشتراه فان ابتساعه
دريوكوف وهبتك خمسين ليرة

فازمنت ليلى لانها كانت تكره الكذب والخيانة وقد زاد اضطرابها جواب
فرنسيس له بطلبه مشاهدة الجواد في الحال بما يدل على استعداده قضاء تلك الخدمة
لاخذ الجمالة فمادت وهي منزهة كيف الشاب فرنسيس الذي اعتقد عليه ابوها
لينصحه بامتحان الحصان والذي اشتهر بالصدق وحرية الضمير والاستقامة يبيع
ذمته وشرفه بخمسين ليرة واخذت تفكر بان في الجواد عيباً كبيراً ولولا ذلك لما
تبرع صاحبه بخمسين ليرة رشوة . قالت كلا ان آخذ الحصان البتة

وبعد ان ركب فرنسيس الحصان وامتحنه في الميدان جاء الى دريوكوف وقال
انه جواد كريم من احسن الخيل لكنه لسوء الحظ شرس لا يقوى على ضبط لجامه الا
بطل صنييد فلا اراده . واقعاً لا يملك اللطيفة فبهت ليلى واحدقت فيه وهي لم تصدق
ما سمعت اذاها

اما دريوكوف فخاف ان تصانده ابنته ابناً ولا تقبل من دونه جواداً لكن ما
اشد ما كان تعبه لما رآها . سرورة من حكم فرنسيس وقد تقدمت اليه فصاغته باليد
وشكرت لتصيحته كل الشكر وقالت بالحقيقة انك صادق امين وقد زادت ثقتنا بك
اضاعاً فاسر ابوها غاية السرور واثني على تراهة الشاب الطيب الثناء وشغف بعبته كل الشغف

﴿ فصل خامس وثلاثون ﴾

اشواق ليلي

عاد دريوكوف مع شائه الى البيت وفي قلبه مجال فسيح لحب فرنسيس الذي
اعرب عن شهامة غريبة لا يأتيها في هذا الزمان الا كل كريم الاصل طيب الارومة
كامل الاخلاق لانه آثر حب الاستقامة واخلاص الخدمة على ربحه الخصوصي وبذلك
نجى الفتاة ليلي من خطر قريب

وقد توفرت للآنسة ليلي في باريس جميع اسباب السرور وكان منزلها من اعظم
القصور ولديها من الحلى والتحف ما تنافس به اشرف ديات الحدود وعندها من الاموال
الطائلة ما لا تغنى على محر الاعوام والعصور حتى «مدتها العاقل والكرام وحسبها في
سعادة فريدة ونعيم دائم ولكن ذهل الحاسدون ان السادة لا تقوم بالرغد والرفاه
والنعيم لا يقوم بالمال والجاه بل قوام سعادة الانسان قناعة القلب ونميسه راحة الضيق
اجل لم تكن ليلي في حمر ايها لينقصها شيء لتكون راضية قانعة لكنها كانت ترى
ان كل هذه الامور لا غنى لقلبها الذي كان يشتهي شيئاً اخر لم تكن تدري ما هو وكان
هذا الشيء المجهول شاغلاً افكارها ليل نهار ولم تعلم كيف الاهتمام اليه وكانت
تحب ان تساهل بشهود تميلات الملاعب وتقتد متاحف المدينة والتتر في رياضها
التضيق وتبادل زيارات الاكابر من وجهاء وامراء فكانت في تلك الاثناء تساهلها
موقتاً وعند رجوعها الى القصر تعود الى هواجسها السابقة

وكان دريوكوف اكثر منها خبرة وقد ادرك شيئاً من ذلك السر لكن لم يكن
باليد حيلة للوصول الى غاية كرمته فكان يذلل كل الوسائل في سبيل ادخال المسرة
على قلبها اللطيف وكانت كلما خلت به اعربت له عن اندهاشها من جناء هو يد
وامه اللذين نظرا اليها بعين الصد والجفاء من حين وصولها الى باريس مع ان هو يد
يرى ذلك المنصب الرفيع وهو ادارة شعبة المصرف النيويوركي العام الا بسعي ايها لدى مديرة
الاكبر في نيويوك وكانت تقول : ان محبتي لي كانت طاهرة اقية وقد حلت في قلبه

أرفع محل من أول نظرة في بيت الحقل فإذا إلى عليه من صروف الزمان ولما إذا
انقلب هذا الانقلاب فياليتنا بقينا في نيويورك حيث عاملتني أمه معاملة ابنة خاصة
واحبتني محبة خالصة فهل لم تعد تكتوث إلى الآن يا نرى لا رأيت ارتقاء ابنها أو ان لها
سبياً أخر مجهولاً لعله يكون عذراً مقبولاً

وكان هوذا يتنصص لكآبها ويجهد في تسليتها وكشف كربات واذها لها ما امكن
عن ذكر هوذا معرضاً لها بذكر مئات من شبان الاكابر الراغبين في رضاها عنهم
التمنين زوال شرف الاقتدان بها اما هي قلما كانت تلتفت الى مثل هذه الامور
ولم يدخل قلبها حب احد مع حب ذاك الذي كان اول شارب مالت اليه منذ
خاصرها في قصر الحقل وعلمها رقصة الميدان ثم رقصة الجبلان

اما هوذا فكان اشد شغفاً بها من شغفها به لكنه يس من ادراك بعينه لا يوجد
بينها وبينه من البون للبعيد في الثروة التي لها اليوم المقام الاول في الالة وما دفعه الى القنوط
ان دريو كوف قد خالط اعيان باريس واشتهر فيها بوفرة المال حتى صار يشار اليه بالبنان
وان ليلي كانت قد توغلت في معاشره الوجوه والكبراء فطن ان قلبها قد مال عنه الى
احد الامراء فاختار البعاد وآثر الحياض كي لا يزداد شوقاً الى من سلبت منه حمة
القواد وقد زين له الوهم ان الامل منه ازال فلا سبيل الى الوصال
وكان هوذا قد اسر الى امه هذه الافكار فنصحه بالصبر على الاقدار وترك
الامر لله القدير ولي القرج والتدبير

وما اثار الشجون في صدر الحبيبين ان هوذا وفد لزيارة دريو كوف في قصره فلم
يصادف احداً فاقبى رقعة الزيارة وانصرف كثيراً لسوء حظه لكن اسف ليلي كان
اعظم واشد لما عادت عند المساء ودخله الريب ظانة ان هوذا انما ترقب فرصة
غيابها عمداً حتى لا يجتمع بها ولا يؤدي الحديث الى العتاب واكدت حينئذ توهمها
السابق بلق قلب الحبيب قد انقلب وهي لا تدري لذلك من سبب

ثم تأملت ان يجلي الامر عند قدوم ام هوذا رداً للزيارة واخذت ترقب تلك
الساعة السعيدة ترقب هلال العيد حتى مضى خمسة عشر يوماً فنفذ صبرها وتقرود

لديها ان صلات الوداد الراجلة بين الاسرتين قد ارتفعت ولكن في اليوم التالي ينال لي
 ملتية بمسامة بعض ذواتها من الاميركيات التنيات وبعض الاسماء الراغبات في ترويح
 اولادهن ومعهن الاميرة زامركو واذا بام هور قد اقبلت بثوب ساذج كسائر النساء
 الكاملات فرجت بها ليلى غاية التعجب وعاقدتا هدية وقد تبين لهما من الزاوة مزيد
 البشاشة واللفظ لكنها لم تر في تلك العاطفة القلبية التي عهدتها فيها في نيورك
 فاشعرت بوجود سبب ادخى تلك الملائق المتينة وما اشد ما كان تنقصها لعدم تمكنها
 من استطلاع ذلك السر امام جمهور الزائرات فودعتها وفي قلبها حسرة من تلك
 النظرة وودت لو بقيت الى المساء لتجتمع فيها في خلوة اجتماعها بها في نيورك الا انها
 استأذنت بعد نصف ساعة وودعتها احسن وداع

فلما خرجت ام هور طقت النساء الاجتماعات يضعكن منها شان كثيرات من
 سيدات عصرنا اللاتي قلما يفت زائر او زاورة من لسانهن فجلت الواحدة تنقذ
 حرركاتها والاخرى كلامها وغيرها ثابها فاستاءت ليلى واخذت تدافع عنها وتمدح
 من كرم اخلاقها وطيب سيرتها فاجابت احدها من : لا ننكر عليها ذلك وانما ننقذ
 ملابسها التي تقادم عهد زيارتها من ثلاث سنوات ثم اندفن في الضحك والقهقهة
 وحوثنا الكلام الى هور فاشين عليه ومدحن حذائنه التي اهدته رغباً عن حداثته لذلك
 المنصب الرفيع فتوردت وجتها ليلى وقد تسمرت في فؤادها نار الجوى. ويناهن
 كذلك واذا بمتروفيو قد اقبل فاخبرهن وهن في الحديث انه دعا هور اشهد
 التمثيل في ملعب الخيل الجديد في تلك الليلة

والا طادت ليلى الى قصرها اطاحت اباهما عما طني صدرها من عوامل الشوق
 والانطاف الى ذلك العصفور الذي كان في وسعها ان تقتصه في اميركا لكنه املت
 من يدها لما عبر البحر المحيط وصار في فرنسا وحسبت ذلك ضرباً من الكثره فسال
 لوالدها : اهل هور يحفل تينته مديراً اشعه ماردير بواسطتنا فلماذا لا نعلمه على
 ذلك فيضطر الى مقابلة النعمة بالجميل

لا يا بنية ان ذلك سر بيني وبين المديع العام يجب ان لا افشيه لهور

— ما العمل اذن ليعرف ان لنا عليه فضلاً
 — ليس المن من اللياقة فالاولى ان ندع الامور تجري في مجاريها وعليك ان
 تبعدي ذكره من فكرك ما امكن
 فقلت ليلي ان تنصاع لرأي ابيها واجتهد ان تسلو الحبيب لكنها لما كانت
 تشهد العاب الخليل برفقة الاميرة زامركو قدم هوبر في اواخر التمثيل الى مخدع متغفرو
 المجاذبي فلما وقت عينه عليها حولت وجهها منه قصاصاً لجفائه لانها لحظت احمرار وجهه
 وقد بدت عليه امارات الحب والاضطراب وقالت لا شك ان محبتي لا تبوح في قلبه
 كامنة

وعادت ليلي تلك الليلة منشرة الصدر وثامت نوماً لذيذاً لم تألف عنها مثله منذ
 امير طويل لكنها عادت في "اليوم التالي الى التنصص وقالت في نفسها لله ياربي لماذا كان
 بالقرب مني ولم يكلمني . لم توارى عني ولم يسلم علي . . . هل هو باقٍ على محبتي
 يانرى . . . بل على . . . ولكن ماذا ينتظر وماذا يريد . . . ما الذي يحول بيننا دائماً
 الى الانفصال وما الذي يصد عن الوصال ربي استجب طلبي واصح هذه الحال

﴿ فصل سادس وثلاثون ﴾

معرفة الاميرة زامركو لجميل هوبر

كانت الاميرة زامركو على جانب كبير من الثروة وقد اودعت اكلها في
 المصرف الاميركي في باريس واوصت هوبر ان يظن بها عند اول فرصة تتسنى للدراخ
 تقدم لها خدمة جليلة بان كسب لها بوقت قصير اثنين وثمانين الف فرنك فاقبعت به
 اي ابتهاج وعزمت ان تأدب له . أدبة نظيفة ارباباً عن معرفتها لجلبه
 ومينا كانت الاميرة تسأل عن معدات المادبة وتأمر الخدمة باقتنائها . كان هوبر
 الاثنين الف فرنك شاغلاً عقلها وهي تقول في نفسها لله در هذا الشاب ما احذقه لقد
 صادق . . . فيو لا قال انه سيتالم مقاماً علياً ولها في هذا الاقتدار واذا جتريو قادم
 فرحبت به ترحيباً لانه كان مسافراً ودعته الى المأدبة بعد ان اخبرته عن سبب اعدادهما

اكراما للشاب هوبر الذي نصحبها بمشترى اسهم معادن ذهبية بـ ٣٠٠٠ فرنكا كل
سهم فارتفعت بثلاثة ايام الى ١٠٠٠٠ وخمسين فرنكا فوبحت بذلك اثنين وعشرين الف فرنك
فسألها متعجبا كيف وعليك قبول الدعوة وهو قد لازم الى الان جانب العزلة
عن الناس ولم يقبل دعوة احد

فاجابته بسداجة اني خدمته بالني دعوتني الى عشاء عادي على ما عتيق ولم يعلم اني
دعوت الى المأدبة غائية عشر شخصا بينهم الكنت سترومون وامرأته وابنة ودوبروكوف
ومتاته

فاضطرب منقرفيو ونهض من فورده ولم يحل الزبارة كعادته معتذرا ببعض
المهام وواعدة بالقدوم الى المأدبة في الساعة المضروبة

وعند الساعة السابعة مساء وفد الى بيت الاميرة ولما لم يجد هوبر الشرح صدرا
وكانت الاميرة تقرأ كتابا وصلها حينئذ مع طاقة لزهارة بديعة وقد قطعت حاجبا
وقالت بلهجة تشفق : يا للفرابة ان هذا الشاب يقتل نفسه بكثرة الشغل ثم قرأت
الكتاب بصوت مسجع وهذا نصه :

« سيدتي الاميرة »

« بتزيد الحجل جنت استعفي هذه الساعة من دعوة كنت اراني سييدا بقبولها
قد انتهت الي اخبار هامة من اميركا اضطرتني ان اشتغل بحاجة النهار برمته
دون ان اذوق راحة وكنت اؤمل ان انجز الشغل قبل الساعة الميمنة ولكن لسوء
الحظ ساقضي هزينا من الليل لا تمامه حتى اتقن من ارسال النتيجة على لسان البرق
الى نيويورك . فارجوئ سيدتي ان تتنازلي وتعذري وساتنجز فرصة اخرى اتشرف
فيها بتقديم عندي شفاها ومحضك في الحتام خالص الشكر والسلام »

هوبر ديت

فلما تمت قراءته سلم عليها منقرفيو وقال لها : شاهدته من هنية وكان يؤمل
انه ينجز شغله هذه الساعة لكن وردت المراسل برقية من نيويورك بشأن هبوط اسعار
الفضة فظفرو ان يني الادارة الكبرى في نيويورك بكمية الفضة المضروبة نتودا او

المودة سبائك في جميع بلاد اوردبا فهو ولاشك معذور

وكان كلام متقفيو زيباً للاقتناع فصدقه الحاضرون وقالت لهم الاميرة :

أدبت هذه المأدبة اكراماً لهو لم يأت لما لنا وله قوموا بنا الى المائدة

فلما سمع الكنت سترمون وامرأته تغيرت الوانها اما باقي المدعوين فلم يحسهم
حضوره او غيابه الا ليلي التي كانت تضحك وتب فانذهلت مبهوتة وتحول فرحها
كدراً ولم تصدق تلك الحكاية فقالت لمتقفيو كأنها تستنطقه : لم يأت هو امرأ
حسناً فهو من طبعه جاف لا يحب المباشرة فاجابها متقفيو بصوت خافت : ليس
ملوماً وانما اللوم كل اللوم على الاميرة التي دعت الى عشاء عادي

— فاذاً لما عرف ان المدعوين ثمانية عشر عدل عن الحضور محسناً صنعت باطلاعه

على الحقيقة — لم اصنع ذلك عمداً بل بطريق

المرض اخبرته انك من المدعوين مع سترمون وامرأته

— وهل كفى ذلك سبباً لتعذره عذري

— لا ولكن تحقق ان المأدبة تضطره ان يبقى الى نصف الليل مع ان العشاء العادي

ما كان ليقبض اكثر من ساعتين — الى هذا الحد اوقاته ثينة واشغاله كثيرة

قالت هذا وابنت برأسها اشارة استهجان ثم عادت الى ما كانت عليه من

الضحك واللب اما متقفيو فقال في نفسه « لقد اصبت المرمى فما هي قد اتهجنه

الان وساجلها تكرهه بقدر ما شغفت به فتخلص منه ... » ثم التفت الى دريوكوف

واخذ مجادته بمألة النضرة للشاغلة يقول الامير كان عموماً

فلما قام المدعوون الى المائدة جلس الشبان والشابات منهم الى جانب واحد

وفي وسطهم ليلي وادور بن سترمون الذي جعل يقص بعض ما وقع له من الحوادث

مع البنات على شاكلة ما يصنع شبان هذا العصر من التباهي والاقتضار بما يأتون من

المنكرات وكثيراً ما يبالغون في الكلام او يلغون مختلفين ما لا اصل له فلما لاعراض

الكرام وكانت حلبة ضحكهم من تلك القصص مائة الف

وفي هذه التوضون قالت احدي المدعوات لامي ليومدة : ما اتي لي ليلي لادور فاجابت

ليونيدة متأسفة : لا اجد في ولدي بعد ميلادي الى الزواج لانه حدث ومع ذلك اراه اليوم
منعطفا الى ليلى خلاف عادته فحذار يا مسيو دريوكوف
فلم يكتف دريوكوف الى هذا الهزل بل اجاب عليه بثلثه قال : لا علاقة لي بهذا
الامر البتة فانت تعلمين ياسيدي ان عندنا في اميركا كل قاعة حبلها على عتقها فتفعل
ما تشاء .

فلما قاموا عن المائدة طلبت الاميرة الى ليونيدة ان تطرب الجماعة بصوتها الزخم
متدلت وتجاهلت الى ان ترجتها ليلى فانصاعت لها وشرعت تغني وابها يوقع
الاحلان على القيثارة فتشفت الاذان بتلك الانغام الشجية .

وكانت ليلى رغمًا عن تظاهرها باللعب والضحك مقبوضة الصدر لان ذكر هوبز
كان منطبعًا في مخيلتها فلدى استماعها ذلك الغناء كانت نفسها تنبسط له وتسلو
كل هم ولذا كانت كلما فرضت ليونيدة من اغنية ترجوها بتلعين أخرى حتى سكوت
من هزة الطرب وأشربت حب لليونيدة التي شرعت بانعطاف نفسها اليها
وكان الكنت سنترمون لا يشجع من النظر الى ليلى التي فكت فوائده فانتبهز هذه
الفرصة ليعرض عليها ان تتلقى شيئًا من فن الموسيقى على امرأته ليونيدة فشكرت ليلى
هذه التلطف ورضيت ان تتعلم تلك الانغام العظيمة في ايام معلومة

﴿ فصل سابع وثلاثون ﴾

كما الوالد يكون الولد

لا شب ارنور وتوعر سلك مسلك ابناء الاكابر الذين تبهرهم البطالة ووفرة
الثروة فيسعون وراء الملاذ ويددون الاموال في القسق واللهو وقد عين له والده ستين
ليرة راتبًا شهريًا فكانت لا تكفيه الا ايامًا قليلة فيستدين ضفيها في سائر ايام الشهر
من الرايين فواض فاحشة دون علم والديه

وكان سنترمون يسمع شيئًا عن شرودين ولده وبقدره فلم يستهجن ذلك لطفه
انه كان وهو في سنه يجري الجرى هسه وقد اختلف ميعاث والديه بستين يسيرة بل كان

في ذلك العمر قسمه ينقاد الى المهرى ويصرف المال بلا حساب حتى تتراكم الدين عليه فيصفيها في آخر كل سنة يبيع بعض املاكه وورعها عن تقهقر ثروته كان لا ينفك يمشي مشية الاكابر اصحاب الملايين في قصره مسجة من الحشم وفي اسطبله خمسة من الخياد وكان يادب الآداب الفاخرة لكنه سكان ياحلل يدفع المطلوب منه لخياط والجوهري والفضالة وصانع الاحذية الخ

اما ارثور فكان يردي المطلوب منه لارباب الصنائع نقداً ولم يكن مديوناً لاحد منهم بشيء وكلما احتاج الى الدراهم كان يسمى لدى المرايين فيمدونه بما يشاء ومتى اجمع عليه مئتان وخمسون الف فرنك كتب لقاءها تمسكات بأربعائة الف وكان يدرجهم كتم السر فلم يشروه حباً بجالهم

وكان الكنت ستقرون مغرمًا بالفتاة ماينا فكان يرشعها كل ليلة في اناء اللب بطاقة بديعة من الورد وقد اوصى الخادم المكلف بانثقائها ان لا يطلع احداً على عمله وان يحارب حركات ماينا عند هبوط تلك الطاقة يومياً وكانت ماينا في حوز حرز ولم يرد الى مواضعها سبيلاً فاراد ان يشتري لها نوطاً للصدر مرصعاً بالجواهر النفيسة ليضعه في طاقة الورد كهديّة قبيصة في رأس السنة الجديدة

فرّ بجوهري من اصحابه فوجد عنده حلية فريدة في بلبلها من ابدع التحف تبلغ قيمتها عشرة آلاف فرنك قرر رأيه على اخذها وقال لجوهري قيدها علي بالحساب فعارضه الرجل بدين له عليه يبلغ ضعف هذه القيمة وطلب اليه ان يصفي الحساب الاول ليحطيه التوط قطب الكنت وترسكه ومضى يدمدم ويدغي مزبداً وقصد مشقري مثله من عند غيابه لكنه نجح ان يرفضه عليه لانه مديون له ايضاً فحول على استدانة اتيه بالرباء

وكان ستقرون يعرف كثيرين من المرايين الذين كان يستدين منهم الاموال الطائلة في صبرته ثم تركهم بعد زيجته فانطلق الى احدهم برويك والتحق منه عشرة الاف فرنك فاجابه المرابي يسوئي ان ارفض طلبك لان الدراهم التي استدناها اهلك ارثور على اسمك هي اكثر مما تظن فاندش ستقرون ولم يصدق ما سمعت

اذنه بل سأله متحسب هل والدي اذثور استدان منك مالا ؟

— نعم وقد بدأ اولاً باستقراض عشرين ليرة ثم خمسين ثم مئة فلم احب ان اكسر
خاطره وهو في مستقبل الشباب — لا بأس من ذلك ولكن مئة ليرة
انما هي قيمة يسيرة — لم يقف عندها بل تجاوزها الى
اضاف اضافها حتى اجتمع عليه ثلثة الاف ليرة

— هذا مستحيل هل ابني مديون بثلثة الاف ليرة
— نعم وليس مديوناً بل فقط بل عليه ستأجيل لداثر الصيارف بما يبلغ مجموعه ٢٠
الف ليرة — هذا غير ممكن البتة لان ابني غير

مديون ولا يباراة واحدة لاحد الخـ وزن في كل المدينة
— هذا صحيح وقد صنعه اذثور عن تروء وحكمة حتى لا يشعر اياه ولا اياه
بالثغرات الفاحشة التي يذللها في الترهات والمعاصي ولذا ارجوك يا سيدي ان كنت بان
تقدرني بامتناعي عن اسلافك عشرة الاف فرنك

فنهض ستقومون مضطرباً وانطلق مدمماً لاعتنا نفسه لتراخيه في تهذيب
ابنه الذي سلك في سبيل التبذير والاسراف مسلوكه وعول على تأديبه وتشديد عقابه
ولكن قال في نفسه « ايها الطبيب طبب نفسك لقد نهجت في الطريق فاقتهما ولي
لوم عليه ومن يشابه ابيه فما ظلم . بل ما زلت انا حتى الساعة سائراً فيها وها انا ساع
بمشقري نوط من الالاس بمشرة الاف فرنك لاهديه الى حبيتي . اينا لعلها تنحلف الي
وكان ستقومون سائراً في الشارع على غير هدى مستغرقاً في تيار هذه الافكار
وقد ذكر انه لما كان في مثل سن لاثور كان قد اتلف كل ما خلف له والده . ن
الاموال الجزيلة واصم يتقلب على حجر الصبر ترقباً لوروس . ووسرة

وما كان هذا الذكر ليطفيء لهيب غضبه لانه لم يستصوب ان يتساهل لتعيره بما
تساهل به نفسه بل طفق يردد العبارة الاتية : « هو مديون بعشرين الف ليرة وهو في
الثانية والعشرين من عمره فلا فطن به كيت وكيت . ولا دخل البيت نادي اذثور
فاجابت امه وقالت : ذهب الى نادي الاكابر ليتسلى ولا يلث ان يعود ضد

المساء فهل انت في حاجة اليه فاستدعيه بالحال

— لا بل افضل ان يكون غائبا لان لي كلاما اداولك فيه بشانه

فتوسمت ليونيدة في ستقومون انه اقيم على اجها قالت له من فورها : لا
استصوب استياءك منه في حين انا راضية عنه الا ترى كيف اصح سلوكه في هذا
الشهر وامتنع عن قضاء الليالي خارج القصر وهو يتناذر في محبتي كلا لا اطيع ان ادرك
متكبرا عليه — آه يا ليونيدة لو عرفت سبب تظاهر

هذا الولد الحديث بحسن السلوك وتقرّب منك متفكرا كنت تشتهين مثلي غضبا عليه
— ما ذلك التترب الا من حب خالص ووداد صادق

— بل من دهاء ومدالسة ورياء لارب يسمى اليه بلا مرا

— واي ارب ياترى — يترلف اليك لتني عنه دينك باعظا

اثقل حاده — وهل لاجل يسير من المال تتغضب

على ولدك وفلة كبسك الم تكن في عمره مثملا بالديون مثله فلماذا لا تسدده وقد
اكتسب بايه . . . لماذا صرت الان نجحلا خيسا

— لست نجحلا ولا خيسا ولكن رايت بين التروي اننا قادينا في الاسراف
وان لم نتلاف الامر اصحجتا اقر الفقراء

وكانت ليونيدة تكره البحث في المال وتصرفه بلا حساب وكان ستقومون موافقا
لها بهذا المشرب ولم يكلسها من قبل بهذا الشأن

فامتعضت من كلامه وقالت له بازدرنا : عندنا ما يكفينا فلا حاجة الى التتير

— لاشك انك يا عزيزتي يا غرور فاعلمي اني لما تزوجتك لم اك املك شيئا
لا في بدت كل ميراث والدي في اللهور والملاذ ولم اك اتناول الاربع الثلثة الملايين

المحفوظة في صندوق الحكومة وقفا على ابنتي المفقودتين وكانت ثروتك خمسة
ملايين فرنك فشرعنا ننفق منها حتى اقلقنا الى الان ثلثة ملايين ونحن اليوم مديونون

بنحو سبعمائة الف فرنك فاذا اضف اليها دين ولدنا ارثور لم يبق لنا الا اقل من
ليون — فاندعشت من هذا التصريح وقالت

له : من المستحيل ان يكون ارثور مديونا ببالغ فاحشة فلا ريب انك في خطلم بين

— تأسكدي يا عزيزتي ان عليه للصارف ما ينيف على اربعمائة الف فرنك

— هذا مستحيل قد كذب الذي اخبرك

— بل هو صحيح وقد تلقيته من مصدر ثقة

فانقبض صدر ليونيدة غما حتى اوشكت ان يسي عليها فاخذ سنغمون يدها وقبلها وجعل يليب خاطرها ويقول لها ما مضى لا يعود فعلينا ان نتدرع بما يرتقى الحق وننتخير افعال الوسائل لنمخ ارثور عن ذلك التبعة

— اسهر في البيت هذه الليلة فتعاون على هذا التدبير

— حبذا لو لم اعد بعض الاصدقاء بالمتى في نادي الكبراء

قال هذا وقد اضطرم قلبه شوقا الى ماينا اذ تحملت له صورتها مطبوعة على

صفحات فكره وهي راكبة الجواد في وسط الميدان فما هم ان اخذ كساءه ومضى

اما ليونيدة فلبثت ساعة قلب اسيفلا على المال البدد جزافا بل استياء من مخائلة ابنها وثقله لها لتعرض ذمغ وانها لفي هذه الحال واذا بارثور مقبلا متبخترا وفي يده طاقة من زهر البنفسج قددها لاه وضعا الى صدره قلب حبه على غضبها قبلته متبسة كمادتها واراحت عزائمها ولم تتالك ان توبه بكلمة فارادت الاستفصاح منه برقة قتالت له بعد هنية: يظهر انك خسرت اليوم بالتمار

فتهد الفتى وقال « لو كانت الحسارة من التمار قطع ياما كان اسهلها ولكن... »

ثم ضم والدته الى صدره ثانية وكاد يبكي فذاب قلبها حنانا طيب وقالت له « الك يا حبيبي ماذا اصابك يا ولدي قل ولا تخف »

— اه يا اماء الى متى يعيرني الناس حتى سمنت الحياة لاهم يسروني اشنع

الذل منذ شهر وانا اتقل على جمر الصبر

— خسى عداك يا بني قل لي ما جرى لك

— دعيني بهمي قد رغب ان اجاري ابناء الاكابر في الجود والنهي فلم يسكن

راتبي ليكفيني اسبوعا فكنت اضطر ان اسئدين من الرايين الذي اذا اعطوا الف

فرونك اخذوا منه تمسكاً بحمسة الاف وبعد ان يدوا بالتساهل يشددون على المدينون
الطلب ويهددونهم بافشاء اسمه والشكاية عليه الى والديه فيا ما اقبح هذه العيشة الذليلة
بالحقيقة اني كرهتها والان تعلمت فلن اعود البسة . قال من اتقى . لوفاء دين يزيد
على عشرين الف ليرة وهل لي من صغير ابي لله يا اماء ارحمني
وطلق ارثور يبكي بكاءً مراً فماتته ووعدته بوفاء دينه على شرط ان يدوم على
حبها فاذمكت الشمة عن فؤاده وقد ادرك غاية مراده

﴿ فصل ثامن وثلاثون ﴾

في نديير ليويين

بينا كان سنقومون صباح اليوم التالي قلب على منضدة اوراق الديون المطروحة
منه واذا بليويين قد دخلت عليه باشة الوجه فظن ان اثور انكر ديونه فقال لها
« لا شك ان ولدنا قد كذب عليك واخفى عنك الحقيقة ولكن اؤكد لك الان اني
عرفت امس من مصادر ثقة ان الدين المثلل به لا يقل عن اربعمائة الف فرونك
— لا حاجة ان تستفهم من ذلك احدا فان ارثور اطلقني على التصحيح كله
فانذهل سنقومون من سكون امرأته بعد تلك الحسارة الجسيمة فاخذ يدها
وقال لها من المستحيل ان يكون قد اخبرك بالحقيقة كلها
— اجل وان عليه اكثر من عشرين الف ليرة
— وهل تلقيت هذا الخبر عنه بتمام الرضى
— ماذا كنت تحب ان اصنع به هل يجب ان اكسر خاطره وهو في زهرة عمره
وضارة شبابه او لم تصنع مثله لما كنت في سنه
— فاذا لم تؤنبيه ايضاً (ما شاء الله) هكذا تكون الوالدات والا فلا . . . اظن
انه اخذ يتدلل على قلبك حتى صنعت عنه ووعده بوفاء دينه
— وعدني انه يتوب ويصلح احواله — نعم التوبة توبة الي الحصيد توبة
سائر الشبان قال هذا واخذ قلب اوراق الديون

- ثم قال لها : اتريين كم يطلب منا من الديون — قل لي بالبحار
- مبعائة الف فرنك وان شئت التفصيل يكفي ان تعرفي انك اشتريت في
- عضون العام القات سبعة وخمسين برطة (برنطة) ثمن كل منها مئة فرنك
- والي ولهذا التفصيل قل لي بكلمة واحدة كم علينا وكم لنا
- عندنا الان مليون فرنك وعلينا سبعماية الف فرنك وعلى ولدنا اربعمائة
- الف فرنك واذا وفينا الناس اء والهم قاء لم يبق لنا الا زهاء المليون فنكون قد اكملنا
- مع ولدنا في مدة عشرين سنة اربعة ملايين فرنك
- اذا اضفنا هذا المليون الى ثلاثة ملايين ابتيك الخطوفتين كانت اربعة
- ملايين تصكفينا لسائر عمرنا اذا انقضاها بالحكمة والاقتصاد
- حيالك الله ويساك الان انشت قلبي بهذا الكلام فما انا عازم على تصفية
- جميع الديون واتحتاج عيشة جديدة مرتبة ولكن ما العمل بولدنا الذي لا يعرف الترتيب
- ولا الاقتصاد فلا ادرى من وسيلة لثمة عن الاسراف الا سحره باثبات قصوره بالحكمة حتى
- لا يقدم احد على اعارته بارة واحدة فيكتفي باتبه الشهري
- ليس هذا بصواب فماذا كنت تصنع لو حاملك والدك هكذا
- اذا لم نثمة عن الاسراف فلا تخفي سنون قليلة الا ونحن على الحصيد لا نملك
- شروى نقير فان لم تستحسني حجة بقوة الحكومة فاني اوصي جميع الصيارف والمرايين
- بان ابني لا يملك شيئا من المال
- بل هدي راي اصوب وهو ان ازوج ارنود عن قريب
- ارنود حين هذا القتي الترت الذي لا يعرف بعد الكرم من البوع ما اغرب هذا
- الفكر . . . أمن جد تتكلمين فتكوني بعد قليل حاة واصير انا جدا
- واي شيء يحول دون زواجه ياترى
- حداثة سنه وهو في الثانية والعشرين من عمره
- أو لا يمكن ان يتخذ له الان صواحب ويقردد الى البنايا اللاني يتلفن صحته واهواله
- فلماذا لا تكون له امرأة يحبها وتحب وتساعد ان نضونه عن الحارم وقد جرت العادة اليوم

حد اكابرنا ان يزوجوا قياتهم صغاراً الا ترى ابن فلان وفلان . . .

وكان منتمون قد استهجن لاول وهلة زواج فتاه خوف ان يصير جداً
فيجعل ان ياتي ما ياتيه الشبان لكن ما اشد ما كان فرحاً لما رأى انه يزواجه تلتحي
ليوفيدة بكنتها واولادها فيملو له الجو فينطلق في سبيل الهوى كيف شاء بلا رقيب ولا
عتاب فانقلب يقول لامراته بالحقيقة ان فكرك هو عين الصواب ولكن هل عندك
فتاة يلين لها وتكون له اهلاً

١. اكثر البنات المتقدمات للزواج ولكن ما اهل العائلات اللانصات لراحه
الازواج فلا ارى الطفل من الانسة البديعة التي مال قلبها الي في ذلك الليلة الساهرة
فهي كاسية الخلق والخلق واني انتظر قلوبها هذا النهار عنة حسب المياد
— لعلم الانسة ليلى دروكوف — هي نفسها او لم تستحسنها
— نعم ولكن يزيد سننا على عمر ارثورستين او ثلاث سنين
— واي باس من ذلك وهي تريدنا ايضاً بسبعة او ثمانية ملايين فرنك
— لكن اباهما جاف غليظ . . .

— ما حاجتنا اليه بعد اعطائنا ملايين فسنعيده الى خوال اميركا من حيث اتى
— يعود لكي يجمع لنا ملايين اخرى

— انت قلت فن واجباته ان يذل نفسه وماله في سبيل فتاته
— لله درك يا حشاشة الروح من مدممة ماهرة ولكن اتظنين انك مالكة زمام
دروكوف وابنته وزمام ارثور الذي تظنين انه يسهل عليك تزويجه وهو كالثرس
الشموس — دع ولدي فانه كافه ولكن اي
اعتراض تأتبه مما يحول دون هذه الالية — لدي اعتراضان : الاول التفاوت
في العمر — لا يظهر على ليلى ان عمرها اكثر

من عشرين اما ارثور فيبين انه تجاوز الخامسة والعشرين
— والثاني ان لا نعرف لدروكوف هذا لا اصلاً ولا فضلاً ولا كيف كسب هذه

— أملك لما تزوجت بي سألت كيف أكتسبت ثروتي وهل يسأل عن اميركي كيف ادرك الغنى

— يبين انك تسددين كل اعتراض فهل تعرف ياترى مقدار ثروته بالتدقيق
— أو لست امت القائل لي بالامس ان ثروته لا تقبل عن عشرة ملايين فرنك
— انما قلت لك ذلك نقلاً وما على الناقل من حرج فينبغي قبيل ان نباشر
امراً ان نكتب عن هذه المسألة والخبير فيها هو صديقنا منتقرو
— اياك ان تطلعه على هذا الحديث البتة وحذار منه فهو محتمل مكار فلماذا لا
تسأل عنه هو بديرت

فاضطرب سترمون عندما طلق اذنه اسم هو ب وامتتع وجهه فونبة ليونيدة قائمة
مالي اراك مضطرباً عند ذكره وهو ابن اخي امرأتك الاولى لماذا لا تسلمه وتصادقه
وتعامل معه الملك مذنب ان كان ابوه قدماء قديراً وان كانت امه قد رفضت
اسعافك لها بالمالا لماذا تتجنب مواجهته ومن حين تولى ادارة المصرف الاميركي
لم تدخل اليه وكلما ورد ذكره تائف ان تقول انه نسيك ولا اظن انه سيء لك بشيء
— حاشى ولا بد لي يوماً من التعامل معه لكن قلبي تافر من ذلك اليوم على انه
هو نفسه يحايتنا أو لم تري انه بسبينا لم يأت الى مشهد لب الحيل ولا الى تلك
السهرة عند الاميرة فلم تلمح عليه ليونيدة بل قطعت الحديث
بقولها ها انذا ساعية بمد الحبال والله محقق الامال

فصافحها باليد وهو يقول بلبي انت وامي ياسيدة النساء استودعك لتناية السماء
ثم تركها وذهب الى غرفته وهو غل من نشوة السرور بتطليل آماله بالتحلل عنان
حريته بعد زواج ابنه وانما واقفاها بتلك الاعتراضات تظاهراً بالاهتمام بخير ولده
وتنصلاً من المسؤولية حتى اذا اخفق سعيها او ساءت العاقبة قال لها : « اني براء من
كل تبعة وانت كمت اصل السبب »

ولم يخرج سترمون من البيت بعد الفطور حسب عادته بل جعل يتأني في
لبسه وهندمة ثيابه ولبت نصف ساعة بازاء المرأة كالسيدات حتى اذا وفدت الانسة

ليلي تقدم اولاً لاستقبالها فدخلت مذحورة مرتجة وجللاً ولاسيا لا رأت اتقان ذلك
 القصر والتأقي في زخرفته حتى اشبه اجمل قصور الملوك لا فيه من فريد الرياش وقائس
 التحف فحرب بالقتاة احسن ترحيب معاً لها عن حسن حظاً باستقبالها ثم اغنى لها
 ومد لايبها يده فصافحه مسلماً عليه باحسن نحوه واذا بليونيدة قد اقبلت تتهادى يرد
 من الدياج الزاهر فانقت الفتاة عناق ام لايتها وشرفتاً تتبادلان اخلص عبارات
 التودد والولاء فجلستا في الصاعة الى ناحية وقعد دروكوف مع سنقرمون يتداولان في
 مسائل شتى وخصوصاً مسألة تربية المواشي ثم استأذنا وخرجا الى غرفة اخرى ولبثت
 السيدتان وحدهما هات ليونيدة ارا في اليوم سعيدة بتعليمك ما تشائين من الاغاني
 - قد غرتني بفضلك واصبحت لك مديونة خاف ان يكون لك في ذلك بعض
 ثقل او عناه

- حاشى بل يسرني ان اراك بالقرب مني ولا يفارقتي لطفك البتة
 قالت هذا وطلعت ترم اغنية جديدة ويلي تراقها بصوتها الرخيم ولكن مع بعض
 شذوذ فاصلحته لها وبعد تكرار الاغنية ثلاثاً تعلمتها ليلي وانتقلت الى غيرها فسا
 لبثت ان تعلمتها وكانت ليونيدة في هذه الاثناء تتأمل في وجهها المشرق ومحاسنها
 الطليعة الفتاة فانشغفت بها حباً وقامت من فورها تعانقها وتقبلها ويثا هي كذلك
 اذ افتتح الباب ودخل ارثور قاهر وجه الفتاة فحجلاً الا انه تقدم واخذ يدها مسلماً واعتذر
 عن دخوله عليهما بلا استئذان

فتلطفت الانسة بالجواب ثم جاء ابوها مع سنقرمون الى الصاعة وبعد زمان
 يسير تبادلوا حديث الوداع وخرج دروكوف مع ليلي مسرودين كل السرور من هاته
 الزيارة الصباحية وكانت ليونيدة تدحمت في اذن ليلي ثها تنشرح صدرها بتواتر
 زياراتها وهي مستعدة متى شاءت لحمتها
 ثم قالت ليونيدة لارثور كيف رأيت هذه الانسة اللطيفة الباردة الجمال المتناهية
 في الغرف والكمال

- رأيتها كساو للفتيات الباريسيات - او لم ينطف اليها فؤادك

- ما المعنى هل في نيتك ان تدبرها لي عروساً
 — لماذا لا وهي العلف من كل من رأت صيني من الارانس
 — زه زه هل في مثل سني يتزوجون ١٠٠ لا لا انك مازحة فانا الان حرة ولماذا تجهزين.
 لي الجلام صغيراً

﴿ فصل تاسع وثلاثون ﴾

﴿ في توثق عرى الحب ﴾

كان من عادة الاميرة زاركو ان تقضي فصل الشتاء في نيس على ساحل البحر المتوسط وفصل الصيف في باريس ومرواحيا فلما قرس البرد في كانون عدت على السفر الى نيس فدمت ليلي لمراقبتها والحت عليها فابت فودعها في الحطة اكثر اصدقائها وفي جملتهم دروكوف وابنته وسندرمون واسرائته فاشارت الى ليونيدة ان تلاحظ ليلي وتسليها فما كان احلى تلك التوصية على قلب ليونيدة التي دعت الفتاة لمراقبتها الى القصر في حين ان اباهما ذهب مع سندرمون الى الملاهي

فلما اجتمعتا في الحجة وحدهما تمانعتا تادلتين ارق عواطف الحب حتى توثقت بينهما عراه وكانت ليلي واثقة باخلاص ام ارثور ولم تدبر ان لها وراء هذا التظاهر مأرباً على ان ليونيدة التي كانت الى الان لا ترى في هاته العادة الحسناء الا ملايينها الباهرة قد شعرت بنفسها مقتونة برقتها وطمعها ربحها نيتها وكانت تقابلها سائر فتيات باريس فلا يجد بينهن واحدة على شاكلتها بكمال الخلق والأدب وهن يدهن بالاسم عذارى وليس فيهن بالحقيقة ولا عذراء

اما ارثور فلم يك ليقتبل الزواج في ذلك السن وحمل كلام امه يومئذ على محمل الهزل والمزاح فلم تكذب ليونيدة اليه بل اكدت بان طلبت اليه ان يقدم لها لائحة مفصلة بكل ديونه فاخذتها وتددت من سداها ففهم ارثور ان زواجه شرط لازم لادانها وكلها ابسى من الزواج نفور وجدامة اشدّ تعصياً على رأيا فيتذمر ويستنثت ولكن ليس من مغيث

واخذت ليونيدة تدبر في ما يجب ان يصنع مانعة اياه عن معاشره ليلي ما امكن

ريثاً تكون تدفلك فوادها وعلست ان يحسن سلوكه في الخارج فاراً من جماعة
انسان الاقرار متدخلاً شيئاً فشيئاً في القصة الكبار فقال يوماً : الا تنتظرين ان اتولى
في الامر قليلاً حتى اوافئك عليه فاجابته على الفور : لا مراجعة في ما اقول حسبك ان
ارضى انا فاني اعلم منك بما يؤول الى خير وسعادتك

وكانت ليونيدة تنتهز فرصة النساء لتأسر قلب ليلي بما تبدي لها من عواطف
الحب والاهتمام بتعليمها التفننات المصرية والاعتناء بالاسها حسب الازياء اليومية
وتعلمها على آداب السلوك في الالة الباريسية فكانت ليلي تردادها تعلقاً يوماً فيوماً
لكنها لم تسلم ام هوو التي ملكت فوادها قبلاً

وكما ان ليونيدة لم تدخر وسية الا تدرت بها ليلي قلب القصة كذلك
ستعمون قد التصق بابها ليل نهار حتى قضيا خمسة عشر يوماً في القصة غريبة كانتهما روح
واحدة في جسدين وقد سر دريوكوف من هذا الصديق غاية السرور لانه كان في
النهار يصعب الى المتاحف والمتنزهات واما كن تربية الخيول وترويضها وفي الليل
كان كدليل يهده الى الحانات والملاهي والي زوايا بلريس . . . فكان يكرج في
كووس الملاذ التي كان قد فطم نفسه عنها منذ امد طويل جداً بتساء لانه لم
يكن يفارقها فلما خلا لة الجوبة ليمها الى عناية ليونيدة ووجد لديه دليلاً محضاً مالت
نفسه الى اللهو والطرب وذكر ايام صبوقة اذ كان ملاحاً وكان يقضي اكثر الليالي في
تلك الملاهي في نابولي ونيس

وكان الرجلان عند رجوعهما في آخر الليل يزعمان انها قادمات من المراسم او
من ملعب الخيل الجديد وكانت ليونيدة ادري باحوال زوجها خفهم كيف يقضيان
تلك الليالي بخلاف ليلي التي صدقت هذا الزعم وانشرحت صدرها لانشرائح والدها
على انها كانتا يذهبان غالباً الى الملعب الجديد لاجابشهود التمثيل بل لان ستعمون
كان مغرمًا بمجال مايتا فيجب ان تكتحل عينه برآها ويغضب ان يرى بينه كيف
تتناول طاقة الورد التي اوصى باعادها لها في كل لية لترشق بها من يد مجبولة في
اثناء اللعب

وكان زفيرو لما تكرر القاء طاقة الورد نفسها عدة ليال متوالية داخلته الرية
 منها فاخذ يستنهم مايتا عنهما لعل تلك الطاقة واردة من عاشق علق بهواها سرّاً
 فانكرت كل الانكار بلها تعرف من اين نزلت تلك الطاقة البديعة فتظاهر ابوها
 بعدم تصديق كلامها وقال لها ارجيت لما ذا اكره بارس وابض الإقامة فيها فهي
 مملأى بالسفهاء الذين لا يحيطون ان يزودوا اطهر النساء فما كان احلى عيشة لندن
 ولم يكن هذا السبب هو اللة الوحيدة التي كانت تثقله بل كان في اضطراب
 دائم من دجوده في بلد واحد مع معلمه الاول منترفيو ورفيقه في اليخت دريوكوف
 وكاتا كلامها يلاطفانه كلما صادقا فلم يك ليثنى بتلك الظواهر بل كان يحسب
 ان وراءها دحية ومكيدة تؤول الى التهلكة ولم يكن بليلة الا حيناً بلغة ان منترفيو
 مسافر لبعض اشغال تستغرق غياب خمسة عشر يوماً فحمد الله ولم يلتفت ليلتشد الى
 طاقة الورد المرسلة الى مايتا حسب العادة

❖ فصل اربعون ❖

تقرب ارثور من ليلى

منذ سفر الاميرة زامركو الى نيس كان دريوكوف وابنته ينطاقان كل لية
 الى ملعب الاوبرا وكاتا مضطربين ان يقبلادعوة سنترمون الى الخنق الخاص به لعدم
 فراغ مخرج يستأجرانه وكان سنترمون في اثناء التمثيل ياخذ دريوكوف تلة الى صاعة
 الرطبات وطوراً الى نادي الممثلات وحيناً الى حجرة الراقصات حيث يقضيان اكثر
 الوقت بين لهن ومزاح اما ارثور فكان عندما ابتداء التمثيل يتوارى عن الابصار ولا
 يعود الا عند ساعة الانصراف وفي بعض الليالي لا يعود فكانت ليلى تلبث وحدها
 مع ليونيدة في اغلب الاحيان على انها لاحظت ان ين الراتصات عادة مقنونة
 بحج ارثور او مقنناً بجمالها لانها كلما برزت الى الملعب كانت تفوق سهام لخطها الى
 خنق سنترمون لملها فتتم بنظرة من حينها

وكان ارثور يظن ان ليلى لا تدري من ذلك شيئاً ويتجنب كل ما يدمو الى

الرية ثم اخذ يتقرب منها شيئاً فشيئاً حتى انه امتنع ليله عن التخيّب ولبث في الخدع مع ا. و. وليلي واجتهد في تسلّيتها وقد قص على الفتاة قصّة القوية مع الباريسيات المغتربات بمحبّتها وكان يظنّ عليّين ويستهنّ سلوكهنّ وينمّ الشباب الساعيل وراهنّ قالت له عجباً كيف تتظاهر بكرههنّ وادراك متعلّقاً بهنّ تقتل اكثر اوقاتك بعاشرتهنّ

— امري عمري سائر المشبان فاندرة في التسلي غازهنّ ونسايرهنّ ونضحك منهنّ منخذع بجبنا ويدعطن سرباً ياشراكنا
وانه اني هذا الحدي . وادا بر يوكوفد افبر . مع الكنت ستدمون قال لارثور ما بالنا نرا الللة متهبك حلة به يدة . روزاده التعلّق قد اشتاة ت اليك صواحبك وفد سألن عنك مراراً

— دعني منهنّ قد كرهتهنّ — اذا فطمت صلاتك . منهنّ
— بل سئمت نفي هذه العيشة حيث قضيت اربع سن . منهنّ كما في الملاهي والزهات فرأيت كل ذلك باطلاً بلألقاب الالهة وتنصاً وصار احب اليّ ان يستمع بصري فأنسة طاهرة عيفة من ان اقضي الليالي الطوال مع اولئك الحسان فسرّت ليلى من هذا الكلام ولو لم يكن في قلبها ذرة حب لارثور وادركت انه لاجلها لزم العزّة ليلتشدّ وشرع يداي الزاد والحكمة

وفي اليوم التالي لم يخرج ارثور . انيت حسب مادته لان ليلى اقامت فيه طوال النهار واخذ يضرب على القيثارة موقعا عليه اطب الاطمان فاستدعته امه لمشاركتها بالقضاء مع الانسة ليلى فقضوا . اعين بنية الانساق والدور وقد استقلوا من القضاء الى التهرج وتبادل التكات وكان ارثور ياتي من الملح والاقاصيص ما يضحك الشكلي ثم ادى الحديث بينهم الى تنص ليلى من انها ستترك باريس يوماً هاجرة ملاذها وافراحها فانقطع ارثور عن المزاح اخذ يد الفتاة وكلمها من جد قال زجو ان تبقي في باريس زمناً طويلاً واعلمي انك ان سافرت فلك . قلوبنا اثار تحيي ذك اطلعك ما طال امدى

فتوردت وجئت ليلي لاهما لم تتعود ان تسمع من اثور مثل هذا الكلام وكان
احب اليها ان لا يتخطى حديثهما حدود المنزل على ان ليلي قطعت خطيها باستئناف
الغناء ونقر العود وكثيراً ما كان ذكر هورثي هذه الاثداء يتردد الى مخيلتها فتتنصص
لكنها كانت قوهضها الاغتمام اعتبار ان نوال المراء من هذا الباب ضرب من الاوهام
او كاضنات احلام

فلما رجع سنترمون مع دريوكوف انذهلا متعجبين من وجود اثور في البيت
في حين لم يكن يقيم فيه الا نادراً ولم يلبث الا يركي ان شرب الشاي واضلقت مع فتاة
الى القصر

وقد توسم دريوكوف ان اثور قد دل الى ليلي لكأنه لم يرض ان يهدي لها من
ذلك شيئاً اما هي فلبثت قرب سريرها تتأمل في اباقة هذا الشاب وتعلقه وتحييه
اليها وقالت في نفسها لماذا لازها منذ ليلتين في مخدع الخليل تاركاً عشرة الراقصات ولم
اقام في البيت ساعة يوم امس الاله الاجلي هل هذا ليريني انه يحا سلوكه القديم لينهم
خطه جديدة اساسها الفطنة والرياسة بعد ان اغت عباب هذه الافكار ساعة طويلة
قامت الى سريرها تذا عها اهاجس

فصل حاد واربعون

تلاقي الشقيقتين

في صباح احد الايام عند بزوغ الشمس وفدت ايسا وابوها زفيرو على بيت
فرنسيس لصعباه في ترعة صباحية في غابة بولونيا بظاهر باريس وكان قد وعدهما بان
يقدما لركوبهما من احسن جياها الخيل الموكول اليه ترويضها مما لبث ان سلم عليهما
حتى جاء اقتاة بفرس كريمه غراء وبسط كفه قدسها اللطافة فقفزت الى الفرس
برشاقة الحماة فقال لها امتهني لي هذه الفرس التي اشتريتها لانه المسيو دريوكوف صديقي
قالا كانوا في الطريق طائر يتجاذبون اطراف الحديث وكانت عري الحب ترداد
بين مايدا وفرنسيس توثقا لكن كلا منهما كان ينجل ان يسمحا للاخو فياهم

عند مدخل القاعة اذ صاحت ماينا . هوذا بنت دروكوف

وكانت ليلى قد خرجت صباحاً الى التفرقة في القاعة مع ابيها وآل سنغومون
جميعاً فأتبعه فرنسيس نحوهم وسلم على دروكوف فقالت له ليلى : أملك نسيت ما
أوصيتك به يا فرنسيس — حاشى أن انسى خدمة سيدي

بل جعلتها شغلي الشاغل وها هي القرس اتينا بها الان للامتحان

— ومن هو فارسها ياترى

— هوذا فارسها الاذنة ماينا كتستينا التي امامك

لحق قلبها سروراً وصاحت ما انظر هذه الحرة الغراء وما احمل تناسب اعضائها
ثم هربت نحو ماينا وسلمت عليها بلطف وبشاشة فأتبعهم فراد ماينا وايه احتياج ولم
تدبر باذا تحب لان قلبها شغف بليلى حباً وكانت قد رأتها من قبل مراراً فأنبسطت
لمرآها ولكن لم تتحرف في احسانها عاطفة شوق اليها تحوكمها هاته المرة على انها قالت
لها بصوت مرتجف : ان فرنسيس الذي اشتق لك هذا القرس خاف ان ترجحك
لعدم تعود ظهورها على سرج النساء فهدأني دُ ترويضها لتألفه شيئاً فشيئاً

— شكراً لك يا عزيزتي واني ارجو ان لا يسبب لك ترويضها خطراً

— لا خطر اللة بل اراني سعيدة ان اقدم لك هذه الخدمة البسيطة

— بارك الله بلطفك فتقبلني مني خالص الشكر

وقد استغربت ماينا سلوك القساء الاميركية معها واحتساءها بها احتفاءً لم تألفه
في فضليات الباريسيات اللاتي كن يذرينها ولا يتنازلن لخطابها في حين . اكابر
الرجال من امراء واعيان ووزراء كانوا يترددون اليها وينفرون رضاها ولكن في
داخل الملعب او اذا كانوا وحدهم . اذا اتفق ان صادفوها في الطريق او في اراضي
الحديقة وكان معهم نساؤهم او اخواتهم وبناتهم فلا يلتفتون اليها واذا وقع بصرفهم
عليها فجأة تظاهروا بانهم لم يعرفوها

ولم تكن ماينا لتعز من جراء هاته المعاملة لانها كانت عارفة مقام نفسها
وموقفة بان حقا لا تمكنها من نوال اكرام . يدات الباريسيات وهذا ما حملها على

الا نذهال لا رأيت تطفد ليلى معها ومما راد اندهاشها اقبال سنقومون وامرأته واجه
لنيتها اقتناء لاثرويتها

وكانت ليونيدة قد امتحنت من تنازل ليلى الى هذا الحد لكن سنقومون
الذي كان هائما يجب ماينا وقد دفعت الشوق الى مخاطبتها اشار على امرأته وابنه ان
يجاريا الاميركي، على ذوقها وتقدم امامهما للتسليم على قارسة الهيفاء التي تجلبت من
تجملهم المفرط منها وطلقت ليلى تخبرهم مسرودة بن القوس الكريمة انما هي لها وكانت
معبدة بها فرضت ماينا ان تتجنها امامهم بالجري والقز ثم طارت بها تهب الارض
تهباً وعاد بأسرع من لح البصر فكاد قلب ليلى يطير فرحاً قالت لايبها ما اشد
سرودي بصولي على هذه القوس الفريدة فسأل القارسة كم من الزمان يستغرق هذا
الترويض والامتحان فاجابته نحو ثمانية او عشرة ايام

ولا اقدرقوا عن ماينا تخلف عنهم سنقومون لتوديعها فاخذ يدها وقال لها :
ما اسعد خلي في هذه الساعة التي مكنتني من تهنيتك خارج الملعب . ثم انحنى لها
وسلم عليها تسليمه على اميدة خطيرة

فصل ثانٍ واربعون

استراق الجرائد للاخبار

من اجمع ساعات النهار لدى ام هوبر ساعة الصباح حين كانت تدله الشاي
وتتلقه وداعبه مداعبتها له يو. كان صبيها وكان يفرح صدرًا بهذا الدلال متسلية
عن المهم الذي كان يرضه وفيها هو يشرب الشاي كانت امه تتصفح الجرائد الصباحية
وتقرأ له خلاصة الاخبار ولها في سياق القصة يوماً واذا بها قد وقتت بنة وانق
وجهها اذ وقع بصرها على عبارة ذكر فيها اسم ليلي دريوكوف فاضطرب هوبر وقوا
في الجريدة ما يأتي :

« غصت امس غابة بولونيا بالوافدين اليها من كل النحاء بباريس وكان بينهم الإنسية
ليلى دريوكوف الاميركية القساسة القلوب بجملها الرائع مع الكنتة ذات سنقرن وقد

وقفتا تتحدثان مع الانسة ماينا كتستينا المسئلة الشهيرة في ملعب الحبل الجديد «
 فاقى هوبر الجريدة الى الارض متأسفاً وقال متأسفاً «أ الى هذا الحد بلغت حتى
 صارت تهاشر المثلثات» ثم ارتقى على القعد وطلق يكي كالولد فصانقة امه
 وجعلت تطلب خاطره ولم تكن لتظن ان حبا متمكن في قلبه وقالت له روحي فذاك
 يا ولدي لو اخبرتني انك بها هائم لا كنت اريتها عين الجفاء ون شئت الان فاني
 احلم ما مضى باطلاعها على سبب بصادا وتنجينا عنها

— لا يا اماء ما هذا العمل يتناسب

— بل هو عين الصواب والي على يقين انها لا تزال على عهد الولاء فاوهي معها ما
 اردتني من علائق الوداد ونعود الى ما كنا عليه من الصفاء والهناء وهي اليوم في اقتدار
 الى من يسليها بعد سفر الاميرة زامركو الى ليس

— لا يا احمي لا تقعلي فان لديها سجرة قد خلفت الاميرة الا وهي كتنة سنترمون
 التي كانت معها امس كما روت ابوجه وهي اللازمة القل . . اه اني
 اكره هذه المرأة ولا ادري لماذا امقتها وقد شاهدت منذ اسوع ليلي في مخدعها في
 ملعب التمثيل كالنحلة بين يديها خاضعة لها خصوص البنت لاما ولا تبدي عملا دون
 استشارتها وقد تعلمت منها الاسراف البساربي «شترت» الحلو والتجف ما
 يقدر بمجسدين الف ليرة وقد ساء دروكوف بمجسدين الف اخرى من نيك برك وباشر
 بانفاقها ولقد فرحت يوما بهذا الاسراف وقلت ليت هاته الاموات تدوب في
 باريس سرياً ذوبان الشمع امام النار فتتخفف ثروة ليلي وحيتنذ التجراً ان اذاحم
 طلابها قلل دولي يوز ملاءم الدلاء

ثم عاد الى البكاء واصعد الزفراء فضته والدقة الى صدرها واخذت تعزيه
 وتسليه ولكن القلب قريح ولا يشفيه الا بلسم الحب الصحيح

على انه عاد يخاطب نفسه وهو يقول : تمساً لحظي وما اخف عقلي وما ابعد
 وهي بقلة ثروتها فهاها بدرقت واقلت . . ن الاموال يبقى عندها كثير بثير وما انا الا
 فقير حقير فاين الثريا من الثرى . . فلهذا احسنت يا احمي باعادي عن التوغل في حباها

ولكن ما الصل وهو في قاصد . . .

ثم تجلّد الشاب قدام وصل وجهه ولبس ثيابه واطلق الى عمله ولبت امه تلوم نفسها لانتهاجها خطة الحياذكل هذه الملة مع انها كان في وسعها ان تتولف من ليلى وتقرب بين الحبيبين فتعقد بينهما قرأ سميداً تحمدها عليه كل الامهات لكن حالت دون اتمام ذلك عارضة شريفة الا وهي عدم رغبتها في مخادعة ديو كرف وفقاته باختنائها عنهما العار الذي لحق بزوجه قبل وفاته من حيث اغلامه وخسارة اصحاب ديونه خمسين الف ليرة وكانت تحب ان يتصل هو بكد عينه الى جمع هذا المال وابقاء الدين استرجاعاً لشرفه الا ثيل ومحوراً لذلك العار وكانت قد حفظت هذا السر مطويّاً في صدرها وقد كتبه عن ولد هانفسه الذي كان ايام اغلاس ابيه حدثاً وهذا ما كان يحذوها على عجانة عشرة الناس ولزوم عيشة التكر وعدم ساجها لهو ان يتخذ قلب شرف ابيه البارون

وكانت ليلى تقالع الجرائد ايضا في كل صباح فعثرت على العبارة الممدوحة فيها فداخلها بعض السرور وقالت : لا ريب ان هو يقرأ هاته العبارة فاذا عساه يتذكر او يقول ياتى . . . ولكن لا اظنه يكتثر اليها لان ذكرى روح من ذهنه في حين ذكره لا يبرح على صفحات قلبي مسطوراً فاكثره بالجميل . . . او اه ما ضره لو هي على الوداد ونفسي لا تهوى سواه . . . ارى كل يوم عشرات من الشبان يحومون حولي حومة القراش حول النور ولا يدفعهم اليّ الا المال وليس لاحد منهم ذرة حب في فؤادي

ثم اخذت قلماً وقرطاساً وخطت على سبيل التفكير سماء الشبان الباريسيين الذين ذكرت انها عرفتهم وهم كلهم طوع امرها تختار منهم ما تشاء فاجتمع منهم لديها اسماء سبعة وستين رجلاً ثم قحت الاسماء فاسقطت منها اثنين وثلاثين وقد وجدت لكل منهم ملة هذا لانه متقدم في السن وذلك لانه قديم الصورة وذلك لانه لا يحسن الرقص وغيره لانه ثقيل وهلم جرا ثم امرت النظر على الخمسة والثلاثين الباقين منهم فوجدت لكل منهم حبساً حتى يحتم من آخوهم ولم يبق لها احد مثل هو ولكن لم تترك

الى الوصول اليه سيلا

وبعد ان تأملت ساحة تتنازعها عوازل الشوق والنكد اخفت تقول في نفسها «هب
ان هود اصر على الجفاء فهل يجب ان ابقى اكراما في كل عري بتولاً حاشي .
ينبغي ان انهاء وانحو من القلب هواء ولا ادى امامي اليق من الشاب ارثو ابن
الكنت سفارمون فهو عري النسب مقارب لي في السن اسر الوجه اسود العينين اهيف
القد لطيف الحاضرة وهو ياونني في الثروة وامة تحبي عبة ام لبثها وانا احبها فلماذا
لا اقابل ميله الي بالثل واذهل من ذلك الكنود الذي كان اول راسي في بهم ملاحظه
من يوم علمني في قصرنا بالقتل رقعة الحبلان

وارادت لي بد هذه المساجاة ان تشرح صدرًا ولكن تواردت الي حينها
العبرات فخذت تذرفها سيولاً ونها لني هذه الحال واذا ليونيدة قد دخلت عليها
وهي تنشف دموعها فنانقتها وسألتها عن سبب غمها فومت عليها متطلة بانها
تكسدت مما قرأت في الصحف بشأنها فقالت لها هي عادة الجواند تندم الاخبار وتفسح
لكل مقال مجالاً وكان الاولى بك ان تفرحي لامتدادها منك على اني لا اقالك
استياء عند ذكر اجتماعنا باصة المشعوذ زفير لا عن ترفم وكبرياء لان الفتاة طاهرة
كاملة ولكن خوفاً من السنة الناس الذين يستهجنون منا هذا التذني

— اه ليتني استشرتك قبل ان اكلمها فهي هنوة تضاف الي سائر هوائني فلا اقل
من اليوم شيئاً دون مشورتك

— لم تأني في ذلك يا عزيزتي امرا قبيحاً وماذا يسلك ثروة الناس فليقولوا ما شاءوا
فدعي عنك هذه القصوم وهلمي معي لا كمال ما شرعنا به من اعداد شجرة عيد الميلاد
لانا دعونا الى مهرة تلك اليلة نحو ثلثين رجلاً وسيدة مع اولادهم رغبة في التسلي
شأننا في كل سنة

فانقادت لي لي ليونيدة انقياد الطفل اذ لم تكن تحب ان تخالف لها امراً
واشتغلت معها كل النهار في زخرفة تلك الشجرة وتعليق جميع اصناف الحلويات
والالايب عليها حتى جاءت من ابدع التحف

وحده النساء اخذ الناس يذهبون الى بيت سترمون افواجا فيستقبلهم اذورد
ودوروكوف لان ليونيدة وليلي كانتا منهن مكنين بتمام الوثنة وقد افلقتا باب الفرقة حتى تبار
الشجرة بالشموع والمصابيح فلا يذهب شيء من رونقها

اما سترمون فقد انتهت الفرصة ليجعل الى صديقه ماينا هدية اليد وانطلق الى
الملب الجديد فلم يجد فيه احداً من الذين افوا شهدوا الالعاب هياما بالفتاة ماينا
لاشتغالهم جميعا بحفلة شجرة الميلاد فلما اقتت دورها بادر اليها وسلم عليها فاندھت
وقالت له : عجبا من حضورك الان في حين ان الجميع قد نسوني

— انما جئت لاصيحتك قديمة مسائية اعود الى البيت حيث اجتمع نحو مئة
فمن من المدعوين

وفيا هو يقول هذا واذا يد حية اقلت طاقة الورد المهدود القساوفا في كل
ليلة قتل : « يظهر اني لست وحدي بالذي جاء اكراما لك » ثم ودعها وانطلق سريلا
ويتنا كانت ماينا تتشقق رائحة الطاقة وقع بصرها على نوط من الذهب مزدانا
بالحجارة الكريمة وفي وسطه رسم الحرف الاول من اسمها (م) مرصعا بالالآى .
عالية فارادت ان تنادي سترمون فوجدته قد توارى عن بصرها فتهدت وقالت في
فسها : من هو ذلك اللثم الاثيم الذي يظن انه يستميل قلبي بهذه الوردات المرسلة
يوميما ثم صعدت الى غرفتها ولم يكتب اليها ابوها لانه كان يمحدث فرسيس فلما تأملت
طاقة الورد ونوط الذهب الخالص الرسوم عليه حرف الميم بالالآى العالية توردت
وجنتاها وصرخت غاضبة تبكا لتلك اليد القبيحة . . . أظلمها يد سترمون نفسه . . .
لا لاحشئ لئله ان يأتي مثل هذه القطعة الشنعاء . . . ولكن ما لي وله فليرسل ما
شاء فلا يرمى مني الا عين الصد والجفاء . . . هل يجب ان اخبره عن فرسيس لكن اخاف
ان يتأثر ان كان يحبني . . . لان اقول لاحد بل اسعى بنفسي لكشف تلك اليد
الجانية وحينئذ أنهم صاحبها ان ليست لحوم كل الطيور مأسكولة
ثم اخفت النوط في خزانها وما وصل ابوها الى الفرقة الا فرطت قد الطاقة
واقفت بالورداء . من النافذة الى الحديقة

اما الكنت ستقومون عاد الى قصره وانسل بين الجمع دون ان يدع احدا يشعر
بقدومه من الخارج وكانت غرفة الزينة مقللة بعد حق اذا تم زخوها قمت الجوايا
فسطعت منها الانوار تبهر الابصار وارتفعت ضجة السرور ودخل المدعوون الى الترفة
وعيونهم شاخصة الى نظام الشجرة وترتيب المنارة المثل فيها مذود يت لحم مجعل
الكبار والصغار يجتمعون من تلك الشجرة البنية اصناف الفواكه والافطار ويشنون على
براعة ليونيد ويلي اللتين كانتا تالطفان الجميع

وينسا القوم ملتهون قالت ليونيا تزوجها على انفراد : أليس من محرم
هنا فيصف هاته اللذة الزاهرة

فاضلتي ستقومون الى عرسه وحط ساهه وجيزة في وصف تلك الحفلة وعرض
فها بالثناء على ليلى دبروكوف التي غنت فداء بديعا وبثها من فوره الى صديق
له من كتاب الجواند ثم عاد الى الساعة ودخل مع المدعوين الى المائدة لتناول العشاء

﴿ فصل ثالث واربعون ﴾

في التنافر والعتاب

احقاد فرنسيس اندرفي بجيله وتبجل مع رفاقه وخدمه لكنه اتفق ذات ليلة انه
كان غاضبا فشرع يضرب الحبل بلاشفة ويحاكي رصناه بالكلام ويشتم خدامه وما
ذلك الا لانه تلقى رسائل مغلقة التوقيع يذكر فيها ان لحبيته عشاقا يعيشون اليها
بطاقات الورد ليلى وقد ارسل لها احدهم في عيد الميلاد فوطا نفيسا

ولم يكن فرنسيس قد سمع بخبر هذه الهدية التي ظن ان ماينا قتلها دون اعلام
ابيا وما ذلك الا دليل على ان حب مهابيا قد تمكن في قلبها فتأوه على خسارة هاته
الدرة اليتيمة وندم على استقدامها من لندن الى باريس التي قلما يسلم فيها قلب طاهر
من السقوط باشرائك سكانها

وقد لحظ ان هاته الاسئلة كانت متغللة من ايديني ديموسكي او بواسطتها
بتعير الخط والاذشاء في كل رسالة ولهن فيها غلوا او وشاية لكن اهداء النوط كان

قد حيره لان ماينا التي اعتادت ان لا تفتني عنه شيئاً قد كسبه عنه ثلثة ايام وقد
ظهر له ان ايريني قد عقدت معها بعد تلك العداوة صداقة متينة وترلفت من ايها
زفيريو متوددة اليها بنائة التجميل

• اما ماينا فلم يسكن لها باء من حين تلقي ذلك النوط وكثيراً ما عزمت على
اقتائه من النافذة مع طاقة الورد لكنها امتنعت عن ايلاز عزمها الى حين الفصل
خوف ان يظن صاحبها انها قبلته وفكرت حيناً بان تسلمه الى مدير الملعب كشيء
وجدته في الملعب لكنها خشيت ان يسألها عن مكان وجوده وان يتكدر ايوها لعدم
اطلاعها اليه عليه

على انها لم تلت اخيراً ان تطرح النوط في ساحة الملعب فيشيع خبره ويسمع صاحبه
بانها رفضت قبوله فلا يبقى له بها امل وفي ليلة السبت بعد ان لعبت دورها اقلت
النوط الى الارض بخفة وانساب الى مخدعها فاستوقفها صوت ايها يقول: هوذا فرنسيس
آتيك بشيء هدية يباحة للملعب

ثم تبعه فرنسيس يصحبه سترومون ودريوكوف وبعض الرجال المشغوفين بماها
وقال لها: خذي ياسيدي هذا النوط الذي التعلقت ساقطاً منك هذه الساعة

— هذا لا يخصني — كيف لا وعليه رسم الميم اول احرف

اسمك وقد شاهدته منعنداً من ثوبك على الارض

فارتجفت واصرت على الانكار فقال سترومون لعل سقط من احدى التفرجات
المتدليات فوق باحة الملعب

فسرت ماينا من هذا التبع وقالت هذا محتمل فخذوا النوط الى مدير الملعب
وهو يلعب عنه لعل له صاحباً ثم تركت الجماعة متخيرة من هذا الامر وصعدت
الى محرتها

قال بعض الواقفين لعلها تقبلت النوط خفية من ايها فلما انكشف امرها انكرت
وهذا طبيعي لا يفتر الى تأويل وكان فرنسيس يسمع هذا التفسير ويصير في قلبه
مكتئباً ويقول لقد صدقوا في ما كتبوا لي فهل من مرد علي من قدمت يدي

اما سترمون فحأسف على ضياع هذه الحلية النفيسة سدنى وقد قضى امداً طويلاً في انتخاب لآتها واضطر الى استئدانة خمسمائة ليوة لشترها فلم يبق له مطعم في التقرب منها خوف ارحاص الرقباء عليها وكانت كل جوانحه تقيل اليها ولم يدبر ما الجاذب الطبيعي السالب فزاده

فلما تفرقوا اقتتم دروكوف فرصة انفراد فرسيس حزينا لاستئناف محاورته بشأن استغدامه وكيلاً على امواله ومواسيه في اميركا فوجد الواحي ذا ذرع فأخذ يتدد بفس حاله في الالعب ويدببط له بهاء مستقبه في خدمته

فاهتدع فرنسيس بكلامه وقال له على مسمع من زفيرو : لا دحضت طلبك لاول مرة يا سيدي دروكوف كان لدي بعض مواضع تحول دون ترك باريس اما الان وقد ارتفعت تلك العلاق المرتبط اياها فصررت اقرب الى القبول وسنبعث بهذا الشأن في فرصة اخرى ملياً

لا حاجة للبحث فقد اطلعتك على استعدادي لعمل ما يوافقك وحيث لك الزاتب كافياً فتى حولت على السفر فاخبرني

— لا تقعي ثمانية ايام الا تنال هي الجواب القاطع

— اوأمل ان يكون بالايحاب — ليس الامر بعيداً

ثم لحق دروكوف سترمون واخطب فرنسيس ومر امام زفيرو شاخخ الاف كانه لا يحله فغضب زفيرو وقال في نفسه قد انقلب صديقنا عدواً فما معنى قوله ان العلاق المرتبط بها قد ارتفعت ... العناطلينسامة ايام علاقي .. اوليس هو الذي جاء بنا الى باريس . ثم طلق يمشي وهو يضرب يديه الهواء كأنه يناقل صداً ويتوعد فرنسيس بالانتقام لاساءة الظن بشفاعة الصفة

ثم دخل الى غرفة ماينا فوجدتها سائرة وجهها يسيرا وهي تصعد الزفرات فانقبض صدره وجعل يكي لكثتها ويسألها ان تكفك المبروت فلم تصح في سماع قال لها ألم انا عارفاً ان قدومنا الى باريس سيكون ذخيماً للعاقبه فحسبنا الان فيها مكث فومي احبني منذ الان اشياك فسنهجر هافداً ولكن لا نسامر صباحاً فان لي ثلثاً

آخذه منه في التذ لا محالة

- فرغته حينئذٍ وجها الوردي للتبل بالدموع وقالت منفعلة من هو يا ابت
 — هو فرنسيس القوي آتاكك بالثوب فلاديتة عدا كيف تتهم القدرات ثم نسأ
 الى أنكثرة او الى اي بلد تشائين — أمن جد تقول انسا نهر بارير
 — واية علاقة لنا فيها . قد عرفت منذ اول يوم خطبها ما جفبك اليها .
 لقد كنت تحبها . . . اما الان وقد انقضى الامر
 — اي امر انقضى يا ابت
 — اريد ذلك بلجون بتحكك بمهل اليه نظير فرنسيس
 — ماذا تقول يا ابت واني اسبى الان اضلح حي في قبال
 — اتحيته هو قد اساء بك ظنا
 — لو لم اكن احبها كانت اساءة ظنه تهني
 فيه زفير من هذا البرهان الذي لم يحظره على بال وبعد ان سكف قليلا
 قال لها : من المستحيل ان تحب به بعد ان بدا منه ما بدا
 — اشتهي ان لا احب ولكن أيمكن ان يؤمر القلب بالرغم منه وهل من الممكن ان
 اطيع لو أجبرت ان لا احبك
 — ان بين الآخرين بونا جيدا . . . ألعنه ابوك
 — لا اطعم كيف العمل ياربي الجاحبة ولا استطع الا احب فحيبة ان اسلم
 فاذهب يا ابت واستدعه الى هنا — حاشي لا يكون هذا
 — انا أريد يا ابت — كلا كيف يحيى بعد ان اعانك
 ما لم يأت صافرا مستغفرا فهل ترفق ماقال لندروكف حلقا وقص عليها الخبر كذا
 فاضطربت ماينا وساءها تغير قلب فرنسيس ومبادرته الى ازديانها وما سم
 فوادها عما حزم فرنسيس على اطراح هاته الحرة والسفر الى اميركا وتركها وهذه
 بلا ايس تقنع به متقلبة من . . . كذا كذا كذا . . . الى ايها تقوسا
 مستدعاء فرنسيس

قال لما ساستدعيه ولكن يجب ان يعرف . . .

— لا يجب ان يعرف شيئاً — بل ساقول له . . .

— لا تقل له الا اني راغبة في مواجهته وارجو ان تلافطه ولا تريد نفوره

فلم يستطع مخالفتها بل اضلقت وهو يقول في نفسه منذ هنيهة كنت اريد ان
اضربه . يتقماً والان اذهب لالطفه متصافراً . . . اه ما اشد سطوة التفتيات
على قلوب الرجال

اتصاه مند باب الملبب فرنسيس يحادث ايرفي بطاقة لم يهدحها فيه من قبل قال
ما هذا الانقلاب للتريب فهل ساعة واحدة كفت لاطراح ذكر ماينا والاقبال على
عدوته اللداء بالحققة ان الرجال لجاهدون كل وداد وولا .

فلما اتقوا الاتحادان اتجه زفيرو واخذيد فرنسيس وقال له اصعد معي حيث لنا
معك كلام

— ما المانع من الكلام هنا ونحن على انفراد

— ليس الكلام معي بل مع ماينا — هل تريد هي ان تراني

فلم يجابه زفيرو بل جذبه بنفسه وصعد به وكان فرنسيس قد شعر بوخز
ضيقه لاشتباكه بطهارة ماينا فحبل ان يقابلها فلما كاد يصل الى الباب تردد من
الدخول فدفع زفيرو وبعد ان دخل معه واغلق الباب قال لابنته : هوذا الرجل

فلما مثل فرنسيس بازاء ماينا التبت احشاؤه ونم على ما فرط منه واراد ان
يتندر فتعلم لسانه فقالت له ماينا دعني اتكلم ياسيدي وانت اسبح لي مصغياً فلا
حاجة ان تردد لي بما فكرت في قد فهمت كل شيء وكنت احب ان اطوي الامر
حتى تكشف الايام براءتي ولكن بلغني انك مسافر عما قرب فلم اشأ ان يتي في
فكرك عني ذكر سوء في حين اني طاهرة الذيل فلا يهني احد من الباريسيين الذين
يتظاهرون بانهم يبدوني فهم جميعاً حندي كلا شيء ولا اكثرت الا الى احتبار

الصديق الوحيد الذي احبته نفسي وحل في قلبي المتزل الثاني بجانب ابي

فلم يتالك فرنسيس سكوتاً بل صرخ قائلاً : كفى كفى فاني كنت مجنوناً . . . وقد

صدقك قبل ان تقولي شيئاً

— لا بد من الكلام فان هندي شيئاً لا يروح عندك خفياً : من المقرر ان قلبي لم
يل الى احد من البريسيين الذين كانوا بدعون محبتي لكن بالرغم عني جرات واحداً
منهم فكان ذلك علي وبالأحرار

محملي زفيريو حينه واكد وجهه فنييس وظنا كلامهما ان هنالك امراً قبيحاً
فاستأثنت مايسا الكلام قالت : لاشك انكما تذكران طاقة الورد التي كانت ترد الي
في كل ليلة وكنت اقبلها مسرورة لان شغافتي بحب الازهار ولم ينظر علي بالي ان صاحبها
شرير لانه لم يصحبها قط بكتابة ولا علامة ولا اشارة فظننته يشبه ذلك الشيخ الذي
كان يوصل لي الحلويات ليلاً لا كما في فينا لانه كان يدي في صورة ابنة وحيدة
له قصتها البين فتيه لكن تبين لي بعدئذ ان صاحب تلك الطاقة اراد ان ينويني شدة
فشيئاً واتخذ لي عيد الميلاد اذ لم يكن في الملب احد من المدينين بمحبتي ليرادوني عن
نفسي ووضع في طاقة الورد ذلك النوط الذي وجدته يافرنيس

فاندش الرجلان واي اندهاش وقال زفيريو مغضباً : أمن سبعة ايام عندك هذا
النوط وانت تحببته عني فلماذا ذلك الخداع

— لقد اذنت يا ابت باخفاءه عنك ولك الحق بان تلوم ولكن خفت ان يضربك
الامر فتكروه بارس وتهجرها .. ولم اجد امامي صديقاً ابج له بسري
فقال لها فرد بس وقد تلهب بها حباً : لي وحدي كان يجب ان تكشفني امرك فما
كان احب الي ان استقصي اثر ذلك الحثيث التتم

— كنت ارجو ان ابج لك به اعتبار انك اخلص صديق لي بعد والدي ولكن
توسمت في حبك لي فتوراً ورأيت انك تغيرت عني في هذه الايام الاخيرة فاجمعت
فارتد فرنيس لتذكرو تلك الرسائل السرية التي كانت تسمى بايضا بمرودها
ثم قالت : فاجهدت الفكر في كيف اتخلص وحدي من هذه الودعة فوقعت من حيث
لا ادري . فالان بما انك قبلت طلب دروكوف وانت مسافر الى اميركا قريباً
فلا ارجو منك الا ان تحفظ في قلبك ذكر الحلوحة ماينا ككساء عقيقة بلا صيب

وما اقت هذه العبارة الاخيرة الا انهمرت البعرات من عينها سيولاً فانطرح
فرنسيس على قدميها واخذ يديها وصرخ والصوت عشتق حزناً : ماينا سامحيني اغفري
لي يا ماينا . . . قد جنفت وكنت قتيلاً . . . كنت احبك حباً يقرب من العبادة . . .
ولكن لم اكن انما ان ابرح به كما لم تتخوئي انت خوف غضاب ايك واضطواره اياك
الى ترك باريس ثم تحول حيي الى غيرة حمقاء . . . فهل لك ان تسامحيني

قال زفيرو مقطباً : انا لا اسامحك البتة ولكن هي قلبها حن
فحولت بعرات حزنها الحارة الى دوع الفرح الباردة وانقضت فرنسيس من الارض
وقالت له اني اباركك تلك التبعة التي مهدت لنا السيل الى قبح قلوبنا بعضنا الى بعض
ولا شك انك تقرأ على صفحات قلبي ان حيي لك قد ازداد اضطراباً من حين بدأت
بتعذيبه

قال زفيرو مكشراً : ما شاء الله ان الحشمة واين الحياء
فامسك فرنسيس يدي زفيرو وقال له : انا وحيد على الارض لا اب لي ولا
ام وقد كان لي أب اذكر انه شرس الخلق كان يضربني ويضرب ابي لكئة مات ثم مات .
حين كنت صبياً وقد عشت الى الان وحدي فلماذا يمتني ان اكون لك ابناً وتكون لي اباً
فذهب نحن الثلاثة الى اميركا قصي عند دريو كوف حياة سيدة بعيشة رغيدة

فهللت ماينا وهتفت : تم نسا فركلنا ونكون اسرة واحدة
وكان زفيرو قد سر من اقصام تلك العقدة لكن ساءم الاتظام في خدمة دريو كوف
الذي لم يزل يذكر انه كان له رفيقاً في سفينة معلمها منترفيو وخاف ان ينكشف امره
فتسوء العاقبة قال فرنسيس : ان كنت تحب ان تكون لي ولداً فلا تهم مع دريو كوف
امراً قبل ان تشاورني

وحينئذ ضم فرنسيس ماينا الى صدره فحولت اكدارها الى فرح عظيم لم تملء عمرها
كله وقد ايسنت ان وجوه السعادة قد بشت لها فلا شيء يضلها عن حبها
وفيا هم بهذا الحديث كانت ايريني واقفة على الباب تتنصت وقد تمكنت من
استماع كل شيء . فانطلقت الى غرفتها ترغي وتربد وهي تقول لقد خاب الأمل واقطع

الرجاء فما علي الاستعداد منتفياً الآن لانقضاء ايام من حياتك الصدر والدهاء

﴿ فصل رابع واربعون ﴾

في عيد رأس السنة

ما انبثق فجر اليوم الاول من السنة الجديدة الا توافدت على ليلى الهدايا ورقاع التهنئة من كل صوب حتى سمنت من كثرتها لاضطرارها الى مكتابة اصحابها معربة لهم عن شكرها ولم تذكر فتح الكتابة فملت تتسلى بقرب رقام الزيارة صفوفاً حتى اذا جاء ابوها وقد يتأمل في تلك الرقاع موجد فيها اسماء دفتين وست ميراث واحد عشر مركزاً او مركبة واربعة وعشرين كتيلاً او كتنة فصحك وقال : اجتمع هنا كل من عنده ولد للزواج

وكان بين الهدايا صحفة لطويات من ابداع ما اتته يد الصناعة مرسمة بلقن الجواهر الكريمة اهداها الكنت سنترمون الى ليلى التي تقبلت من امرأته خاتماً فريداً ومن ابهما اثورقة نفيسة فيها طاقة كبيرة من الزئبق النض ١٠١ دريوكوف فانحى صدقة سنترمون بجوادي كريمين جاء بهما من حقله باميركا

وما كانت هذه الاشياء تسر قلب ليلى التي كانت ترى نفسها منقبضة الصدر ترتجف كلما قه باب القصر كانها تنتفاز زيارة موعودة بها حتى اذا جاءت الساعة الرابعة بعد الظهر اطلقت مع اميها لتهنئة نسبية لصديقتها الايلة زامركو وادعت الحظ ان ينظروا الزوار حتى تأتي لصالبتهم بدضع دقائق فما اشد ما كان غمها لما رأت عند عودتها رقعة زيارة هوبر ديت واه فاستشاطت على الخدمة غضباً واوسعتهم توبيكاً وتقريباً في حين لم يأتوا فيها الا كل لطف ووداعة وقد انتظرت كل النهار هذه الزيارة فذهب انتظارها طلقاً

وبعد ان قضت هنية خابله في لجم الهواجس والبلابل قالت لايها هي بنا الى بيت هوبر فان مثل هذه الزيارة ترد على الاثر فلم يسهل الا تليتها فاستقبلتها ام هوبر بتألف وكلف اين منه ذلك اللطف الذي كانت آتية لها في نبوءك لانها لما

رأت فخامة قصر ديوكوف وزخرفة كيوسه الملوكة صفوت نفسها وعصرت مع انجها
 حبل كل امل بالوصول الى ليلى واضطرت ان تقابلها بمقابلة غريبة لا رجاء لها فيها ولم
 تقدر ان ليلى لا تزال على العهد وان كلمة واحدة كانت كافية لضم القلبين التهايين
 بقدر الزواج

ولم تقل الزيادة لان صدر ليلى كان قد ضاق من ذلك الفتور الذي لم تعرف انة
 علة وبعد تبادل عبارة الوداع قالت لاني اماذا جرى لام هويد من حين رجوعها الى
 وطنها وهي صابرة مع ولدها على جبر النضائ آه ما احسن ما كانت لطيفة ائيسة في
 يورك لاشك ان هنالك مصبة تزلت بها ليتني اعرف تلك المصبة فابادر الى كشفها
 عنها ثم صمت وهادت الى البيت كثيرة وقضت ليله سوداء

وفي اليوم التالي بين كان هويد مشغولة بطيعة خلاصة اعمال المصرف حسب
 العادة السنوية اذ استأذنته ليويده راغبه مواجهته فانهزل من قدومها ونفر قلبه من
 مقابلتها الا ان اللياقة لم تمكنه من رفض مواجهتها فاذن لها واستقبلها بتور استبالة
 لؤارة غريبة فلما خلت به بسطت يديها له كأنها تتضرع اليه وقالت له بجنون :
 يولدي دعني احاطبك بحوية خاطبة لتسيب زوجي فان لي غرضاً معك في خدمة القس
 منك قضاءها وما كنت لا تخشاً ان ابسطها لك قلراً لما بنتنا من التناظر القديم العهد
 فالى م هذا القواعد بيننا ويسوفني ان حملات الصداقة بين امك وزوجي مصرومة من
 مشرين سنة وانت وانا كلانا لا ناقة لنا في سبب هذا الخلاف ولا اجل فطينا ان
 نصلح بينهما

— ان هذا الاصلاح متعذر ان لم اقل مستحيل فبئساً معالجة الولوج في هذا الباب
 لان الاسباب التي حملت امي على قطع علاقة الصداقة لاشك انها صواية ولعلك
 لست واقفة عليها

— اجل اني واقفة على كل شيء وعارفة بجميع الاسباب فليس ثمة ما يقتضي
 كل هذا التشديد فان والدتك تشكو من ان زوجي كان قبل ان اقرن به علة جميع
 مصائب والدك في حين ان اللوم على صروف الحائث ومقاصد الزمان ليس الا ثم لما قل

بايك المرض الاخير وامسيم في طريق شديدا غيب ستقومون وفصدت معه ان فهو
الحلأ السابق ونصيح الماضي فابت والدتك وقد تنقصنا من ذلك الحين كما اننا متخصر
العيش منذ اتينا الى باريس وما يرحنا ناملنا كثيرا.

— ولحسن هذه اول مرة تشرفت بمواجهتك

— أملك ظنت اننا لم نعرف انك لم تعدل عن اجابة دعوة الاميرة زامركو الى
المادة التي اعدتها لك الا لتجنب مواجهتنا أو لم ندر انك لاجلسنا تلازم مع امك
جانب الحياء وتجنبان كل دعوة وزيرة

فصت هوير ولم يستطع ان ينكر هذا اما هي فاستأنفت الحديث قالت :
اما الان وقد ذهب كل شيء عاني اشتاق مع زوجي ان يحى ما مضى ونعود الى
مقدواخي الحب والولاء شان سائر الاسماء وما يدريك ما قد الايام فان حوادثها قد
تدهو المرء ان يستعين بقرينه كما قضت ان احتاج الى خدمتك الا وانت عديري الوحيد

لست عدو احد وليس في قلبي ادنى اثر للحد والضيق نعم ان ستقومون كان
معه شقاء والذي بسبب مصائبه ووفاته ولن اسى ذلك التت ولكن لست بحاقده عليه . .
ولست اعرفه ولا اريد ان اعرفه . . واني اصغح عما اساء به الى ابني ولكن لا اكون في
صديقا وما احسن ما صنعت والدي بلزومها جانب الحياء عنكم فما من احد يعلم
في باريس ابني انا نسيب ستقومون كما ابني لم اتحد الى الان قرب البارون الذي كان
لوالدي فلا فائدة لنا ولا لكم بتغيير هذه الحال على ابني لا ابرح مديرا للمصرف
المودعة فيه ثروتكم واراني ياسيدي سيدا باتيان الحمة التي تشائين لكي نتيقني ان
قلبي مقدره عن كل ضيقة

وكانت لهجت الاخيرة مشربة لطفأ احييت في ليويده . بيت الامل بسد ان
كانت قد نشت من ادراك المرام لما رأت من تشديده اولا في امر المصاحبة فاطرت
لحظة وقالت لا تجاسر ان اجمع لك با اودم

— عفوا ياسيدي ابني ارجوك ان لاتتأخر في استخداي بما تمين وان لم تخاطبني

كغير مصرف فخطبني على الاقل نظير صديق مخلص

وكان هو قد لام نفسه لافراطه في مجافاتها في اول الحديث فتألف بها تعريضاً عما فرط منه فتشجعت وقالت له اني اكلمك نظير صديق فارجوكم ان يني كلامنا طي الكتان — اعدك بكماته وهو واجب علي لياقة

— تدبكر ان يسألك احد عن ثروتنا واحوالنا المالية ولعلك اتى من عهد قريب — لا لم يأت — ولم أعلم احداً عنكم بشيء ولا اظن ان الراغب في الوقوف على هذا الامر يأتي بي بل يستعين بادارة الاسنملا — حيث يجد اقادات مدققة من كل الوجوه يعرفها اعضاء هاته الادارة كعرفتهم شؤون اكثر الاسرات الكيرة — بل اليك سيأتي رجل مستعصم منك نفسك وهو من اهم التمولين المودع عندكم مالا جزئياً ويسمونه عربكوري دد بوقوف

فأرته هـ بـ كان ١٠٠٠ بارداً صرعاً جسمه من راسه الى قدميه لكنه تجلد خوف ان تشربني بيدة با طرابه قتمج من اقام الحيات فاستأنفت كلامها قالت : ان الذي يطلبه منك انا وزوجي ان آتوا المسيو دروكوف الحقيقه ولا نفي ١١ الحقيقه افليس عندنا ميونان في مصرفك

— مليونان وثلاثة وستون الفا ومئتان وخمسون فزداً وخمسة وسبعون مئتيه حسب الميزانية الصادرة في غاية كاذب الاول المتصرم

فارتجعت وزددت في نفسها ١٠٠ كذا ففكره بنا واشتغاله بحساباته ثم قالت له : لله در : لو كنت تعرف جميع حسابات المصرف بمثل هذا التدقيق — اجل اعرف اهم الحسابات منذ اولها

— اذن لا بد ان تكون قد لاحظت ان ثروتنا تتناقص يومياً — انت قلت لان ثروتك قبل افترانك يسترمون كانت نيفا وخمسة ملايين فربك — اذن يا ولدي هذا الذي ارجوكم

ان تهمل عند مجاوبة دد بوقوف قلقل تناقص هذه الثروة بكدره وحسبه ان يعرف ان لنا في هذا المصرف اكثر من مليونين قيمته امرنا حين الطلب

— هذا عين الصحيح وحسب اشارتك اقول لدر بوكوف عند ما يسألني فاطمتي بالآ
 — اما زوجي فهو يملك ثلثة ملايين فرنك وهي ميراث ابنته الحظوظتين المودع
 عند احد الامناء تحت سيطرة الحكومة الى اجل فيكون المجموع خمسة ملايين فرنك
 وهو كله لا يبلغ نصف ثروة در بوكوف على ما اظن لكن هنوا ياسيدي على هذا التطرف
 في الدخول بما لا يعنيني

— ما في ذلك من سر فان در بوكوف يقول علانية انه ربح عشرة ملايين فرنك
 وفي كل سنة يضيف اليها مليوناً جديداً وعندما تنضم ثروتكم الى ثروة لا يلبث
 المجموع ان يقارب العشرين مليوناً

قال هوو هذا وقد ختمت العبارة فادققها وامتنع لونه واحمرت وجنتاه
 وارتجفت يدها لكن ليونيدة لم تنسب اليه لانها ظلت من رنة اسم الملايين واطرقت
 من جرى صبرته الاخيرة وسألته :

— اعندك علم شي ياترى — شاع الجبر وذاع وملاً الإصباح ان
 سيطلب انك ارثور ليني در بوكوف . . . وقد تأكدت ذلك من حديثك الان

— انت اول انسان اطلعتك على هذا الامر فارجوك النكاح
 — تني فاني ساحفظه طي القلب واشكرك على ما خدتنى من الثقة
 — آه هذا لو تتر فنا عند تمام هذا الترح وهذا تزل ذات البين برضى والدتك
 — كلا ياسيدي هذا مستحيل فاطمني كل امل من هذا القليل
 — اني على كل حال شاكرة لفضلك

فانحنى لها هوو وودعها الى الباب الذي اقلته وراءها ثم ارتقى على المقعد واندقت
 من مينبه سيول العبوات اخر من الجمرات وهده يصعد الزفرات ويردد الحشرات
 ويقول ما به فرجيم كني ياربي قد تم الامانة واست البوى لا تطلق وقد بلغت الروح
 الترق

﴿ فصل خامس واربعون ﴾

اطلاع هوبر على مصائب والده

بعد ان بكى هوبر طويلاً انغذ الى والدته كتاباً يبينها فيه بدم ايسانه يومئذ
للفداء ثم ترك المكتب وخرج يحم على وجهه في شوارع باريس وكان النهار ماطرًا ، ثلجياً
والبرد قارساً لكنه لم يكثر الى شيء ولم يشعر ببرد ولا رطوبة لان عاءه كان ثامها
في جميع المواجهس وهو يقول يا ضيعة الصراخية الامل . تباً لحظي قد هددتها
وهي مهجة الفواد ولا استطع بعد اليها سبيلاً واتساء

ولبت النهار بطوله على عاتق الحما شارباً في الاسواق لم يذق طعاماً حتى جاء
المساء وكانت الامطار قد بلتته ونفذت الى جرحه وهو غير شاعر فاندشت امه
من مرآه كئيباً فحيلة فسأته فكم عنها بلواه وادعى ان اشغال المصرف اضطرته
الى التأخر ولسوء الحظ لم يصادف عملة يستأجرها فلم تصدقه الا انها لبثت تتأمله
مبهوتة وهو مرتجف وقد دعا الى الموقد ليصطي مجاءته بثياب نظيفة فلبسها بدل
الثبله فانتش وطلب الطعام

وقد ظنت امه ان سبب اعتامه لملته ناتج عن اطلاعه على سر افلاس والده
الذي كتمته عنه في صدرها عشرين سنة وكام تقرب الفرص لكشف رتساء عن
عينه مزمت ان توضح عليه الام مداله ١٠ ومجته بال المكنوم طي الحقاء

وكان الجوع قد اضناه والله انه لم يملك شهوة ثم دخل غرفته وجعل
يدرف الدموع سراً وكانت والدته تراءس الباب فاقبات عليه تلاطفه وتسالته
فاصعد وتهد وقال : واحسوته لملي تتزوج ، فصرخت امه صرخة يائسة تاكل : والهني
طيك يا ولدي الان عرفت جرحك فتصبر يا مهجة كبدي

— اه يا امي كمت قد ساءتها حيناً ولكن كان لي فيها بعض امل انا الان قد
انصرم حبل الرجاء وهي تتزوج قريباً . وبين تتزوج ياتري . بارثورابن سنقومون
ذلك الحثيث الذي كان معه مصاب اليه وابنه اليرم يزاحني على مناط سعادي ويدهورني

في وحدة اليأس والشتاء وامصيتها

وما اتم هوى كلامه حتى سقطت امه مغشى عليها فانفضها الى القعد ونضح وجهها
بماء الزهر فانتمشت فبكى على صدرها وبكت معه ثم قال لها : اين شجاعتك
يا امي واين ثبات جنانك او لست انت بالتي كنت تنصحيني بطراح ذكر الجبيمة
فما بالك الان لا تتالكين اسفا على قدما

— لست بمكتسبة من اجلها يا ولدي فاصبر قليلا اطلعك على كل شيء واعلم
ان هذا الشاب الذي سلبك الان سعادتك قد سلب ابوه سعادة ابيك وكان علة وفاته
بكن قل لي من الذي انباك بزواج ليلى

— ام ارثود التي زارتني هذا الصباح واشتت ان تصالحنا
— كلا كلا لا معالحة الى الابد . آه لو كنت تعرف الحبر الصبح الذي ساقوه
لك . . . — قولي لي سرياً ماذا جرى

— لقد كنت ابناً رضيعاً بتصديقك كل ما كنت اقول لك بشأن ليلى وقد اطمعتي
طاعة عمياء لما رضت اليك في اطراح ذكر ليلى وسوّهت عليك بان العشرة الباريسية
غيرت اخلاقها والحبيبة اد ليلى جوهره فريدة لا تزال اليوم كما كانت بالامس لان
الذي كنا نصنع في اميركا لم نستطع هنا لاننا كنا هناك اسرة جديدة لا نخرج لها
وحظينا فيها باكرام العموم اما في باريس فنحن بين اقاربنا واصحابنا والضرورة تقتضي
منا ان لا نعاشر من كان منهم علة تحديراً ونكم شرفنا .

— ما معنى هذا المعنى ياترى — ولقد ظننت ان الحائل بينك وبين
ليلى انما هو المال والصحيح ان لها اسماً شريعاً في حين ان اسك ملطخ . . .

— اواه يا ولدي ما هذا الكلام الجارح القواد هل اسم والدي كان مدنساً واحسرتاه
الان عرفت لماذا تسمي لي ان اتخذ لقب الباردون الذي يحق لي بالوراثه وقد
خفت ان يعرف الناس اني انا ابنة . . . ايا امي ما اشد ما كان عذابك بكم هذا
السر الاليم عني حتى لا تنكدي عيشي منذ صبوتي وقد انتظرت ان اتقدم في العمر
واجمع من المال ما يكفي لاستعادة الشرف المقتود . . . فافرخي روعك فما انا مستعد

لبذل النفس والنفس وراء هذا الارب فكم يازم يا ترى

— خمسون الف ليرة

— الله كريم فاقضع اليه ان ياخذ بيدي لوفاء الدين كله

فانتعشت امه من هذه النية وفرحت بانسه شب على حب الشرف
والشامة فظلي والداه وطليت اطره

ثم سألها مغضبا : وكيف كان ستغرمون سبب هذا المصائب

— اذكر يوم كنت صبيا اذ تركناك وحدك عند الحطم اياما طويلا

— نعم اذكر ذلك يوم سافرت مع والدي الى نيس للتفتيش عن ابي عمي
المخطوفين وقد احبرنا في عند عودتنا ان البنتين مفقودتان وان عمي مات حينئذ اسفا
— الى الان موته عليك الحقيقة ولكن قد حان ان تعلمها وتعرف ان سفرنا
لم يكن لتلك الغاية

ثم اغذته يده الى غرفتها وقمت خزائنها واخرجت منها اضاربة جرائد عتيقة
وقالت له اقرأ هذه الصحف فتطلع على الخبر اليقين

فتلقف هود الجرائد وطفق يقرأ مبتدئا بمحادثة لية الساخر حتى وصل الى تفصيل
بعض الاسباب السابقة لها حيث ورد ذكر الثغور بن ستغرمون وابن حميه البارون
لوران فسأل : هل يريدون بالسادون اليي — نعم قافرا الى النهاية

فلما انتهى الى توجيه التهمة بالقتل ولطف على البارون صرخ بقاب قريم :
هذا غير صحيح هذا مستحيل . ثم قوا كيف استطاع ارباب الحكومة وكيف اوقفوه في
السجن للمحاكمة فلم يتالك من شدة الحزن فارتقى بين ذراعي امه وطفق يبكي وهو
يقول : ما اشد ما كان عذابك يا ابي الحنون وابنا متعاقين على هذه الحال نحو خمس دقائق
ثم واصل القراءة ودموعه جال الجرائد حتى وصل الى استشهاد الحكمة لستغرمون
الذي كان اول من اثار الظنون عليه فقال : يا صواب صنعت بالابته ساد عن هذا الرجل
الذي لولاه ...

— لولاه لا كان ابوه قد سجن ولمسا كان الخراب قد قرا على رؤوسنا ولعل

اباك بقي الى اليوم حياً ولكن اسمك شريعاً بلا دنس

— هو شريف وليس به عيب لان اليه لم يكن مسؤولاً بشيء من هذا الخراب المشؤوم وما الحرم الا الذي سبب اتهاؤه وتوقيفه . . اه كيف تجاسرت امرأته ان تواجهني هذا الصباح

ثم اتم قراءة ختام المحاكمة ولما رأى رواية الجرائد : ان المحكمة (ابت ان تحكم عليه لعدم وجود ادلة كافية تستوجب الحكم) ارتعدت فرائضه وصرف استأنه وصرخ : ما هذا الافتراء الشنيع ويل للظالمين
— ما انت عازم ان تصنع يا ولدي

— ستعلمين يا امي ما انا صانع ساعمل وجباتي ولا افعل الا ما هو مفروض علي

❦ فصل سادس واربعمون ❦

ليلة راقصة

ما ترك آل سنترمون راحة الا قوماً لها اظهاراً لمكارم اخلاقهم ويساًة لرفعة شأنهم وابية مقامهم في الالة الباريسية ولما ترسوا في الآسة ليلي رغبة في حضور ليلة راقصة في قصرهم لم يهملوا الا احياء ليلة هو وطرب لم يسبق لها مثال دعوا اليها نخبة الالانس المندرات وابساء الشرفاء والالاء

ولما كتب سنترمون اساء المدعويين عرضها على ليونيدة لعلها اهمل احد الاصحاب فقالت له نسيت واحداً فقط وهو نسيك هويد

— كيف ندعوه وقد اعان لك جهازاً ان جميع الصلات تبقى بيننا مقطوعة
— هذا كلام عادي يقوله لاول وهلة كل من عرضت عليه المصالحة ثم يالين وسواء شئت ام ابيت لا معنى لي عن مصالحتك بل اني محتاجة اليه ومضطرة الى ان يكون لنا صديقاً

— على ما تشائين ولكن لا يمكننا ان ندعوه دون امه فما العمل
— ما لنا ولامه الان ارسل له رقعة الدعوة باسمه وحده الى المكتب وهو يصنع

كان آتية في يد امرأته لعبت به كيف شئت ، ولذا سلم عليه بترحيب عظيم
اذهل سنترمون وليونيدة معا

وفي اول صبرة نطق بها سنترمون وكاد يخاطب هوذا مخاطبة نسيب اخذه
هذا على حدة وسأله بتلطف الا يذكر شيئاً من هاته النسابة امام احد بنة لان الاحوال
تقضي بطيها كي لا تثير الحوادث المدفونة مهيجة للاشجان

فتأثر سنترمون عند ذكر القبرة الاخيرة ومد به الى صينية كأنه يمسح عنهما دمعاً
وقال : اه ما اشد على قلبي ذكرك تلك الحوادث اذ تضافت فيها الظروف تضافراً
غريباً أدى الى مصاب لم يكن ليخطر لاحد في بال ولا يبرح ذكره يهيج في صدري تأثر
الكتابة فتأسكد يا عزيزي اني مرغماً عما تبديه والدتك من الشدة والتفار حافظ لك في
قلمي ارفع مكان واراني مسدداً ان كنت استطيع ان اوثيك خدمة

— لك مني مزيد الشكر وارجوك الا ان تعود الى مؤسسة سائر المدعوين
— اعذرني يولدي لاني موقوف هاته الليلة لخدمة الاصحاب ولكن اسألك ان
تؤكد لوالدتك خالص مودتي وصادق حيي

ثم انقلب سنترمون عانداً الى المدعوين وصافح ليونيدة وهمس في اذنها قال :
بالحقيقة انه شاب اديب كامل ولقد احسنت مقابلته فلا ريب انه يكون مسروراً
فلم تبس ليونيدة ببنت شفة لانها لحت قدوم منترفيو صاعداً على السام

﴿ فصل سابع واربعون ﴾

طيفلي غير منتظر

|| اجبر سنترمون صديقه منترفيو مقبلاً هرع لاستقباله مبتهجا اما ليونيدة
فوقفت مضطربة وقد جمد الدم في عروقها وكانت تود لو يتقوض السلم فيتدهور
حدوها الالام مدفونة تحت انقاضه او لو تشقق الارض فتبتلعها اما وجه اضطرابها
فن حيث ان منترفيو كان متعباً في ذلك الشتاء في سواحل البحر المتوسط في مدينة
نيس تخلصاً من قارس الدرد في باريس فما باله قد ترك ذلك البلد المعتدل الهواء وجاء

في تلك الليلة الباردة رغمًا عن الثلج والجليد ليس لينخص عيشها ويجرحها غصص العذاب
على ان منترفو تقدم اليها جذلاً وصالحها باليد وقال لها : عفوا ياسيدي عن
تظلي الى هذه السهرة الهية دون دعوة خصومية وانما جئت لاشارككم بافراحكم
قال له سنتزمون متطلفاً : ما معنى هذا الاعتذار الست هنا في بيتك كواحد
منا ولم يكن يخطر لنا على بال انك رجعت من نيس بعد ان اخبرتنا انك تقيم فيها
كل الشتاء الى الربيع . وقالت له ليونيدة : فلو عرفنا يا عزيزنا منترفو انك اليوم في
باريس لما كنا قصرنا عن دعوتك

فاحاب منترفو : وصلت من نيس هذا المساء لاني سئمت العيشة وقد اصابي
زكام شديد ولما علمت انكم تحبون ليسة راتصة انتهرت الفرصة لتهنئتمكم
قالت ليونيدة اهلاً وسهلاً ومرحباً فالان قد تم سرورنا بحضورك . ثم تركته
وهي تقول في نفسها : هل هو صادق ياترى انه وصل تلك الليلة بطريق العرض
ام اشتم رائحة الاقتران بين ليلى وارثور فوافي لينصب اشراكه مكره

فلما دخل منترفو الى باحة الدار اجتمع فيها مركب المدعوين ابتسم بما رأى
من بديع النظام وبهاء الترتيب فاخذ ينني على سترموم وامرأة ثم حانت منه التفاتة
الى اقصى الصاعة فقال هوذا الآلة ليلى دربورف ما الطلها ما ايهاها ما اجلها ما
اظرف عيهاها فكيف لم تتزوج مدفاضطربت ليونيدة من هذه العبارة التي لم يكد يتنها
حتى قبض على يده دربوركوف وقال له ضاحكاً : ما شاء الله اهكذا نضم فتاتي
فاجابة لو عرفت انك بجانبي لكنت بالغت في المذمة هيا بنا نسلم عليها واهدي لها
سلاماً من الاميرة زامركو اطيب من الخزامى وفيها هم سائون يخرقون صفيف
الهدرات اقبل هوو . مسلماً على منترفو فتصافحا ثم قال له منترفو منذهلاً : ماذا
ارى . . هل تركت خلوتك وقصصت معاشره العالم

- قد تغفلت الكنته بدعوتي الى هذه الليلة فام اربداً من الاجابة
- ارجو ان تكون قد عدلت عن عيشتك الانفرادية السابقة
- اجل وقد رقت الان اشغالي وصرت قادراً ان اتعم بشي من لذة الحياة

— ابشرك من الان اني ساقح لك بيوت كثير من اكابر القوم فجد فيها اعظم
تسلية وهم يسرون من معاشرتك
— اني اكون لك من الشاكرين

ثم اتفقا ويناكثا يتصافحان قال دريوكوف مدمحاً الى هوب : ان السيدة
ليونيدة اسعد منا خطأ لقبوله دعوتها

فتظاهر هوب انه لم يسمعه وتقدم الى وسط الدار ليسرح الطرف بـ صفوف
التفاصيرين فشاهد ليلي ترقص مع شاب من ابناء الامرا فمرت من امامه مرتين ولم
تنتبه اليه وفي الثالثة تعارض النظران في لحظة واحدة فوقت ليلي مبهوتة واصفر
وجهها واطرقت هنية ثم استأنفت الرقص فانشرح صدر هوب لما رأى من اضطرابها
واستشف من ذلك انها لا تزال تحب اماره فنظر اليها نظرة القريب واخذ يتعادث
مع متفرجيه بشأن رحلته الى نيس ثم عادت ليلي رابعة وقطعت فيه كانها تستعطفه فلم
عليها تسليماً عادياً ورجع الى حديثه مع متفرجي كانه مهم به جداً

فلما انتهت ليلي من الرقص وجلست لتستريح تقاطر اليها عدة شبان يلتسسون
منها ان تأذن لهم بمحاصرتها فكانت تمتذرهم بان وقتها كله مأخوذ لتعهدا بالرقص
مع آخرين حينئذ تقدم اليها هوب وسألها تبساً وهل انا ايضا لا يسعدني الحظ
بان ارقص معك اقله « رقصة الجعلان »

فاحمر وجهها واخذت تتأمل في دفتر الرقص لعلها تجد رقصة غير مربوطة وكانت
في هذه الاثناء تنامي نفسها وتقول : أهذا الذي احب قلمي من حين عرفت
الحب ما هو أهذا الذي لاجله سميت ان ياتي الى باريس أهكذا يساملني بالفتور
والجفاء وقد نظر اليّ نظرة القريب والان لا علم ان جميع الرقصات مربوطة جاء
يطلب محاصرتي ليزيد في تذييي او ليهزأ بي . . . ثم رفضت رأسها وقالت له اتأسف
اني لا استطيع ان ارقص معك الا الرقصة الثاية عشرة التي لا يأتي دورها الا بعد
الساعة الرابعة بعد نصف الليل

— بكل اسف اخبرك ياسيدي اني لا استطيع السهر الى تلك الساعة

المتخاصمون الى الراحة وقام الموسيقيون لتناول بعض المرطبات فجاءت ليلى الى
حسن ليونيدة واتكأت على صدرها اتكاءً عا على صدرها فاشأز هوهر ولم يتالك
أكتئاباً فقال لتتروفيو : هيا بنا للرحيل

— الا تبقى الى اخر السهرة

— احب الي ان اذهب الان الا ان ليونيدة ناظرة الينا

— لا بأس فاذنا نعتذر اليها انا بسبب وعكة السفر وانت لاجل سهام المصرف
ثم تقدمتا الى ليونيدة قالت لهما استهزئة فحمت يا عزيزي متتروفيو انك نص من
وعكة السفر ومفتقر الى النوم فاذهب بسلام ولكن اليك ان نؤمننا من انس هوهر
قال هوهر متجسلاً : فزاً يا سيدتي فاني احب من صميم القلب حضور رقصة
الفلزان البديعة ولكن لسوء الحظ . .

قاطعت ليلى قائلة : ولكن طلبه الثعاس وعليه شغل كثير غداً . . ومع
ذلك هل نبيت يا سيدتي انك كئت في بيوتك زقص الى النجر
— ولكن يا سيدتي هل ذهبت ان بين نيوتك وباريس بحر الظلمات
— لا بل فحننا ذلك

فاندشت ليونيدة مما بين الشاين من علاقة الوداد التي لا تخفى على البصير ولبست
شاخصة البحر فيها برهة وحينئذ ادركت الخطأ الفظيع الذي ركبته قد دخلت ان ليلى
وهوهر كانتا متحباين في نيوتك ثم فترت محبتهما في باريس فكانت هي علة تدميعها
بجمع شمل الحبيبين بعد البعاد والتجافي

وفيا كانت ليونيدة تنصكر في هذا المحلت عزائمها وارقت على مقعد هنا : فصرحت
اليها ليلى واخذت يدها وقالت : روجي فذاك يا سيدتي العزيمة ماذا اصابك
— لا شيء يا بنية ولكن التعب أثر في مخارتي قواي وانشيت مفتقرة الى الراحة
— انما كنت انا سبب عنائك لانك لاجلي احيت هاهنا اليلة
— تأسكدي يا فتاتي العزيمة اني اساوكل عنا عندما اراك في بهجة وهناء
— آه ما اوفر سروري . . صدقيني اني لم اشعر فريح طول عمرى مثل فرحي

هذه الليلة وحينئذ اقبل منقربو وهو يودعها

فدنت لها يدها وهي تنظر اليها نظرة الظافرة كأنها تقول اربأيتا كيف سلبت قلب الفتاة فتعانت بحبي فلا تستطيع الى ترعاهامي سبيلاً فبئس منه إن . . .

فلما انطلقاً توسمت ليونيدة ن قلب ليلى ذهب معها فتذمرت في نفسها وكظمت غيظها واذا بزوجها ضاحكاً فاخذ يد الفتاة الى مائدة الحلويات وكان يوانسها بتكاته اللطيفة حتى دمت عينها من وفرة الضحك وسلت الكتابة التي حصلت لها من فتور هوى فاستدعت ليونيدة ابنها وسألت كيف انت والفتاة

- على غاية ما يرام من الوق والوفاء
- ألم تطارحها بعد حديث الحب والقرام
- لا لان كمال ادائها لم يدع لي سبيلاً للكلام
- عليك بها في هذه الليلة فانفرد بها بعد رقصة التزلان واكشف لها سر قلبك الوهان
- اخشى يا امي ان تقابلني بالخذلان ونسومني القهدير والهوان
- لا تنف ياولدي قد سبقتها الان واتكأت على صدري فاشربتها من الحب والحنان بما لا تقوى بعده على المقاومة في هذا الميدان
- ولحق اقول لك يا امي اني كنت غير مستكرث اليها من قبل ولم احبها الا اكراماً لك اما الان فقد اضرمت مني النيران الفراشة التي تحوم حول السراج تنتهي اخيراً بالاحترق

- هذا غاية مختاري ولا بد ان ترى في صدرها صدى هذه ارشواق
- ولكن رأيت ان لنا بعض حساد واقفين لنا فالمرصاد ألم تلاحظني شاباً اسمه هوى وديارت كان يسارقها وتسارقه النظر وكلما مرت من امامه كانت يدها ترتجف ووجهها يتورد فمن يكون ياترى ذلك الشاب المزاحم

- تلك ياولدي عادة الشبان يحومون حول الحسناء مشغوفين بمجالس القيان فاصنع ما انت صانع بامان واطمئنتان - على ما تشائين

وانطلق يمشي عن ليلى ليرقص معها رقصة التزلان فوجدتها محاصرة اباه الذي

كان يتلو عليها . من التكات ولطائف الحكايات . ما يضحك الشاكلا ب حتى انها
 لومرة الضحك ترقرت عينها . من المبراب قال لايه سابت . في راقصني وانا انت
 عنها الطك حسدتني عليها — صه ياخييت هي لك فاسناحها
 فلما اخذها بذراعها قالت له والقلب . منها طافح حبورا : . ما الطف اباك وها اوفر
 ما تدي لي امك . الحب والحنان — ان كنت امت . مسرورة فاني . مكتش
 حامدك اذ لا الت ان اراهما بمجناك . مي
 — ام جد نكلم الى هذا الخ . بي . الثاني ذلك . باب لي عما . كدوا

فصل ثامن واربعون

مكاشفة ارثور ليلي بيهامه

تأثرت ليلي . من كلام ارثور ولما ابتدأت رقصة الغزلان كانت حاضرة الجسم غائبة
 العقل ورغما عن تعاقب الرجال في محاصرتها . تلفت الى احد منهم ولم تبش . وجه
 احد لانها ملت تلك الملامهي الدنيوية وكهرت كل الرجال لدى تفكرها . بكنود
 هوب وبخيرة ارثور وقالت انهم لا يصلحون الا لتكديري

وكان جميع الراقصين مسرورين غاية السرور بتلك الرقصة الجميلة التي انتهت
 باخذ كل شاب الفتاة التي خاصرها الى اانة الطعام والشراب لاستعادة لقواها التي
 بذلوا في اتصاب الرقص . اما ارثور فاخذ ليلي بذراعها الى غرفة منفردة لا يؤذن
 للزباء بالدخول فيها وامر الخادم فأتى بطبق عليه كثير من الحلويات والاثمار فاستهجن
 هذا الانفراد لأول وهلة لكن الشاب الماها بالحديث وتلطف معها بتدريج ما طاب من
 الاثمار مشغوعا ببعض التكات المستطرفة فأنقح قلبها للفرح وشرعت ببادل لطف
 الحديث الى ان ادى بها الكلام الى معاينته في ما ابدى من الاستياء لجة والديه لها

فانتز الفرصة وقال لها اسمعي لـ اراكلك بحجة

— قل ما بدا لك

— لما رأيت والدتي قد شغمت بك سندهما باينة حتمية ووجدت هذا الحب

رداد ويا وفي والدي معاً اقتت ، امانة لا تكون علي الارمالا

— كيف ذلك اتحسني بعد علي حب والديك لي

— كلا ولكن بين لي ان امي متعها قلها ، قد ركبت خطأ شيراً لا يذهب

في سبيله صحة الا انا — انت . . ما المعنى

— اواه . من حين ا سدي الحمايم فثك كان جمالك البارح وحسبك الرائع

وكرم خلاالك كما هم عادة ، شفت فوادي الهمار ، وهل بمجمل ان بدو احد . .

هل هذه الاوصاف الفريدة دون ان يظهر مجاً

ثمجات الفتاة وتوردت منها الوجنتان الا ان كلام ارتور ادخل على قلبها تعزية

وسلوا ، وتزل عندها منزل الرضى ولو لم تكن تحبه فتأملت فيه لحظة فاذا هو غرض

الشباب جميل الصورة لطيف الحاضرة كرم الاصل قتالت في نفسها لم لا احبه

نظير هو بر الكنود وهو مقدم لي نفسه ، ساملي قلبه ولا اخلته الا صادق الود مخلصاً

على ان ارتور استأنف الحديث قال : لا ادعي ياسيدي اني وقعت مغرماً بك

كما يقع ابطال الاقاصيص الغرامية بل ايقنت انك ان داومت التردد الى بيتنا سعلت في

جائلك هواءك لا محالة

فتبسمت وسألته بلطف : افهذا التصور قد راعك وسبب اكدارك واوجاعك

— نعم لاني رأيتني سعيداً بان احب فتاة زينة اجبتها والدي ولكن لحظت انك

لا تحبيني . .

فصمت وقالت في نفسها انه بي فكيف علم ما في صدري فقال لها : ارايت

ياسيدي اني مصيب غير مخطئ .

فاشارت بما يستدل منه انها تعارضه وتخالف ظنه فقال : اعرف حق المعرفة

انك لا تكوهيني لاني اختبرتك وعرفت صافي سر برتك فاني لست في عينك الا

كرفيق صدوق تستحب معاسرة والرقص معه بل ان شئت ظلي لك ظلي صديق

— صديق ولا شاك — اما زاوية قلبك التي اشتيت ان

اتوغل فيها فهي مظنة دوني في حين احبك انا فحجة جديدة

ثم اخذ يدها وقبلها وتنهَّد الصعداء وقال : هذا الذي حرزته وكنت اخشاه
وهو الذي سيجعلني الى الابد شقيقاً . . . وقام الى جانب منضدة هناك في زاوية الغرفة
وستر وجهه بيديه وهو يردد الحشرات ويصعد الزفرات

اما هي فحنت اليه وقالت في نفسها بالحقيقة انه يجيني وليلي لا اصادف رجلاً يجيني مثله
وهل ارى حماة مثل امه التي تكاد تكون لي امّاً وهو ابن اسيرة عريقة في الشرف . . .
آه يا ربّي أفي هذه الدقيقة يتقرر امره تقبلي وسائر حياتي . . . هل اصبح هذه الفرصة
التي ربما لا يتفق لي مثلها وارفض قلب هذا الشاب لاجل رجل كنود علق به فوادي
فجفاني وتقرت منه فهجوني وجاءني الليلة ذي مستهزى . . . تكبر . . .

رفع ارثور عينيه وقد سكن به ما جاش وقال لها بهدوء : عفواً يا سيدي فاعلي
اذعجتك

— بل اشكرك على هذه الحرية فهلم اجلس فايفدك انك صددت في ١٠ لحظت
في من اني اعتبرك كصديق صدوق مخلص وقد اذهلني حبك لي كنك لم يد وئي البتة .
وقد جهلت اني كنت علة لعنائك . . . فان كان ابرك دامك يرفغان حقيقة في ان
اكون لها اذنة

فتهايل ارثور طرباً وقاطعها قائلاً : هذه غاية متحاشا

— وان كان والدي لا يبارضني فاني اكون لك عروساً

— فله درك ما اكرم اخلاقك

ثم اطلع على قدميها فانبضت سريعاً وقالت له ها بنا يعود الى حيث اهلنا
فلما نظرت ليوبدة الى هيئة ابنها ظافراً اقتنت انه اطمح سعيّاً فاستدعت ليلي اليها
فصارها في نودج المدعوين الذين اخذوا يصرفون كأنها صارت كواحدة من ارباب
البيت اما ليلي فكانت غشاة قد جللت ابصارها فاضحت لا تعي على شيء لها عينان
ولا تبصر لها اذان ولا تسمع لان عوامل المواجه كانت تتنازع افكارها وهي
ترقص عندما تتأمل في ما جرى لها وتقول قد سلمت نفسي وقددت حريقي . . .
يا الله كيف رضيت بذلك سريعاً . . . لتالي طالعاً قالت الامل بان لا اتخذ لي بعلّاً

الامن شفت به حياً
 وكانت الفتاة وهي غائصة في هذه
 الافكار تصالح الناس بالايدي وتمييزهم بالسلام كالآلة الساكنة الصماء فلما انصرف
 جميع الناس قالت ليونيدة : الحمد لله هانحن الان وحدنا فهذه نتمشى
 وكان دريوكوف قد اعيى جوعاً ولا شيء اشهى اليه من الاكل الا ليلي فاومات
 اليه بالانصراف وقالت : اشكركِ يا سبدي وارجوكِ ان تأذني لي بالذهاب لاني شاعرة
 بسبب جسمي وقد اكلت مع سيدي ارثور شيئاً فاكثفت
 فلم يسع دريوكوف الا الرموخ لربة ابنته فدفعت اليها رداءه مخملياً فتزلت به
 وودعت ستومون وحومئ وراقها ارثور الى العجبة حيث تلقف يدها ولحمها برشاقة
 فلما جرت العجبة قال الاميركي لفتاة «لعلكِ سررت بهذه السهرة» وقد تعود بعد
 الليالي الراقصة ان يراها جذلة مبهجة تردد له ذكر ما رأت وسمعت وتمدد اوصاف
 الراقصين وتضمنه الى صدرها اما هذه اليلة فاكثفت بان اجابته بكلمتين «كنت مسرورة
 للغاية» ثم انمازت الى زاوية العجبة وليست صامتة فظن ان السهر والرقص اتعباها فلم
 يسألها شيئاً ولكن شد ما كان اندهاله لما رآها عند وصولها الى القصر لم تذهب الى
 غرفة نومها بل دخلت الى صالة المساتمة فقال لها اذهبي يا حبيبتي واستريحيني
 - عندي وقت طويل للنوم بعد ٠٠٠ واحد ان ابقى معك انتمشي لاني اعرف
 انك في مثل هذه الساعة شهوة شديدة الى الطعام
 - يمكنني ان اكل وحدي ولا اتي نفسك الى الـهرومي
 - بل ابقى معك وانا اخذمك هذه الليلة لاني صرفت الخادمة الى غرفتها ولا
 ابقي ان يكون لدينا احد
 ثم جاءتة بعض المأكولات الباردة من لحم مقدود ومشوي وجبن ولبن وعسل
 فاخذت منهم الطعام التهاماً وحينئذ ذكر سواها لاهل كُنت مسرورة هذه الليلة
 - أجل يا أبت ولكن كانت النهاية غير متوقعة
 - ماذا تقولين (وحبس القصة فيه) - لم يحدث شيء . بعد فأنتم الاكل
 على مهل فهذه اقص عليك الخير . . قلب لي بحباتك الان نس من ترى انتك كنتة

شرقة

— كلامك يذهلي

— قل لي الا يسرك هذا — هل اظهر لك الامر جهاراً

— يبين ابعذك بعض الملم في الشيء — كلا بل هو مجرد حزرٍ مني لبس الا

— وما قولك — لك الحيار يابنية فاعلمي ما بدا لك

— افنهل تصدق على ذلك راصياً — ن رضىت رضىتُ فما امت الان

فتاة كبيرة وانت اميركية والمعنى ان لك ان تختاري ما تحبين بل الحرية ولا غاية لي سوى سعادتك ولكن هل اعجبك ارثور حقيقة

— اذكر انك كنت واجداً عليه من قبل فهل غيرت رايتك

— لم اغير رأيي بشيء فان الناس في اميركا انما يعيشون بالشغل ولاجل الشغل

ولا شرف لهم الا بالمال وخصوصاً بالمال الذي يربحه الرجل بوق جيبه ولذا لو خيروني

فكنت فضلت على ارثور فتىً نشيطاً كدّ وراء الرزق مثلي . . . (وأشار هنا الى هوب

مضراً) ولكن لا انكر ان في الالفه بعض الاسرار النبيلة الاصل التي يسر الانسان

بالدخول فيها . . . قالت ليلى بلهجة استهزاء تشير بذلك

الى تاج الكنتية ذي التسع الكرات . . . آما اطرفه على ظاهرها العجلات شعاراً

— على اني لا اظن انك لاجل هذا رضىت بزواج ارثور

— نعم ليس لاجل هذا فقط يا ابت — ولكن . . . هل تمبئني ياترى

— لا ولكن لا اكرهه — وهو تودعني في الافكار به

— اعانت لهُ اني افوض الامر اليك والى والديه

— ما شاء الله . . . لو قات انك تحبينه لكنت اجبتك الى مرامك بالايجاب

فوراً ولكنك اهديت لك مائة الف ليرة مهرأ واما الزواج برجل لاجل تاج الكنتية

ولا لك لا تكرهينه فذلك امر لم يكن لا تظنره منك يا ليلى

— لا تتدخل يا ابت فاعلم اني لست مدفتاة صغيرة فقد ناهت الحياء ستواله شري

ومضت ايام الشباب التي يتسلط فيها الهوى على العقل واهبيت لا ارضى من دون العقل

دليلاً وبعد التوى وجدت ان افضل الايجابات انما هي زيجاب الالف . . . والملازمة وليس

الحب الا تابعاً لها فانا احب باريس واتوق الى الاقامة فيها كل عمري والكننت سنقومون
صديق لك حمى والكننة امرأته مشغولة بي ولارثور متم ملتعب بنار هواي

— اما انت فلا تكمهينه لا تقبل هذا يا ابت فان الفتى لم
يج لي برامه الا من نحو ساعة لا غير من المستحيل اني اضطرب به على القور حباً لكن
ارى ان الحب ياتي مع الزمان بالماشوق وريداً وريداً

— فاذا لبس لي الا ان اجيب طلبه بالقبول

— اظن ان هذا الراي هو الاقرب الى الحكمة

وكان دريوكوف من قبل ميالاً الى هذا الزواج لكن قلبه لم يطاوع الى الاسراع
في بت الامر لانه يعرف من الاختبار ان الزواج السعيد انما هو الناجم عن الحب
الظاهر وما دونه لا تؤمن عقبا ولا سيما اذا كان احد الزوجين متعلقاً بهوى آخر لم
تكنه الاحوال من وصاله فسالها مستهتماً: أملك ان تندمي ولا تأسفي على شي.

— ولم التدامة وعلى اي شي. آسف ياترى

وقد فهم كل منهما بضمون تلميح الاخر حتى اغناهما عن التصريح بامم هو
الذي من شأنه وحده ان يثير ماملة الاسف في قلب الفتاة

ثم قال دريوكوف: اذا استكونين قربة للفيكنث ارثور سنقومون

— بلى ان شئت يا ابت

فذلك دريوكوف الطغام وانام الى سريره فلم يأكل الكرى بينه لتوارد الافكار
المتلفة الى مخيلته وعند الفجر نهض ودخل غرفة امته من غير استئذان خلافاً لعادته
وجاء امام سريره يتأمل ذللك الوجه البليل الذي دنا وقت الواقعة ثم قبله والعبات
تدرف من عينيه سيولاً

فصل تاسع واربعون

في الاستعلام عن ثروة سنقومون

لما خرج منة فيرون قصر سنقومون دعا وفيقه هويد الى العشاء معه فأبى بحجة

ان والدته لا تنام ما لم يرجع فرض عليه ان يأخذ بهجته فاستد بانة يوثر المشي
قال في منترفيو : ارى الحق معك فان المشي بحد الانحصار الطويل في المرقص
ضروري لاستنشاق الهواء التي ثم اخذه بذرعه وتشميا هنية يتبادلان الحديث وكان
فرض منترفيو من هذه الصعبة ان يكشف بعض اسراره ويسبر غور افكاره لكنه رأى
فيه رجلاً حازماً رصيناً وما زال يتقله من حديث الى اخر حتى بلغ الى الكلام عن آل
سنقومون فاستدح هوب من لطفهم ولم يبد نحوهم اكثر اننا فرض منترفيو بذكر ادور
بالسوء فامتعض هوب وتظاهر بالاندهاش من غاية هذا الحديث ولا سيما حين قوله انه
كان معانقاً ليلي باثنا الحاضرة

فلما رأى منترفيو انه لا يستفيد منه شيئاً اجل البحث في ذلك الى فرصة اخرى
وودع صديقه وذهب يقول : هو ثابت الجأش بعيد الغور ولكن لا بد ان اقف غداً على ما
اروم منه . ولما انتهى الى غرفته رأى على المنضدة كتاباً من ايريني ديونسكي تقول فيه
« لا شيء جديد فان الوالد يزداد من يوم الى يوم نفوراً والفتاة راغبة في هجر باريس .
متى اراك ياتى . »
« ايريني »

فغضب منترفيو وقال : تريد ان تهجر باريس ولكن مهلاً فان لنا بها حاجة ويمكننا
توقيها عن السفر ما شئنا حتى نترك المرام وهو غير بعيد الحصول ولا يقف في وجهنا
الان خير فرنسيس فاني اتى هذا الشاب وكيف اغرم بحب ماينا لكن نصبنا له شركاً
فلا بد له من السقوط فيه فتخلص منه . اما هوب فكيف الخلاص منه واباعده عن
ليلي فهو قدير ولا نستطيع الى الوصول اليه سيلاً فلا نغلبه الا بالحيلة . . . اه لو عرفت
على الاقل ما يطوي من الافكار وفي ضحوة اليوم التالي انطلق الى
المصرف وصعد الى غرفة هوب تراً فانبأ البواب بانة غائب

- | | |
|--------------------|---------------------------------|
| — في اية ساعة يعود | — هو غائب ولا احد يعلم متى يعود |
| — أهو خارج باريس | — نعم ياسيدي |
| — ساوفيه غداً | — لا اظنه راجعاً غداً |
| — الى اين سافر | — سل فاتبه فينيذك |

فلما استعلم من نائب المدير اخبره بان هوبر قد خاب رئيس المصرف في نيويورك
تلقائياً بأنه مسافر لقضاء بعض مهام اهلية تضطره الى التيب اياماً فورد له الجواب
أذناً أنه بان يصنع ما شاء فوافي هذا الصباح وبعد زيب الاشغال سافر

— الى اين ياترى — لا اعلم

— هذا مستحيل — بشر في لا اعلم

— وار طرأت مشكلة ورغبت في استشارته فكيف العمل

— استعلم عن مقامه من امه التي تعرف وحدها اين يكون يوماً فيوماً

فتحير مترفيو ميهوتا من هذا السفر الفجائي وكان يشتهي ان يعلم وجهته لكنه لم يكن
يعرف والدته فلم يتجرأ على سؤلها فحمل يصرّب اخماساً بامداس وهو يفكر في هذا
السفر ويقول ما عسى ان تكون غايته . . . ولعله يطول عدة ايام حتى اكون قضيت كل
المرام ونفذ مني سيف الانتقام

وفيا هو غائص في لجة الافكار واذا بدريوكوف قد اقبل وهو يقول باعلى صوته:

كيف سافر المسيو هوبر بجنة ولم يعلم احداً . امس في الليل كان معاً ولم نجبرنا عن هذا
السفر شيئاً . . . هو فاكاته في الحال

قال له نائب المدير : هات المکتوب ونحن نرسله على القود الى مكانه

— اكر قل لي اين هو الان فنامم للنائب ولم يجواباً قال مترفيو

اظنه سافر الى لندن ولا يلبث الا بضعة ايام ثم يقدم الى همبرج للبحث في شأن القضية
المتركة في صناديق اوربا وهذه المسائل شاغلة الآن مصرف نيويورك

فقل هذا التفيق مقل التصديق لدى دريوكوف فقال للنائب متأسفاً : لا اظنه

يعود قبل خمسة عشر يوماً وانا في حاجة اليه الان فما العمل

— اني طوع اشارتك فربما تشاء اني اقوم مقام صديقك هوبر الذي اوصاني

خصوصاً ان اهم بشأنك واجري لك كل رعاية

فالتفت الى مترفيو كأنه يتحذر منه فقال له هذا هل لديك سر لا تحب ان

تبوح به لي فاطماني من هنا

لا بل حضورك مفيد بشرط ان تعدي بكم السر وقد طالما ابدت لي الصداقة
والاخلاص - غاية الصداقة ومنتهى الاخلاص

وانا اترقب الفرصة التي تمكنني ان ابرهن لك عنهما

- هل تقسم لي بشرفك انك لا تبوح بما انا قادم الى هنا بشأنه

- اقسم لك فالتفت دريوكوف الى نائب السيد

وقال اسألك خدمة يسيرة است انساها ولو كان - وبه هنا لا كان يتردد في قضائها

- اني طوع اشارتك فسل ما تشاء - احب الوقوف على مقام احد عملائكم

من حيث ثروته - يظهر انك تهب ان تعرضه مالا

- قل ما تريد فادجوك ان تعرفني احوال آل سنغرون الالية

- هم اغنياء وسرون

- هذا معلوم ولكن احب ان اعرف ثروتهم بالتدقيق

- يمكنك ان تعرضهم خمسة ملايين - هذا لا يفيدني شيئاً وانا ارجب في

الوقوف على مقدار ثروتهم الحقيقية تماماً ولو كان هو في باريس لاطلعتني على حسابه

لا محالة وانا في حاجة الى ذلك الان ولا يمكنني الانتظار

- اطمنن بالآ وانا اوقسك على ما تريد فان للكنت عدة نحو مليونين وستين

الف فرنك ما عدا قصرها المشهور والكنت سنغرون يملك ثلاثة ملايين فرنك

-- لا اشك بكلامك يا عزيزي ولكن احب ان ارى بسني هذا الحساب في

الاستاذ وقد قلت اني لا انسى تعب من يخدمني فربان اراه لحظة وكفى فاستدعى

النائب احد الكتاب وسأله ان ياتي بالاستاذ ليطلع دريوكوف على صورة حسابه

فشكر له دريوكوف عند ذهاب الكتاب وسأله عن موضع الثلاثة الملايين التي

نخص سنغرون -- هي من مال عمة له وقد حبستها

وفقاً على ولده وهو لا يتناول الان الا دسها وكان قوله هذا صحيحاً الا انه خلط

بين ولده ارثور وبين ابنتيه الخطوطين لانه لم يكن يعرف القصة اما مترفيو المطلع على

جلية الامر فلم يخطئه بل اشار بالايجاب كان القول هو عين الصواب

وفي هذه الاثناء جاء الكاتب بالاستاذ ثم انصرف ظمًا وقع بهرره على الحساب
تهلل مبتهجا وقال في نفسه بالحقيقة ان حب ارثود اللبي هو صادر ولم يعرف في
خطبتها طمعا بالمال . ثم سأل أليس من معارضة في سحب هذا المال
ب - ولا معارضة البتة - اليسوا بديونين ياترى

- سل المسيو منصرفو فهو بذلك ادرى مني
فاجاب هذا عند التفات دروكوف اليه : لا يخفى الامر من بعض ديون ولاسيا
القي ارثود - لكن لا اظنها وافرة

- لا يمكن معرفة ذلك بالتدقيق الا بالاستعلام عنه من اصحاب الخازن في المدينة
حيث يشتري الملابس والحف وغيرها

- ألا تعرف ذلك بالتقريب - هب انه مديون بعشرين او بخمسين
وعشرين الف ليرة فيكون هذا الدين مقاربًا لثمن القصر فتكون ثروتهما خمسة ملايين
تامة فيمكنك بكل راحة ان تقرضه ما تشاء من المال

- اشكرك يا عزيزي غاية الشكر واكرار الجاء بحفظ السر
- كن مطمئنًا قد وعدتك ولاحت على اني ارجوك ان لا تبوح لاحد
ايضًا بما اخبرتك

قام دروكوف منشرح الصدر وودعهما مسدًا لها جزييل الشكر

﴿ فصل خمسون ﴾

عند الخطبة

كان من عادة ليلي انها في اليوم التالي لليالي الواقعة تقوم مقترنة الثغر
مشرحة الصدر اءا في ذلك اليوم بدلية ستقدمون فنهضت من سريرها بمتعة السمحة
معبسة الوجه منتبضة القال لكنها لا شاهدت اباهما بشت فيه وعانته بحب وقالت له :
اريد يا ابت ان لا تفارقني قبل سنة - على ما تريدن ولكن ان شاء بطاك

- ا شاء الله وهل يكون لزوجي ارادة غير ارادتي

- يظهر انك عوت عليه وبت في عزمك
- ولولا ذلك لما كنت كلمتك بهذا الشأن ما لم يكن لديك مانع . على انك لا تظهر لآل سترمون شيئاً قبل ان يخطبوني منك رسمياً
- قد جاءني ان كنت سترمون خاطبك لك هذا الصباح
- لم هاته السرعة ياترى . . . ولكن بعد اعلان ارثور لم يبق للابطاء سبيل . . . وماذا كان جوابك
- اجبت ان هذا الامر منوط بك ووعدته بمخاطبتك لاجل تعيين موعد الزفاف
- بما ان الامر قد تقدر فالتحليل بالزفاف اولى
- ولكن قبل اصطاء آمو جواب وجبت من الصواب ان انقب عن ثروة آل سترمون
- لاطلع على كتبها بالتدقيق لارى هل ارثور راغب فيك عن حب طاهر او عن طمع بالمال اذ قد انتهت الي بعض رسائل منغلة التوقيع طمناً على آل سترمون وتضعهم احوالهم المالية
- ما اكثر المبغضين قد وصلني مثل هذه الرسائل فله اعبأ بها لانه الثامين والحسودين كثيرين
- وانا كذلك لم اكثرت اليها ولكن الواجبات تضطرني ان ابحت وادقق لكل في الروايات خبائياً فوجدت ان آل سترمون يتكون خمسة ملايين فرنك
- وكيف عرفت ذلك
- بواسطة المصرف الاميركي
- هل عرف هو برامك
- واين كان هو برامه سافر هذا الصباح الى مكان مجهول لم يعلم به احد احق انه حادثني بالامس ملياً ولم يخبرني بشيء عن سفره القباية
- فتهدت النساء وقد اضطرب ابوها وقال لها . يظهر انك ناقة عليه مثلي
- آه يا ابت ان هو برام كود كافر مجملتك وقد امس اليها بهجرتا في باريس بعد ان اشربنا حنة في اميركا . افما كان اولى له ان يعرف جميل الحسن ابيه . . . لو لا يعلم انك بسعيك لدى مدير المصرف الاكبر قد ارتقت الى هذا لتصب الرفيع لكن لا بدع فان الانسان مفطور على الايمان وانكار الاعمال — يجب ان نفسه كأنه لم يكن

— الضرورة تقضي عليّ بأن أحوّ ذكره من قلبي

قالت هذا واضلقت الى غرفتها وطلعت تبكي ثم اخذت صورة هوبر وهو شاب
ابن اثنين وعشرين سنة وبعد ان بلتها بالعبرات اقتها في مستوقد النار وجثت
امامها تنظر الى احتراقها ولبث شاخصة البصر فيها حتى صارت دماداً فاصعدت
الزفوات ثم قامت وقد كفت العبرات وقالت قد قضي الامر فادسف على ما
قات من اكبر الحسرات

ولم يرسل دريوكوف جوابه النهائي عن قبول الخطبة الا بعد يومين — هما
آل سنترمون شهرين بل دهرين وقد تنازحتهم في اثناهما عوامل القلق والشك
والرعب والياس حتى جاء الكتاب المأثور فتفي عن القلوب النهم والكدور وهذا نصه
الى ليوبيدة :

« ايها الكتبة النبيلة

« تفضلي ان شئت ان تقولي لابنك المسيو ارثور ان له منذ الان على مائدتنا
كرساً خاصاً به دائماً وقد ترجعتي ابنتي ان اضيف الى ذلك انها تكون سيدة
الحظ اذا تكومت بان تراقبيه مع الكت سترمون . فارجوكم يا سيدتي العزينة ان
تقبلي انت وسائر اهلك خالص احترامنا ومودتنا غريكووي دريوكوف »

فطارت ليوبيدة فرحاً عند تلاوة هذا الكتاب اما ارثور فما كان لسر من عبارته
الناشقة لانه لم ير بين خضعايف سطوره لذكر الحب اثرًا قالت له امه : ما يكفيك
انها رضيت بك بعلًا فاذا تروم منها — اروم ان تنرم بي حباً ولا اتوسم
فيها الا راغبة في تاج الامارة كأنها ترضي عروسا عن حبلي بل طمعا بان تكون اميرة
— قل ما تشاء فهي الان خطيبك فتتلف بها ما استطعت فتسجلها الى حبك

سرياً لان البنات بالعاشرة يملن مع الهوى ويحببن كل الشباب

وفي عصر ذلك اليوم اخذ دريوكوف ابنته الى بيت خطيبها فاستقبلتها امه بترحاب
جزيل وعانقتها امداً طويلاً ثم سلمت على الكت سترمون قبل جئتها اليق وصافحت
ارثور باليد التي لهما وهو يقول في نفسه لهما تحبهما اكثر من حبها لي على انها لا طقت

وشكرته على اهدائه اليها طاعة الازهار البديعة ضحوة النهار حينه دون ان تفوه بكلمة حب واحدة

وكان سترمون يود ان يخبر ارثور بخطيبته ساعة فجر الحديث الى الامور المالية المتعلقة بالصداق والجهاز وما اشبه فنهضت ليلى وقالت : « لا احب استماع هذا الحديث » فقال ارثور ولا انا كذلك لان ذكر المال يزعجني والظاهر اننا كلينا نختاره ففما الاتفاق

ثم اطلقا الى غرفة اخرى يتبادلان لطيف الحديث اما سترمون فافهم دريوكوف في جملة الكلام انه يملك خمسة ملايين فرنك وانه ينقص منها لابنه بداية ذي بدء ما يوتي من الربح خمسة وعشرين الف فرنك فمال دريوكوف لا حاجة الى شيء البتة فان تصرفنا مجهز بكل ما يلزم من الاثاث والرياش فاني اخصصه لابنتي مع ثلثة ملايين فرنك لا يزل ريسها عن مائة الف فرنك سنويا

فهلكت ليونيدة مع زوجها ولم يتانكا من شدة السرور واقبلا على دريوكوف يشكرانه ويمدحان كرم اخلاقه ثم قامت لترى الخطيبين وكانت تود ان تشاهد هما على مقعد واحد متقاربين يدها بيده ووجهها ازاء وجهه فانهضت لما ابصرتهما متباعدين كل منهما على مقعد منفرد متأدبين مدار حديثهما على الحلى والحجارة الكريمة فلما وقع نظر ليلى عليها نهضت مقبلة اليها كأنها تريد سبلا الى التخلص من هذا الانفراد فلما دخلت ليلى الى حمرة الاجتماع التفتت ليونيدة الى ارثور فوجدته مقطباً عابس الوجه فهزمت اليه لتسليه قائلة : هنيئاً لك فان حماك خصص لفتاته الان ثلثة ملايين والقصر بما فيه مع البحلات والحيل وسيتلو ذلك ثمانية ملايين اخرى وبعد رجوع دريوكوف وفتاته الى القصر قضى آل سترمون ساعة ذاقا فيها سروراً احدى من المثل بما علوه من طيب الامل من جراء هذا الزواج ثم قال انكنت لابنه ما احسن حظك يا ولدي فما قد بنينا لك صرح مستقبل فريداً وسيأتي يوم تكون فيه رب عشرين مليوناً

فاجاب ارثور مبتسماً : ولولا ذلك لما كنت راضيت بالاقتران منذ الان

﴿فصل حادي وخمسون﴾

اتفاق غريب

بعد ان تردد فرنسيس طويلاً في قبول خدمة دريوكوف رضي بها أخيراً وكتب اليه تذكرة يوجوه فيها ان يتغض؛ بلواجهته في بيته لا يرام العهد بينهما بئساً ويعتذر منه عن جرأته على استدعائه الى بيته عوضاً عن الذهاب بنفسه اليه بان لديه سرّاً لا يريد اطلاق احد عليه

فسر دريوكوف من هذا الاتفاق الغريب لانه كان محتاراً في امره ومفتقراً الى من يقوم مقامه في حقوله باميركا لان عرس ليلي كان يضطره الى البقاء في باريس اشهرًا عديدة فرجع الى بيت فرنسيس ولا اطل الى حديثه انذهل لمشاهدة زفيرو ممثلاً فيها وفي يده سيكارة يدخن بها فتعارض البصران واضطربا كلاهما ثم سكن جأشهما قال دريوكوف لفرنسيس مشيراً الى زفيرو الطلح في حاجة الى شهود — لا ياسيدي ولكن زفيرو ليس غريباً بل سيناله نصيب من اتفاقنا فلم الى صاعة الاستقبال نتناوض على انفراد وقد هيأت ورقتي العهد فلا ينقصهما الا التوقيع ولكن قبل كل شيء ارجوك شيئاً واحداً وهو كتم السر بشأن ما نحن صانعون سواء ابرمنا العهد ام نقضناه

— سنحفظ السر ولكن من السخيل كتمه وقد جاء في المثل (كل سرّ جاوز الاثنين شاع) — لسنا انا وزفيرو الا شخصاً واحداً

فتبسم دريوكوف وقال : «فهمت سر المسألة فاهنتك يا عزيزي فرنسيس فان الانسة ماينا بارعة الجمال فريدة الكمال» فتورد وجه فرنسيس وقال : لاجل هذا السبب نفسه سالتك كتم السر عن اي كان لثلاثائني سرّ قبل انجاز اشغالي

— اعنك بالسرقات الان ما عندك من الشروط لقبول خدمتي — شيئاً واحداً اسالك وهو ان يكون لي الحق بانتخاب معاون لي في ادارة مهامك وقد اخترته منذ الان وهو صديقي زفيرو ككاتبتي نو لانا لا نستطيع ان نفترق البتة

فتناول دريوكوف ورقة القائلة وجعل يقرأها متظاهراً بتدقيق النظر فيها لكنه كان في الحقيقة يفكر في زيرو ويساجي نفسه قائلاً: كيف اقبل في بيتي الرجل الوحيد الذي يمكنه ان يعرف اصلي وفصلي ولكن اظنه لم يعرفني ولا دال للوصول الى معرفتي . . بل بالعكس ان رفضت قبوله دون عذر مقبول اشأت الرببة والظلمون وان ساقط القد الى معرفتي اداع امري بن الملا وحال دون سعادة ليبي . فالاولى ان ارضى به فيكون مسروراً ويظل دائماً في قبضة يدي فضلاً ان اتي بها الوسيلة ابعده عن فرنسا وعن ابنتي . فمن الجنون ان ارفضه . .

ثم حول نظره الى زيرو الذي كان ينظر الجواب مرتجفاً وقال له : تهياً للسمر واطرح مهنتك المهيضة ثم وقه الورقة مبتهجا وقدم الوردة الاخرى مع القلم الى فونسيس فوقها فلما وقفت عين دريوكوف على توقيع والدهش وسأله : أهكذا توقيعك دائماً (فونسيس) لا غير اسم بلا كنية ولا لقب فتغير لون الشاب وتلعثم ثم اجاب باضطراب : ليس لي غير هذا الاسم فلم يكتب دريوكوف بهذا الجواب بل جعل يقات طرفة تارة فهو الشاب وطرد الى توقيع وتواردت الى خاطره عدة اسئلة كان يجب القاءها عليه لولا حضور وفديرو وكان يود لو يسأله من اميه وامه لكنه اكتفى بسؤاله (كم عمرك)

— ثلثين سنة

— انت ادخ في امان الاسباب وهذا احسن العمر للشغل واسمي والاكتئاب قال هذا لكي يخفي ما تنازعه من عوامل الاضطراب وان عـد نظره الى فونسيس قد تذكر امرأ مرتسماً في مخيلته مد امد جيد واثار في صدره اشجان ذكر اليم في غابر حياته لانه فضل لما حدث له لما كان وتياً حقيباً في بيوريه باسم (غريك بوك) اذ دخل ليلة الى بيت سكران وحمل بيديه طرفة واحدة وضرب به امة وقال في نفسه لو كان ابني في قيد الحياة لكان عمره الان اثنين مئة مئة فونسيس ولكن شاة ايضا اشقر الشعر ازرق العينين على شكل عيني امه

ولما راي دريوكوف انه لا يتالك قلقاً واضطراباً اثر الاصحاف مودع فونسيس

وزفيره وقال لها سنأتي هاته الليلة في الملب ان شاء الله . ثم خرج وسار به
 العجسة تذهب الطريق وهو لا يمي شيئاً عما اتعد بضع دقائق ماد الى نفسه وقال
 بالحقيقة اب محنون تصور مثل هذه الافكار . ما الذي دفعني الى الظن
 بامكان وفه ولدي العل ذلك لشقرة مره وزدقة عيده ولكن كم من الوف من
 الشباب الشمر الزرق ما ل الشئب هنا لا افكر الا . ومع ذلك لا انكر اني من
 حير نظر اء ص . اء ووسمت به واحبته لما معنى هذه العواطف البديية . . وفي
 ص . اء يكون هذا واءى فكيف اسمح ان يه ص للاحطار كل ليلة . انا صاحب
 الله اطره المنطوق . . الما . .

وكان الرء بفراخ من النفي والتصديق في كل مسافة الطريق حتى ربح احيداً الله
 قد يمكن ان يكون له داء . . عة مدنتين متوالية فار يقف له على اثر ولم يستطع
 على موته شي . وعزم على الاستقصاء عنه لئلا تادة التحقيق

فلما كان المساء ذهب دروكوف مع سترمون الى الملب الجديد فاشهدا منقويو
 في مخدعه هادج . . اء اءه ولكن على سمته صفرة الموت بعد ان دخلت ماينسا
 واوها الى الله . . هز دروكوف الرصة ليذهب الى فر . اس ونكلمه على انفراد
 رواه في الاسمال يمز . . لا احرا الما هاءا مما يزد التودد ثم جذب دروكوف
 الى ذابوة وقال له . في كلام اقوله لك في خاوة

— فهل هء شي جديد

— لا ولكن اربء . . هي عليك بعض اءاءة

— باي شأن ياترى — شأن عائنتك

— شأن خطيبي وايبا — لا لافلتت بمحلاً وعدي بشأنهما

وانى احقق انكم تدومو . . عدي طوبلاً ولما هذا احب ان اعرفك حق المعرفة
 واء لك اولاً . واء اء واءا . .

— عن والدي دمال . . ولكن اى . . اءل له في شئنا

— لاني اظن اني اعرفك فهل لك ان تنيفني عنه

— لا يأسدي من المستحيل ان تكون عرفت

ومما يقول هذا، دلائل الاضطراب والقلق على وجهه لآخه جاء احد خدمه الملب يدعو الى اللعب لان دوره قد جاء والناس بانتظار فافترجت كزبته فخلصه من الجواب واعتذر الى الاميركي وهرع الى الملب بعد ان ضرب بينهما وعدتحة الحديث بهذا المعنى الى ما بعد التمثيل

اما د. بوكوف فاشتد اعتناؤه بظنه وقال في نفسه : لماذا اضطرب لا سألته عن ايه فلا بد ان اقف اليوم على جلبة الامر . آما رب متى ينتهي التمثيل . . . وان صح ان يكون ولدي فكيف يطاوعني قلبي ان ادعه لليلة هدفاً لخطر الملب

فلما عاد فرنسيس الى الاسطبل رأى الخيل قد ابطرت . اعشب الربيع فشست وصحت حتى استطاع الساسة الى تسكينها سبيلاً

ويتنا كان فرنسيس يتماهد الخيل ويلاطفها وهي تنفر على خلاف عادتها سمع من اقصى الاسطبل صوت ليريني ديمونسكي يقول : ادى الخيل اليلة هانجة فحذار منها فلم يكثرث اليها بل قال اني ادرى منك بخيلي فاجابته : اسلم لك هذه الدراية ولكن لو كنت اياك لا لعبت بها هذه اليلة

فازدري فرنسيس كلامها الذي لم تقفه الا لتندأ عنها الشبهات اذا حدثت بعض الملمات وساق الحياذ الى الميدان وجعل ياتي غرائب الالاب على ظهورها من قفز ورقص ووقوف وقعود حتى ادهش جميع الحاضرين ولا سيما لدى شاهدهم اقتداءه على اخضاعها وهي نافة ما عدا دريوكوف فكان قلبه مفتق عند كل حركة ويود لو تنتهي الالاب في الحال

وفي منتصف اللعب يتنا كان كل الناس سكارى من نشوة السرور اذ ش. . الحصان الاسبغ وانتصب على قائميه كبح لا يمكن الفارس ان يظهره اما فرنسيس فتعلق بناصيته وجذبه بذبا غنياً حتى ارتقى الحصان على ظهوره وتوارى الفارس تحته فلا الصباح والجلبه رهول الخلق الى الميدان وبينهم دريوكوف الذي تولاه النعم الشديد فتقدم الى الحصان وشده بقائمه يد حديدية فانهمضوا قائماً وظهر فرنسيس تحته مغراً بالتراب

كجثة لا حراك لها ممثا بجانب صدره وبكى كالاطفال و بان بلزانه و فيرو فالتدى به
 وطلق يندب حظ فتاته ثم نادى كلاما على انها به ونقله الى خارج الميدان للاعتناء بامر
 وكان منصرفه ينظر مع بعض اصحابه فاعرب امامهم عن انذهاله من عمل
 دريوكوف فانه يلوئه وهو غني كبير على اغاثه وحمل فقى حثير وقال له انه لاحظ
 من بعض ايام ان اخلاق فزا، بس قد تغيرت وجعل يسامل خيائه بالضرب والحشونة
 بوض التاطف واللين فدت الى هذا الحادث المريع
 بعد انقطاع الالصاب . مع ساعوقة . مسدود الملب في صدره واطن ان
 الحادث ليس بدي مال وان التمثيل يستأهب بالحال

فصل ثان وخمسون

في معالجة فرانسيس

ما كاد مدير الملب بطن باستئناف التمثيل الا وفدت الى الميدان البريفي ديونسكي
 فاستقبلها الجمهور بالتصديقه والتهايل اما ستمون قدام من مخدعه لستلم من صحة
 القارس و كان يرتجف مضطربا كما لو كانت له يد في هائه المصيبة او كان دودة ضحية
 وخزنة من اشتراكه في تسبيحها فصادف دريوكوف خارجا من غرفة الجريج فسأله
 عنه فاجابه : هو على آخر رمق — اذن لم يمض
 — لا يزال يتهـمـ والحمد لله . رجوك يا عزيزي ان لا تنحدر اليي بهذا الخطر
 — بل أنبها بحدوث سطة عادية . . . فاذا رجى شفاؤه
 — لا يدرح غائبا عن الرشد فالامل بالله وحده . . . وساجي . . . حينئذ من
 الزمان لان محنتي تحبني جدا

ثم ودعه فساد ستره ون وقد داخله شيء من الحبل

كان القارس مطروحا على . . . منة . . . وحولة طبيبسان استدعيا على الفور

وزفيرو يدرف العبرات . سامتا . وابنته ماينا تبكي في زاوية كالاولاد

وبعد فحص الطبيب . وجدوا اضلاعه متعوجة وعظامه متكسرة فحكما بوجوب نقله

الى المستشفى سريعاً ووضع في قالب من الجبس جبراً لعضاه فشرعاً بهضمدان بعض
جراحه ويستعملان بعض الادوية لانعاشه حتى جاءت عجلة المرضى اللدية وعليها معاون
طبيب المستشفى فسلماه المريض واطلقا فقتل الى العجالة وركب معه

اما زفيرو فلما سمع بذكر المستشفى تأوه متهدداً لا اشتبهت به المستشفيات بقلة
العناية بالمرضى ولاسيا القراء الراء وسأل الطبيب ان ينقل الجريح الى بيته فأبى بحجة
انه ضيق لا تمكن فيه العناية والمعالجة فالتفت ماينا ان تراهه كاخت له تتخذ
فرفض طلبها على ان دريوكوف قد طيب خاطرهما ووعدهما بعمل كل ما يؤوا الى راحت
فلما سارت العجالة بعض خطى هرع دريوكوف وتسلق عليها وجلس بجانب
الحوذي وعندما وصلا الى منفق المستشفى اراد ان يفتح الحوذي بالانطلاق الى قصره
فأبى بحجة ان الطبيب امره ولا يستطيع مخافته فأدى له ديناراً قضى على بصره
فحاول من طريق المستشفى ولم يلبث ان اوقف العجلة امام قدر دريوكوف فغضب
عليه الطبيب وشتمه وظنه سكران فتقدم اليه دريوكوف وعبس في وجهه وقال : ألبس
هذا القصر افضل من المستشفى وهل يرسل المريض الى المستشفى رغماً عنه ما دم لم تبت
وقبل ان ينتظر دريوكوف جواب الطبيب امر خدته ان يدفعوا المريض الى

صاعة فسيحط ويوضع في سرير جديد وتتخذ كل الوسائل اللازمة للعناية به

فلما استقر المريض على سريره اراد الطبيب الا انصرف فعارضه دريوكوف فوعده
بالرجوع صباحاً فترجاه ان يرسل معاوناً غيره يسهر على العايل كل الليل حتى اذا
جاء الصباح استدعى استاذاه الاكبر مع اثنين من مهرة الجراحين واخبره انه مستعد
لدفع اجرة الجميع كما لو كانوا يهودونه هو نفسه

فلما امسى دريوكوف وحده تقدم الى فرنسيس وجعل يتفوس فيه متوجعاً لمصابه
واذ وقت عينه على اثر جرحه وتندمل عند صدغه الايمن ذكر حينئذ ان ابنه كان قد
اصابه في ذلك الموضع جرح ثخين ، جاء ضربة افاه بها ذات ليله وهو سكران ففوت
العبرات من عينيه غواً لكنه سمحها حالاً نبي لا يلاحظ الحاله بشيء من هذا الخنو
العجيب نحو هذا العليل التريب

وما مدى نصف ساعة ، جاء معاون طبيب آخر قص عليه الاميركي خبر السقطه
 تمصلا ثم تركه مع الطبيب . ومع فكر في طرقة يستقبل بها ليلي وكان لا يريد ان
 يذهب ، فنزل الجريح الى الممرس . يقف على افكارها ويستقبل عواطفها الى رايه ولذا
 اخذ يمشي في الهليلج حتى اذا وصلت ليلي استقبلها قبل الحدم وفيها هو يفكر في هذا
 اد وقت عجة فاهرع الى الباب وفتحها له عليه آل سترمون الذين جاؤوا مع
 الي وسألوه عن فرئيس الذي ظنوه في المستشفى فاجبرهم ان الامل ضعيف بشافته
 ثم ردهم واخذ ليلي مدها الى غرفها وهو يظهر لها اللطف والتعجب كمادته وهي
 تدي له الاسف على سقوط ذلك المسكين الذي كانت تتسأله لبلاؤه وتكثر السؤال
 عنه فقال لها عجبا لم ذا الاهتمام والتعري

— كيف لا انا مديونة له بانه تعني بترك حصان شمس كدت اشتره وقدم
 لي رسا ايس افند . انه فونلا عن انه صار كواحد منا لارتباطه ملك بخدمة
 حقولك يا اميركا

فتعجب دريوكوف بهذا الكلام وفص عليها خبر السقطه وكيف احتمله مع
 زهيريو الى مخدعه وما الى الاطباء . انه وكيف امروا باخذه الى مستشفى فمارضته
 حينئذ وقالت له كيف . انه ياخذونه الى المستشفى وعندنا في القصر عدة غرف مهيئة
 لا يسكنها احد فقال لها : اذن لو كنت معي لكنت ترعين في زبله الى قصرنا

— بلا شك لانه احرى له مثل هذا المصاب وهو في خدمتنا لما كنا تردنا
 عن العناية به في بيتنا

— لكن الاتهين ما وراء هذا الصل من الاستهجان لدى الالة الباريسية
 — وماذا يهنا ما يؤلفه عنا الناس فهل يحسن ان نستحي منهم في عمل الواجب
 المفروض علينا

فتنثر دريوكوف لغاية ثم ضم انثاء الى صدره وعانقتها طويلا وقال لها قد
 حسببت هذا الحساب وحزرت بان قلبك الشريف لا بأذن الخياد عن عمل الواجب
 اكراهك انما ، وان صدمته . ما كنت تشتهين وجئت بالعليل الى قصرى وهو الان في

الصاعة الداخلية ولديه طبيب . ففتح قلب الفتاة سروراً وقالت لايها : الان ايجت فوادي ولكن ساعني منك امر واحد وهو ارقياك في صدق مبادئي واجتهادك في عدم اطلاعي على هذا الامر الا بعد اعدادي اليه فهيأ بنا لتعود ضمنا فلما لحت ليلي وجه فرنسيس مرضوفاً محطماً شقت متأوهة فاسكتها الطبيب لانه شعر بدنو عليه من الافاقة وقد حزنه جثية وسرح طرقة يسيراً بين ليلي ودروكوف ثم اطبعتها فالتى الطبيب على شفتيه قطرة من الكنيك فلفظ كلمة واحدة متعطلة :
مايا . . مايا

ثم فتح عينيه ثانية واراد ان يتكلم فلم يقدر فاشار عليه الطبيب ان يعضهما وينام وطلب الى الاب وابنته ان يجزبا من الترفة كي لا يشوشاه لان له في النوم راحة عظيمة قالت ليلي لايها وهي خارجة : يظهر انه يجب مايا كثيراً فهل كانت في الملعب هاته الليلة

— نعم ولكن خارت قواها من شدة الاسف واوشكت ان يضي عليها فاحتملها ابوها الى غرفتها قبل ان نقل فرنسيس الى الهجلة
فاخذت ليلي رقعة وكتبت فيها الى ماينا ما يأتي :
« عزيزتي »

« ان اعظم تزية لك على ما اظن هو ان اخبرك ان اول كلمة طلق بها المسير فرنسيس بعد اغمائه كانت اسمك . وقد سر والدي ان يثقله الى قصرنا وفيه تربته في اول فرصة ياذن فيها الاطباء بمواجهته . وتأسكدي يا عزيزتي ان مودتك الناشئة حديثاً في قلبي قد تضاعفت الان بالمصاب الذي حل بك وشا طرقت فيه قصبيري ليلي دروكوف »

ثم دفعت ليلي الرقعة الى ايها ليرسلها الى ماينا سرياً فلما قرأها تلوّن وجهه ورأى انه بقله فرنسيس الى قصره اصبح مضطراً ان يقيم ابواه الى زفيرو وماينا اي الى مخرج ولاعبة على الحبل قال لابنته : ألا تخافين يا ليلي
— ماذا اخاف يا ابنت

— ان تستهجن اسرة خطيبك هذا العمل
— ليست هذه الفتاة ماينا حاقلة ادية — على جانب عظيم من التقبل
والاداب — فاذا كيف يستهجنون هذا العمل

العمل آل سنترمون قساة القلوب الى هذا الحد . حاشى وهب انهم يستهجنونه فانا
راضية عنه . سرودة به جداً فليقل الناس ما شاؤوا

ولم تتبع ليلى في ذلك الا ميل قلبها اللطيف الذي نشرب حب ماينا بدياً اما
الباريسيون المتشوقون الى الاخبار الجديدة قد اصبحت مسألة فرنسيس
شغلهم الشاغل فانتشر خبر سقطته اولاً في نوادي الكبراء العالية كل ذلك
الليل ثم نقلته جرائد الصباح وقد ذكرت نقلة الى قصر دريوكوف وتوسعت في شرح
هذه الامر الغرب وذهب بعضها الى الاستهزاء بأسرة سنترمون العازمة ان تصاهر
الغني الاميركي الذي اتى مثل هذا العمل المستهجن وكان بعض الحساد قد لقنوها
ذلك الاستهزاء اشتفاء من ليوندة التي اقلعت في عدير هذا النصيب لابنها

وكان غضب ليوندة وابنها شديداً اما سنترمون فرغماً عن امتناعه قد ابدى
من الضعف قوة وادغم لها ان مثل ذلك العمل الجري من دريوكوف لا يزيد
العلاء الا نناء على شهادته وتقرؤه وقال لها لا هرعاً اليه حاملين الجرائد النائرة
التعريض : يا حبيبي لا تعجبا من ذا التصرف فانه اميركي بحث يدل على كرامة الاخلاق
نعم لو بقيت معه ليلة امس لما كنت مكنته من نقل الجريج الى قصره ولما كنت اجده
على اخذه الى المستشفى الذي يخشى فيه اهل الناية بل لكنت اقتضت ان يسلمه
الى احدى الاسرات المتطوعة الى خدمة المرضى حيث كان يمكنه الحصول على تمام
راحته وخصوصاً بما نبذله للقائين بخدمته من التواصي والمال اما الان وقد سبق السيف
العذل فيجب علينا ان نتظاهر باستحسان العمل وامتداح الاميركي الذي لا بد ان
يكون قلب ابنتي الرقيق قد واهته عليه اذ من المستحيل بل من القساوة البرمية ان
نجبرهما على اخراجه من القصر

— ولكن ماذا يقول هذا الباريسيون أغلا يزودوننا بمتهنين

— كلا.. وسترى ان جرائد المساء ستبدو بلهجة مخالفة للصحف الصباحية وتبدل الاستهزاء باندهال وتعجب من رقعة قلب الاميركي وحنانه وتواضعه وتجمع الالسنه على تمداحه فدعا في ادير الامر تدبيراً شريعاً واما انتا فليكما مواقة هاته اللهجة الاستعصائية.. الملتنا عجائز حتى نتسلك بالعرض ونترك الجوهر اوليست هذه الفتاة من اجل ثناء باريس وذات قساظير.. قنطرة من الذهب فالتنا وللباريسيين وماذا يجديننا رضاهم ونضهم

وفي عصر ذلك اليوم اضلقت سنقرمون مع امرأته وابنه الى قصر دريوكوف وتظاهروا باخلاص التهنئة له من صمم القواد على اتيان تلك الحمدة واثنوا على غيرته وشهامته فنجعل دريوكوف وقال كأنه يتندر: «لما اتيت ذا الصل عن غير تدور ثم خفت ان يسبب لي لي غما وكدرأ» فصارضته ليونيدة بلهجة مخلفة: «لا اظن ان لي لي تتكدر من عل يد رحمة وهي المشهورة باللفظ والصلاح» ثم قال ارثود متحياً: ان الافة لي لي على جانب عظيم من الشفقة والحنو فان هي الان ياترى فانشرح صدر الاميركي انشراحاً وانباههم قرب قدوم لي لي لان عليها بض الشغل المستوجب حضورها خوف افعال الحزم للليل

وكانت لي لي منذ الصباح قد قامت بواجبات الضيافة احسن قيام وعينت لخدمة فرنسيس احدى راهبات الحبسة واعدت كل ما يلزم لاجراء الاعمال الجراحية جبراً للعظام وتضبيداً للجراح

وحند الضمى حضر ثلاثة دكانة من مشاهير اطباء وجراحي باريس وتشاوروا في اصلاح تلك الرمة البشرية فانجلى فحضمهم عن تقرير أمل ضعيف بشفاء فرنسيس نظراً لقوة بنيت التي تمكنت من تحمل تلك الرضة الشديدة لكنهم وجدوا عظامه منكسرة في عشرين جانباً فزعموا على جبرها باهانتها الى مراكزها وتجبير جسده كله بالجيسين واتقوا هذا العمل الدقيق بخمس ساعات اصبح بعدها جسم فرنسيس كالحشبة وادصوا بان لا يحرك البتة فلا يخفي بضمة اسايح حتى تلتئم العظام فلا يمد ان يقوم بعد اشهر قليلة ولكن يكون في الغالب امرج .

وقد شهد دبروكوف اعمال اطباء القلب متعظ حزيناً لما قد زاد انتشاره
بأنه ابنة ولا يمكن الا يكون ابنته اما ليلى قد احتجبت في غرفة محاذية استحماء لكنها
كانت تسمع تداول الاطباء واين الجريح في النهاية عادت فادهاها الاطباء بكل ما
يجب عمله من التحولات واسباب العناية ونشطوها على ما تبدي من الجراءة وقوة
الجنان

وقبل وصول آل سندمون الى قصر دبروكوف كان زفيرو وابنته ماينا قد جاءا
يستأذنان بعبادة الطبل مهرت ليلى لاستقبالهما وبشرتها فرحة بان فرنسيس حي وأن
الامل وعليد بشافته فقدمت اليها ماينا تشكرها ولكن خانها لسانها ولم تقدر ما تقول
تصيراً عما تطوي من معرفة الجميل واكتفت باخذ يديها وتشمها مراراً وتبليها بدموعها
فسأرت ليلى وكادت تبكي لكنها تجلجت وقالت لها تاليا ممي وانظرا فسحت
ماينا عبراتها وسكنت زوراتها ودخلت الى غرفة العليل مستعدة الى ذراع ليلى فدفنت
نحو سريره قليلاً ثم ختمتها الدموع ولم تتالك صبراً فخرجت انذاراً لاشارة الطيب
كي لا يتأثر الجريح من فجيئتها وقالت لليلى ساكون غداً اكثر جرأة فاعوده والبت عنده
طويلاً فاجابها ليلى يمكنك ان تأتي في كل ساعة وقد امرت الخدم فلا يسأرك
بالدخول عليه متى شئت وتبني الان طمئنته اننا نخلصك ان شاء الله

وكان زفيرو مهزناً شاخص البصر في ذلك الملاك الارضي فاخذ يد ليلى وتما
شاكراً فودعتهما الفتاة الى الباب الخارجي كما تودع اكابر الزوار
وكان سندمون حينئذ جالساً بقرب نافذة الساعة المطلة على باب القصر فنظرهما
وقد انقبض صدره اسفاً على ماينا التي كانت عبراتها منتشرة على وجنتها كان يشعر
بنفسه حزيناً كما لو كانت له يد في جرح النعم الى قلبها

اما ليلى فبادرت الى الساعة فاستقبلها آل سندمون بتايه الترحيب وعند اعتبارها
لم عن عاقبتها اجابها ليوندة : يظهر انك تشكين في ما لك في قلوبنا من علو المنة
والكرامة وقال ارثور وانا ليسيدي اسأل نفسي هل لا ازال مستحقاً لثل هذا القلب
السامي الشريف

جريدة الملاعب ليتسلى وفيها هو يتصفعها اذ وقع بصره على مباررة كادت تحطف قلبه وهذا نصها :

« يؤككون ان الادارة البحرية ساعية الان في البحث على نوتي هجر الخدمة العسكرية قديماً بعد ان همّ بقتل احد رؤسائه وفدتوا الى هذا اليوم متكرراً باسم مجهول وهو يشتغل في ملاعب الخيل في باريس » وما كاد يتم القصة حتى تجددت شفاء وقد سقط منها ظيونه وارتجفت قدماء فاستند الى شجرة هناك كي لا يقع : وقال من يكون ياترى ذلك الرجل المتكر غيري وليس في باريس الا خمسة ملاعب لخيول منها اثنان مقلان والثلاثة الباقية اعرف رجالها فرداً فرداً ولا اظن احداً مقصوداً بهاته المباررة سواي فيا لله من هذه البلوى الجديدة زيادة في الطين بة

ثم ادقنى على مقعد في الحديقة واخذت الاشباح المختلة تتراعى لحيته فتارة كان يصور رجال الدرك ساعين في البحث عنه لعله يقتنوا اثره وطوراً يتخيل انه واقف امام المجلس الخروى الجري واتضاة مصدرين عليه الحكم بالاعدام . . .

ثم اشتد خوفاً واحداً في امره وذكراً بالهروب اصمكت خاف ان الجواسيس يقبضون عليه ويثبتون جرمه من قواده وان بقي في باريس فلا يمكن ان ينجني بل لا بد من امساكه يوماً ولكن الهرب في البراري اسهل واقرب الى الخلاص ولكن كان يقول : كيف العمل بالقتاة ماينا . . . اوامه لولاها لكنت فزت بنفسى ناجياً اما الان فن المستحيل ان اتركها ساعة . . . على بالشجاعة ونبات الخاش ويحب قبل كل شيء ان اذهب الى البيت واخذ ما يتدر من الدراهم لانها مفتاح العرج « فالיום شرب نمر وغدا تدير امره

قام زفير من الحديقة نحو البيت وهو يتلفت ذات اليمين وذات الشمال لعل الرقباء حوله وكان متفريو واقفاً على الباب يدخن التبغ منتظراً فلما اقبل زفير ناداه بلهجة سيد ينادي خادمة وقال له : بالحقيقة انك اباه احق يازفون

فارد ان يحارب متكرراً هذا الاسم متجاهلاً لكن خائفة صوته وادادت رجفة وقع فاه فلمع فاذتبره انتباهه له لما كان نوتياً في نخسه وام حوذيته الواقف بعيداً

فاسرع بالهجرة وامر زفرين ان يركبها فردد فندسه يده قائلاً صه ياخي فاني ساع
بجلاصك

ثم ركب منترفيو معه وسارت الهجرة تنهب الطريق فلما ابتعدا قال له منترفيو
متعجباً : قد اخطأت يا ولدي في اخلاف ثقتك بي وانا الذي انقذك يوماً من الموت
فلماذا كل هذا الحداح

فأراد زفرين ان يتجاهل ايضاً قاطعة وافهمه انه عرث من لهجته التي لم تحف
عليه وطيب خاطره باعلانه له انه ساعده على خطائه الماضي وانه رأى احداً الخطر
به فبادر الى انقاذه شقة طيب

فلم يستطع زفرين ان ينكر بل اخبر رأسه كالتجعة امام الجوار وصدقه بأنه
راغب في تخليصه من الاخطار

فلما انس منترفيو من خادمه الخضوع والانقياد خاطبه بلهجة الحب والوداد :
قد كنت احمق يا صاح بعدم ثقتك في واجتهادك في مخادعتي كل هاته المدة فلم
خفت مني ومخادعتي هل لاجل بضعة آلاف فرنك دفعتها اليك فلم ترددها لي . . .
ولكن انت ادري من غيرك بكرمي طوجنتي معتذراً لما كنت طالبتك بها والان
لولا حيي لك لما كنت هربت الى اغانتك فكيف تمزأت بعد اقترافك تلك الجريمة
الفظيعة في البحرية الفرنسية ان تضع وجالك في ارض فرنسا وليس لك سند ولا معتمد
في هذا البلد
ارجوك العفو يا سيدي فخلصني

— كنت الى نهار امس اتردد فيك بين الشك واليقين ولم اتحقق انك خادمي
القديم الا لما قوت اليوم في جريدة الملاعب عارضة تشير اليك فاشقت عليك وطرقت الى
انتاذك ولولاي الان لكان رجال الدرك قد قبضوا عليك وجروك الى المحاكمة واسجن
وربما حكموا عليك بالشتق لكن لا خوف عليك لان ولا انت تمون . . . قل لي
ماذا جرى لك في تلك السفرة التي رسلتك بها واين تلك البنية التي سلمتها

فلما سمع زفرين اسم القاعة انتفض انتفاض العصفور بلله القطر ودمعت عيناه
فقال له سيده . واربابا : يظهر انك آسف على فاتها عد السيدة برمبتون حيث لم

يوافقها هواء لندن وكنت نحب ان تريسا وتبناها قلبك البين وعجل بحفظها .
 فلم يابه التسويقي الى ما في ذا الكلام المعنى من التلميح بل انشرح صدره طائفاً
 ان مولاه قد صدق قول برمبتون عن موت الفتاة وامن على ماينا اعتقاد انها نجت من
 كل خطر وفكراته مستعد لتحمل اي عقاب كان بشرط سلامتها وقال لسيدة
 الى اين ذاهبون الان

— اني خارج بك من باريس قبل ان تتأثر الشرطة التي بشت في كل انحاء المدينة سيما
 وراءك ولو دخلت بيتك اليوم لما كنت تخرج منه الا الى السجن ولا ارتاب بان رجال
 الدرك هم الذين نشروا تلك الفترة التي رأتها في جريدة الملاعب حتى تهتم باقترار
 فيتأكدوا بذلك يومك دون اقوار وقد عملت الفكرة طويلاً في تمليكك فلم ادر
 اوفى من ابعادك الى خارج فرنسا ولا وجدت ان في حوزك من باريس خطراً
 لان الرقابة واثقة لك بالرصاد في كل مكان لم اتردد ان اربك في عجلتي نفسها اذ من
 المستحيل ان يظنوا قديراً مثلك يركب عجلة لاجل اكايد التولين وهانئ الان على ابواب
 باريس وعماء قليل نصبح خارجاً فتركب السكة الحديدية من قريه بواسي الى الهافر
 ومنها تبحر حالاً الى انكلترا فسامن كل خطر

قال هذا وضحك مقهقها كأنه ألقى امرأ عظيمًا احباطاً لمسامي الشرطة قهقهه
 ذفرين ايضاً متفياً انه لكنه انقطع عن الضحك فجأة وقال : ولكن ماذا يحل بانتي
 ياترى

— لا تخف عليها فهي ستلقى بك حالاً تنج من الخطر . . ولكن اني لك
 هاه الفتاة الباردة الجمال وانما لم اعهدك من قبل متأهلاً
 — هي ابنتي من امرأة سابقة

— بارك الله لك فيها فكن مطمئناً عنها فسنعتي بارها مهتمين في اخاطبا بك
 بمساعدة دريوكوف وستروناذ من المستحيل ان تراقبك لان مجرد وجودها معك يثير
 عليك الشبهات ويوقمك في الشرك فز بنفسك الان لان الشرطة يتوهمون انك لا
 تزال في باريس ما دامت باقية فيها وبحسب رأيي يجب ان تدوم التمثيل كالعادة مدة

ثلاث ليال متوالية مطلنة امام الجميع انك مريض ثم آتي بها اليك الا بنفسى او
بواسطة احد اصحابي

فاتنم زفرين بمقال سيدم واترله منزل الصدق وشكره على هاته الفيرة الغريبة التي
عزها منترفيو اخيراً بتنديه له خمسين ليرة نظيرة اعانة مالية على السفر ريثما يعود مع
ابنته الى مزاولة حرفتهما فأبى اخذها اولاً فقال له منترفيو : انا اعلم انك غير محتاج
الى المال ولكن لا بد منها الان اذ لا وصول ليدك الى دراهم ودق شئت ان تيدعها لي
فلا ارفضها

فقلقت زفرين الدراهم شاكرًا ولكن داخلته الريبة من وط هذه المائة الغريبة
اذ تبين له ان الرمر يريد التخاص منه باقرب ما يمكن ولم يقفه معنى ذلك التلطف
الغريب ولكن حدثته نفسه ان وراء الاكتماء وراءها فسكت ليلى النهاية
فلما كان الظهر وصل الرجلان الى محطة السكة الحديدية فقطع منترفيو ورقة
السفر الى الهافر ودفعها الى زفرين وودعه واوصاه بان يكتب له عند وصوله الى بر
الانكليز

فشكره زفرين وجلس في محطة السكة الحديدية يتأمل في هذه الحادثة وكان
ينظر . . . النافذة الى منترفيو حتى اذا رآه قد ركب عجلته وعاد بها الى باريس ووجهه
يعطف سرورًا انتبه صاحبنا الى ان في ذلك حيلة انطلت عليه فاراد ان يقفز من المركبة
عائداً الى المحطة فتمه الرقب لانه انظاره ان قد تحول . . . الى الهافر فغزم على
الخروج بعد اول محطة

و كانت المسافة الى اول محطة عشرين دقيقة خالها عشرين ساعة نظراً لما تولاه
من القلق وقد ارتفعت في خيلته صورة محانة منترفيو وخداه صريحة كالشمس
رأد الضحى وانفتحت واحالة هذه ميناء فابصر ان الرحي انما دارت على ماينا وهي
المقصودة بالانتقام اذ هوذا خطيب اعلي بن مي وميت وهوذا ابوها أبعد الى خارج
فرنسا فاصبحت وحدها بلا نصير فصرخ بالهام حيلة طائفة انطلت على . . . لاعدون
الى باريس ولو قطعتوني ولا ادم ايدا وحدها ولو غنوني

فلما وصل الى اول محطة في نقت تزل اليها وبعد انتظار نصف ساعة ركب القطار العائد الى باريس فوصلها عند العصر وانطلق قوًّا الى منزل دريوكوف وقرع الباب قوًّا عنيفًا فابناه الخشم ان ماينا قضت النهار كله في البحث عنه فطلب مواجهة دريوكوف بالحال وجها لوجه على انفراد ولم يكن من قبل ليتجروا على مثل هذا الطلب فوافقه الحظ ان ليلى كانت خارج القصر وكان ابوها وحده فلما دخل اليه قال له : اين كنت كل هذا للنهار يا زفيرو قد اضطربت ابتك لتيا بك اضطربا

— اتا لا اسمي زفيرو — هل تنذر اسمك من امس الى اليوم
— لا ولكن اسمح لي ان اقول لك اني من اول نظرة اليك عرفتك يارفتي الا اني كنت احذر منك حذري من سائر العالم لكن لا رأيت منك ما رأيت من المروءة والشهامة وما ابدت من العناية بفرنسيس خلعت اني ان افارقك بل اكون رقا لك وللآنسة ليلى ما دمت حيا ولهذا اتيك باخلاص لا قول لك كل شيء صريحا
فارتجف دريوكوف وتظاهر بالتجد والصبر الى النهاية واهز الى زفيرو فجلس وقال : اتا لا اسمي زفيرو ولست ايطاليا ولا اسبانيا بل فرنسي بحت واسمي زفرين فيمكنك ان كنت في سلك البحرية فهجرتها لمناصحتي احد الضباط وتنبذت في خدمة حيث ظلم يسوء الشغاليه متزفرو

فلما سمع دريوكوف اسم متزفرو ارتعز وقطع في مخاطبه تطلع المنذهل : كاد يسأله : ماذا يعني كل هذا الكلام الا ان زفرين استأق حديثه قال انت لا تدعى دريوكوف بل اسمك الحقيقي غريك بوزك ولعلك اتيت في بلدك اقطع ما اتيت انا فهجرته مثلي واقت في خدمة ذلك اللثم متزفرو

فظم هذا الكلام على دريوكوف حتى اوشك ان ينسى عليه ولم يستطع الى انكاره سيلا وفكر في ما تكون نتيجة وخاف اولاً ان يكون زفرين قد جاءه مدهانا مخادعا الا انه توسم من خلال لهجته انه مخلص بل مضطر الى كشف ذلك السر لعلهما كليهما تحت خطر واحد فسأله : وماذا تريد الان

— ان تقذني مع ابنتي ماينا من تهلكة عظيمة ولكن يجب ان أقول لك انها ليست

باجتي أفلا تتذكر تلك السفرة من نيس الى جنوا لية المسافر . . . لا تواخني على ترويد
ذكرى تلك الحوادث التي لا تسرك ولكن ما العمل ويجب ان اقول لك كل شيء
فيما كنت ترشف كؤوس الملاذ والانس في شوارع نيس تلك اللية سافرت مع معلمي
الشقي حاء لا بنية جمية

ثم اخذ زفرين يقص على رفيقه ما جرى لهذه الفتاة الخطوة التي لم يشفق
منتفريه عليها ولا على ابويها فعزاه الله ليقوم لديها مقامها وغرس في قلبه حبها فاصبحت
كانها فلذة كبده وكان في اثناء هذا الحديث يذرف عبرات حرى ودرجوكوف
يصني اليه كأنه بسمع قصته نفسها ويشعر الشاؤم عيها وقد تحقق ان قلبه قد مس
مثله ايضا فقول من سكير شقي الى والدحنون حكيم وكان كلاهما في موقف واحد
لا فرق بينهما الا ان درجوكوف كان مثيرا ذا ملايين كثيرة وزفيرو سبروتا يرتق
من كد جبينه وانه لفي هذا التأمل واذا بفكر جديد طرقت بخلته الا وهو ان ليلى وماينا
هما شقيتان فارتعدت فرائضه وكلمه العرق البارد من رأسه الى قدميه فسأل زفيرو ألم
تكتشف قط اسرة هذه الفتاة

— لا لسوء الحظ بل لا سألتها عن ايها او امها كانت تجيب عن الاول باسم بابا
وعن الثانية باسم ماما وان لها اختا اصغرها كانت تدعوها ليلى
— ماذا تقول
— مين الصحيح . . . اسم اختها ليلى
فظير اسم ابنتك تماما . . . أهلك انت كذلك . . .

فأخى الاميرصكي رأسه هنية ثم قام من كرسيه منتفضا ووضع يده على
كتف زفيرو وقال له بحدة ألم تعجب بذلك لاحد قط

— كلا ياسيدي وكيف يمكن ان اطلع غيرك على دخيلة اري ولولا الخطر الحدق
بك انت ايضا لما كنت ذكرت لك من ذلك شيئا ولا احد يعرف ان ماينا وليلى
شقيتان الا نحن لا غير وانا . اكن لا عرف ذلك الا منك الان فهوذا تدير الله قد
ساق الحوادث الى ان ضم شمل الشيتين وجمع بين الشقيتين فالحمد لله . . . نعم
الحمد لله

فتأثر ددريوكوف وشكر الله أيضاً على كشف هذا السر وقام ليقتني في الحبر
مفكراً في ما يصنع وزفيريو شاخص البصر فيه منتظر نتيجة تلك الامكار ثم سأله
ددريوكوف عن الخطر الذي يهدده فاباه بقصته من اولها من حيث قدومه الى ايريس
وتعلق ماينا فرنسيس وتمام فهمهما وقتاً بسبب طاقة الورد واصطلاحهما وتعاهدهما على
الحب ثم باح له بما خالجه صدره من الظن بان يداً سرية تشتغل من ورائه للانتقام
من ماينا فقد ابتدأت بضرب فرنسيس اكبر صرائها وسعت في ابعاده هو ذنبا
هذا الصباح حتى بقي ماينا وحدها بلا مغيب ولا معين

ففي ذلك ددريوكوف غيظاً ولا يابعد سماعه بان مهينة فرنسيس لم تأت غمواً بل
هي نتيجة مكيدة شيطانية وتخطى صحة ظن مخاطبه من الحيلة بنشر ذلك التهويل عليها
في جريدة الملاعب وتأكد ان تلك الفترة لم تنشرها الحكومة لان سنة البلاد الفرنسية
تمنع محاكمة القتلة منذ مرور عشرين سنة على القتل فكم بالحري لانفتحت الى خصام عادي
يجري بين نوئي وضابطه قتال زفيريو : كن مطمئناً ان الحكومة الفرنسية لا تتأثر
لاجل تلك الحقوة بسبب مرور الزمان وليس التهديد الذي قرأته في حريده الملاعب الا
فعل يد خيثة يد صاحبك من زفيريو الذي قصد الغاص منك

— كما قصد التخلص من فرنسيس ايضاً

— هل انت على يقين ان سقطة فرنسيس كانت مصادفة ونتيجة مكيدة

— كذا ارجح وقد استفحصت عن الامر قليلاً من وراء وراء ففهمت ان ايريني
ديمونسكي كانت تامل الحيل بعض الماكل المهيبة في حين كان فرنسيس يخاطبك في
باب الاسطبل ثم اشاعت بين الجمهور ان الفارس يسي معاملة خيله ويؤلمها بالضرب
فذكر ددريوكوف حينئذ انه لا واجه فرنسيس تلك الليلة شاهد ايريني تداعب
الحيل فسأل صاحبة : هل تؤكدين ان ايريني كانت هي العلة

— ارجح انها كانت آله يد اخرى شريفة تمسكها في الخاتمة من وراء الحفاة
فصت الايريني وجلس دائماً في الحوادث الغريب وتبصر في ذلك في الخطر
وفي ما يؤدل الى ادراك الوطء ثم قبل لوفينه وفه يرتكبه : لا تغفلت من زفيريو

في باريس لأول وهلة كنت قد خضتُ مثلك لكن زال خوفي منه لما رأيت أنه لا يستطيع
 مني انتقاماً فان كان غنياً فانا أغنى منه وان كان يعرف بعض اسراري فلدي أسرار
 اسراره ايضاً ما لوجئت به لللاقى الذل والهوان ان كان يستند على اصحابه الكثيرين
 بين اسكابر الفرنسيين فما انا مصاهر عما قريب اسرة من اشرف واعرق اسرات
 فرنسا حسباً فان شاء التزال فما اذا مستعد للقائه قلب يحاكي اشجع الابطال

— حيالك الله ويالك وضرك يا انا المروءة على احدك
 — حسناً صنعت يا زفريو بالتجارتك الي فلا تخف بأساً واسمع الان اوصيك به :
 يجب عليك ان تبقى كما كنت واسلك زفيريو ومهنتك التحيل في السلامب واياك
 ان تغير شيئاً من عوائدك

— امرك يا ولدي وانت تكون دريوكوف الفني الشير
 — كذا وهل مترهيو موقن يا ترى بانك سافرت الى الماهر
 — كيف لا وقد قطع لي ورقة التاولون بيده

فاستدعى دريوكوف الخادم الذي ادخل عليه زفيريو وشدد عليه التروية بالا
 يخبر احداً بقدم زفيريو الى النصر فلما خرج الخادم ارتقى زفيريو على قلب الاميركي
 مائة واربعة وباركه شاكر اثم سأل عما يصنع بابتة ماينا فطليب خاطره ووعد بانها يحسبها
 تحت كلمه امينة من كل خطر

وانهما لفي هذا الحديث واذا الباب قرع والخادم يني بقدم ستقمون ومنتفريو
 قاموه بدخالها واوعز الى زفيريو ان يختبئ في القرفة الحاذية ليسمع ما يكون دون ان
 يراه احد

وكانت ماينا قد اضت يوماً تميساً وقد اخذ منها القلق كل ما أخذ حين قششت
 عن ايبسا في كل باريس فلم تمد له اثراً فعادت الى بيتها تخب باكيةً وحينئذ اقبل
 عليها منتفريو وستقرون واخبرها عن سفره واسبابه ووعداها بانهما كلاهما موقوفان
 لخدمتها وقال لها منتفريو : ان اباك يوصيك الا تخبري شيئاً من هيئة معيشتك بل
 ادعي في كل مكان انه مريض وقد اطلق الى قرية بظاهر باريس تبديلاً للهواء وذلك

دفعاً لظنون رجال الدرك حتى يتمكن من الوصول الى انكلتة بامان وفي كل مساء
تراولين الالاب في الميدان كالعادة واكونا وسترمون محافظين عليك محافظتنا على
انسان العين

فبكت ماينا طويلاً وتنهدت فاخذ سترمون يديها وضعاها الى صدره عزياً
وكان قلبه يلتهب بشار الجوى وايقن ان صديقه قد مهد له سبيل الوصال فلا مانع
ثمة ولا رقيب . . . وكان منترفيو ناظراً اليه في تلك الحال وفؤاده يخفق طرباً
لادراك امانه وسلم البنت الى يدي ابيها وعاشقها معاً . . . وقد تصور ان اذلالها
صار ادنى من قاب قوسين . . . في حين كان اجه اوثور مستعداً للاقتران باخته ليلى
بديومين وهنا انتهى ما كان يسمى اليه من الانتقام منذ عشرين من الاعوام . فما
شد ما كان ابتهاجاً لشفاء غليله بمن كان علة حرماته من ربحانة جنانه . . .
اما ماينا الطاهرة الذيل قد دله قلبها ان احد الرجلين خادع لها ولايسا معاً ففرت
باطناً ولكن قالت لها بتلطف : اشكر لكاهاته الغيرة وارجو يستكما ان انجمو مع الي
من التهلكة لكن اسمعها لي ان اتخذ معكادريوكوف حامياً ثالثاً وهيا بنا نذهب اليه
فامتعضا لكهما لم يتالكا معارضتها فجاءت معهما الى قصر الامبركي فاستقبلهم على
عادة كأنه لا يعرف مما جرى شيئاً وقال لماينا متجاهلاً هل عرفت ممر ايك فاجابته
بحسرة خفتها العبرة ولم تستطع الى الكلام سبباً قام منترفيو مقام الثرجمان وقص
حكاية زفيرو وسي الحكومة في القبض عليه واجتهاده بتسفيره

فتظاهر دريوكوف بالانذهال من هذا الخبر المدبر بالخدمة والاحتياط ونظر الى
ماينا فوجدها مبهونة من هذا الحادث الذي تظنه ضرباً من الاتصال على ان
منترفيو استأنف حديثه مكرراً ما اوصاه ابوها من وجوب مداومتها على التمثيل بعض
ليال كالعادة ثم تسافر محمأة تحت كف سترمون الذي يمهدها سبيل الانبساط
والراحة . . . فنظر الامبركي الى سترمون شزراً فراه يرتجف اضطراباً كأنه ساع الى
عمل غير مشكور . . .

فتقدم دريوكوف الى ماينا واخذ يدها بنشاط وقال لها اعلمي باننا ما دونا غير

محققين مقرّ ايّك لا نفعل نحن الثلاثة عن حمايتك وخصوصاً انا ٠٠٠ ولا اكم عليكما يا صديقي اني مرّلت على استخدام زفيرو في حقولي في اميركا ولا اري في هاته الشكوى المنشورة في الجرائد ما ينقص ثقتي فان صح الذنب المتهم به فهو من الامور العادية التي نراها كل يوم فضلاً عن اني استهجن الاتّباء اليها الان بعد مرور الزمان فلا ازال على العهد مع ايّك يا عزيزي مايتاولا اظن لاحد حقاً اكثر مني بالقيام لديك بمقام والد

وكان زفيرو يتصت من شق الباب قهال سروراً وكاد يطير من الفرح ويشتمى لو سمع له صاحبه ان ينقض على عدوه منترفيو فيقطعه ارباً اما دروكوف فكان يحيل طرفه بين سترومون ومنترفيو المندھشين المستعنين اصفراراً ثم قال للثلاثة : لقد اخطأ ايّك بالهرب لحد قراءة تلك العبارة التي قد يكون احد الاعداء قد دسها في جريدة الملاعب لارب في النفس : وهب ان الخبر صحيح والحكومة ساعية في اثره فيكفي النظر الى وقت حدوث هذا الذنب لتتريد عدم المحاكمة بمرور الزمان اقليل هذا صدقاً يا صاحبي

فاجاب سترومون الذي لاح له رية من وراء تلك الدعوى : هذا ممكن وغير بعيد ولكن منترفيو قال وهو مرتد الفرائص : لا اعلم

— ولكن هب ان زفيرو مستهدف لخطر اكد افما كنا نستطيع نحن الثلاثة الاغنياء بما لنا من ابناء والنفوذ والمال ان نغذّه من هذه التهلكة قد استعجلت يا سيو منترفيو بتفسيره

— لم اهد له سبيل الحرب سريعاً الاتّخايعاً له من ايدي الحكومة اجابةً للاحاحه
— سأطلق غداً بنفسي الى وزارة البحرية واستنهم عن هذا الامر واسعى في طي ما اقتشر ان كان تحت خطر اما انت يا ماينا فلا يوافق ان تداعوي التمثيل في الملعب مادام ايّك غائباً بل مقامك عندي على الرحب والسعة لان في باريس من القسمة الاغفار من يراودك عن نفسك بلا حياة

فاندھش سترومون ومنترفيو وارادام عارضة هذا الراي فنظر الاميركي اليهما

شوراً وقال لا يمكنها ان تكون وحدها في بيتها آمنة من الخطر ولا يمكنها ان تمكث عندك يامسيو متغفوا لانك رجل اعزب بشير عليك مظنة الناس ولا عندك يامسيو سنقومون لانك تستهدف للامة رصفائك النبلاء بادخال ممثلة الى بيتك اما انا فسيان عندي غضب الباري سيون عليّ ام رضوا لاني اميركمي لا يهمني قول الناس طلبة فضلا عن ان ماينا تكون هنا بجانب خطيبها وهنا لا ارى بدءاً من التصريح دفعا للريدة بان فرنسيس وماينا تعاودا على الاقتران وقد اتفقت مع فرنسيس وزفيروان استغدهما في حقولي الواسعة في اميركا وعليه فان ايدا باقامتها عندي تكون كانها في بيتها فتهلك ماينا مستبشرة وصدقت علي قول دريوكوف مبتهجة اما سنقومون ونغفوا فاخذنهما الحيرة وسقطت عزائهما كأن صلبا انقضت عليهما فلبثا كالصنمين ولم ينسبا بينت شقة

﴿ فصل رابع وخمسون ﴾

كشف الستار

لما عاد سنقومون الى بيته واخبر امرأته وابنة بما جرى تقيزا كلامهما غيظا قال ارثود مستهزئا لم لا يأتي دريوكوف بجميع المشايين والممثلات في الملعب ويقرنهم في قصره على الرحب والسعة

ولم تمالك ليونيدة حنقا من تقديم دريوكوف الضيافة للفتاة ماينا التي كانت تحتقرها جمة ممثلة ذليلة شأن سائر الممثلات اللاتي يكنن غايبا عن بنات الهوى اظهروهن في الملاعب ليليا امام الوف من الناس الذين يتقننهن ويرادونهن ولذا كانت تستهجن وجود مثل هذه الفتاة ضيفا عند خطيبة ابنها ولما اعلن هذا عن استعدادها لمواخذة ليلي قالت ليونيدة وانا ساخطب دريوكوف ايضا بهذا الشأن

اما سنقومون الذي اعتاد ان يارصهما كلما استهجننا سيئا من دريوكوف فقد استصوب هذا الاستهجان على انه كان ينصعبا بالصبر ريثا يتم عقد الزواج وحيث قد يستطيع اصلاح كل خلل وكان يليب خاطرهما بتصرعه لما بانه اودع في ماهدة الزواج جميع الشرائط الملائمة لخير ابنه وتمزيده مستقبه

قالت ليوبدة لا اشك بان ليبي تستغرب ايضاً مثلنا هذا التنازل المروط من
ايها حتى جعل قصره داراً للمثليين

قال ستقومون لا تنفرتي يا عزيزتي فان ليبي لن تعارض اباه ولا تستهجن منه
شيئاً فضلاً عن الي رأيت متخذاً جانب الدفاع عن ماينا بحدة وانطاف كذا لو كانت
نسبية له حتى ان منكره نفسه اندهل مندهشاً - فالاولى لنا ان لا نتظاهر بشيء
من الامتناع ولا نغس الاميركي ولا ابنته بشيء - فاسمع لي يا ولدي وكى صبوراً ففي
هذين اليومين توقع شرائط معاهدة الزواج وبعد اسبوع يتم العرس ثم تصنع ما يبدو لك
وفي اليوم التالي ادب ستقومون مأدبة اهلية لجميع انسابه دعا اليها الاميركي
وابنته ولم يكن ارثور شاهد خطيبته فلقد يومين فلما دعا وقت الطعام ولم تحضر مع
ايها استشاط غيظاً واخذ يدهم ويتذر وعلق على هذا الابطاء تأويل شق وحقيقة
الحال ان ليبي ارادت ان لا تصل الا في ساعة المأدبة المضروبة حتى لا تدع مجالاً
للانفراد بخطيبها كي يحادثها بشأن ضيوفها وقبل ساعة العشاء بدقيقتين دخل دريوكوف
وليبي ومعه كاداسيلمان على آل البيت والمدعوين حتى جلسوا على الحوان وقعدت
ليبي بجانب خطيبها الا انها اجتهدت بان تنتهي بالحديث العمومي مع سائر المدعوين
لئلا يتهز فرصة قريتهم فيفسر اليها شيئاً الا ان بعضهم قد سأل دريوكوف عن ضيوفه
على سبيل المزاح فاجابهم عن جا انفرادهم الى الدعة وانه لا اشقى سهراته
لادارة اعمال حقوله الواسعة في اميركا مع زفيريو وواسجيماً ثم قال لهم انكم تضحكون
مني على اتيان هذه الضيافة لكن فلما اكثرت الى احد فليقل الناس عني ما شاؤوا فلا
اصنع الا ما يراقتني

وبعد المأدبة قام المدعوون الى الصاعة العمومية فاندجبت ليبي بينهم وجعلت
تطرفهم بالاحديث والتكات ولم تدع لليوبدة الى الاختلاط بها سبباً حتى اذف وقت
الاهراف فودعتها بفاية السذاجة خلاف عادتها

فلما ذهب الجميع بقي آل سترون وحدهم طفق ارثور يتأفف منكراً من ليبي
صدما وحماها فتم ستقومون فاه لطيب خاطرهم واذا بالخدام داخل وفي يده ظرف

محتوم بخاتم اسرة من النبلاء فتأمله مستغرباً طبع ذلك الحاتم الذي لم ير مثله منذ عشرين عاماً واشكلت عليه معرفته فقالت ليونيدة فضة سرياً لنرى ما القصد من ارساله عند منتصف الليل واذا فيه ما هه :

« ان البارون هوب دعات يرجو زوج عمته ان كنت ستدعون ان يتكرم بالحضور في اليوم التالي عند الساعة ٢ بعد الظهر الى مركز المصرف الاميركي في جادة الال ١٠ حيث يسره ان يطلعه على بعض اعلامات لا تخلو من افادة عظيمة له »
قالت ليونيدة من فورها كأن بها جنة : لن نذهب البتة فانذهل ستدعون من دهشة رائته واضطرابها وقال لها يهدوه واذا لا اذهب يا عزيزتي

وانما قالت ليونيدة هذا مدفوعة من عاطفة داخلية لم تدبر سببها لكنها شعرت او دلتها قلبها ان في ذلك خطراً مجهولاً فاخذت تقع زوجها باسباب لا طائل تحتها ان هم ان عند هوب بعض اشياء يسرها اليه فلماذا لم يأت هو بنفسه اليك وهو الاصح ثم ألم يتفق معك باخفاء حالة القرابة التي بينكما فلماذا يعلنها الان فجأة على رؤوس الملا ؟ ويجاهر بلقب الشرف الذي يحق له ان يمنه من ابيه وكان الى اليوم قد ازدراه غير ملتفت اليه

فاستغرب ستدعون من حليته استياءها من هاته الدعوة وانذهل من اضطرابها بلا علة فقال لها : كيف تتعيني من مراحته وانت التي ادعته بيتي وغمرته بالموائس والتجميل وسليت : المصالح التي لم أكن لا أفكر بها قط . . . والان : ما استدعاني ليعرب لي عن حبه ويطلبني على بعض امود تهمني يريدون ان لا اسمع له . . . ان في ذا لا يخالف كل ذوق سليم فان كان يطلبني اليه فذاك لانه لم يستطع ان يبدي لي تلك الافسادات الا في ادارة المصرف وساذهب لمواجهته لا بحالة

فاكدت ليه نيدة وقالت اصنع ما بدا لك فقلت امنعك على اني رأيت استدعاه لك اليه اخلاقاً بواجبات الادب واللباقة

وعند الصباح خرج ستدعون الى المدينة وكان يود واجهة هوب قبل الظهر لكنه لم يجده في المصرف وقد قبل له ان المدير لم يرجع من سفره الا بالامس مساء وقد كتب لثامه

انه لا يأتي الى المصرف الا الساعة الثانية بعد الظهر فناد سترنومون صغيراً من هاتفة
الدعوة الفجائية حائل اياه من السفر وايعن ان هنالك لسراً

فذا كان الاجل المضروب هرع سترنومون الى المصرف الاميركي فشد اماكن
اندعاشه لما صادف فيه صاحبه دروكوف يحيط به ستة من اكابر الاميركان من اعضاء
مجلس ادارة المصرف ثم اقبل منتفيز بوجه شاحب ممتنع كوجه ميت فلما وقعت عينه
على الجماعة وحصول سترنومون ودروكوف ارتجف واراد الرجوع القهقري فتقدم اليه
سترنومون وقال له اذانت هنا ايضاً

— نعم وقد وردتني رقعة دعوة ما صا هور ديتارت ولا اعلم لاي امر

— اصل عنده افادة مهمة ينوي ان يباينها اليكم

فقال احد الاضياء الاميركان : لا يبعد ان يكون قد اتانا في اياه من السفر بجلالين
من الارباح

وقال غني آخر : ولماذا استدعى دروكوف وسترنومون ولاحق لها بحضور

جلسات مجلس الادارة

فكانهم يتعادون واذا بالخدام يدعومهم الى صاعة المجلس جميعاً فجلسوا فيها وحينئذ
ازفت الساعة الثانية فدخل طيبهم هور وامه منتقمين واقام في نهضته واجلس والدته
على يمينه وجميع الاعين شاخصة اليها مبهوتة من حضورها وقد اكد وجهها منتقمين
وسترنومون وارتجف قلباها خلافاً لدروكوف الذي ابتهم طريقاً وقام الى المرأة فصانحها
منودداً

ورفع هور نظره الى السماء حلقة كأنه يستمد من الملا المونة وقال لا تعجبوا
ان رأيتم امي الان مجاني فان الضرورة اوجبت حضورها في هذا اليوم يوم الاضاف
والتعويض لكي تؤكد صدق ما لنا قاتل لكم

فقال منتقمين : تعجبا اليه : ان كلاءك يا سيدي هور هو عندنا حجة فلا حاجة الى
تأكيد : وقال احد الاء : كان ظهر ان موضوع الكلام اليوم لا يتناول الاشياء المالية
فشرد هور بين النصب شذراً حتى صحت واصفى الباقون

ثم قال هوبر انما دعوتكم ليها السادة لتسمعوا من في اقراراً بامر فجهلون لاني كنت كخادع لكم منذ قدومي الى باريس ولكن بدون علم مني ولم يكن هذا الخداع بشائي انا قسي بل بشأن اسرتي انا تاريخي الخصوصي فاقم جميعا واقفون عليه وهو تاريخ كل فتى اديب يسمى وراء الرزق والثروة وقد عرفني السد دريوكوف. شتتلاً في اميرنا فهو يحقق لكم كلامي كشاهد مدلل

قطاعة دريوكوف قائلاً « ما ابدرك بان تكون اميركيا » وكان ابو ليلى قد انشرح صدره من هذا الشرح واستأنف من ادائها حيث انقضى علة توره وقبور اياه واجتماعها عن ابنته وتاكدا ان الميب الذي هاله على هذا الساء لم يكن الا انه به ١٠٠ الهاف والكبيراه

فاجابه هوبر متلطفاً : اشكرك من صميم القواد لاني احب اميركا والايركان ولو كنت فرنسي المتحد وقد هجرت فرنسا وطني اثر مصيبة دهما انلوقصتها الان على محفلكم الموقر في اميركا نشأت وفيها تعلمت الاقدام على العمل فملت جزائي شاباً وقد عضدني بعض الاصحاب فارتقيت الى ادارة المصرف في باريس فلم يتالك دريوكوف من هزة الطرب بل قاطعة ايضاً بقوله : لم نل ذلك المنصب الا عن استحقاق ياولدي

فانذهل اعضاء المجلس من حب الي ليلى لديرهم انا سنترمون فكان يرنفج وقد ارتعدت من متغفرو الفرائض

فاستأنف هوبر كلامه قال : اما والدتي فلم تشاركني بالسرور بهذا الترفي لانها كانت عارفة بما كنت جاهلاً . ولما قدمنا فرنسا خطت لي خطة جديدة امرني ان اتجهبا مستندة الى بعض اسباب غير صحيحة اتناعاً لي باصابة رئيسها فاضطرت طاعة لها ان اسلك في ذلك السبيل الذي حمل الناس ان يسموني بسببه . وتوحشاً وقد كان علة لنفور اكثر من واحد من اعز اصحابي . ولم اخرج منه الا في اوا هذا العام لان والدتي وجدتي حيثنذ على اتم استعداد لمرقة الحقيقة برها فافهستي ان المصاب الذي الجأنا الى هو فرنسا انما ياخص بكلمتين اي موت والدتي بعد انكساره والحقيقة ان

الى البارون لوران ديمارت قد اعلى وترك عليه من الديون نيفاً ومليوناً من الفرنكات .
ومبل حلول هذا المصاب أنهم بالأقدام على قتل احد انسابه ومختلف ابنتين زوج عتي
الكنت سنترمون الحاضر هنا من امرأته الاولى

فقال سنترمون بلهجة اخلاص : لا حاجة بك الى بئنة دمة ابيك من هاتين
الجريتين قد برأته المحكمة من قبل

فاجاب هوبز بمرارة : نعم وانما برىء لعدم وجود ادلة كافية لاثبات الجرم
واراد ان يستأنف الكلام قاطعة دبركوف قائلاً : باضطراب : ذكرت من ابنتين
منطوقتين فاهي قصتهما ياتى طابعه هوبز سم وعما ليل اسردها لكم . ولم يكن يباه
ما وراء صاحبه من اهمية هاته المسألة فالتفت الى سائر الجماعة وقال : فن حين
عرفت هذه الحقيقة عرفت على ابرام ما عزمت عليه الان لاني من حيث انا وارث لوالدي
وجدنني غير اهل لاكون مديراً لهذا المصرف

فصاح الاميركان الذين لم يجدوا لحد العزم داعياً : لم تأت انت اعمالاً غير حسنة
حتى تحصل ثبوتها

— عفواً ياسادتي فاني لا اريد ان اكون مضقة في افواه رصفاني الباريسيين الذين
يعبروني بمثل هذا الافلاس ولذا قررت ان ارفع الى الادارة الكبرى في نيويورك عريضة
الاستعانة من ادارة هذه الشعبة في باريس ثم اعود الى اميركا حيث استأنف الكد
وراء ربح القدر اللازم من المال لايبض ذكر والدي المرحوم وهذا اول فروضي منذ الان
وبعد قضائه سافتك في مالي

فخطر الاميركان بعضهم الى بعض متعجبين من هاته الشهامة ومفتعين ان
ذلك الامر لا يقتضي مثل تلك التضحية حتى قال له احدهم : من الظلم ان تستقر
خطيئة الاب على الولد او تدنس شرفه فاجاب هوبز بسذاجة انا اعدل حكم بشأن
شرقي واري منذ الان ان من المستحيل ان ابقى مديراً لشعبة مصرف في مدينة لا
بال اسمي فيها مديوناً اثر افلاس والدي بيف ومليون فهدم المسألة الاولى قد
ننتهت واليكم ايها السادة المسألة الثانية

فهبس دروكوف وتكلم كذني سلطة قال : باذنك يا صاح لم تنفض المسألة الاولى .
تماماً قد ذكرت الان انك تعتبر نفسك مديوناً عن ذمة والدك بنحو مليون من
الفرنكات .

— نعم وقيمة الدين بالتسديق هي ستون الف ليرة عداً
— حسن جداً . . . ان مواطني يستهجنون هذا الافراط في الشهامة اما انا
فأفهمه جيداً لاني ادرى منهم بالفرنسيين فهم لا يذون في المسألة الا دناير او دراهم
اكثر او اقل وذلك امر عادي اما انت فقي صدرك عواطف ارفع واشرف تقاضع لباك
فاسلم معك يا صديقي الشاب واصدق على عمك هذا كل التصديق
ثم قام دروكوف اليه وصاحفه باليدين مصافحة الولد ونظر الى امه وقال :
أهذا هو اذاً السبب المهم . . . الذي حملته على . . . اظنك فهمت مرادي
فاجابت البارونة بتأدب : وهل كان يمكنني ان اسمح لهو وهو وقر يهذا المـ
على مرأى من الجميع ان يسلك غير سبيل
الا ان دروكوف قاطعها وقال بلهجة تجمل وحنو : يا هوبر لقد وجدت فيك
دائماً قام التثنية واصنع حذك من كل قلبي عما اهديت من التثود . . . الذي . . . هذا
كاف قد تغاهمنا . . . اما بشأن الستين الف ليرة التي تحب شهامتك ان تكون بها
مديوناً فهي ستؤدي عنك غداً وسواء هومت فرنسا ام بقيت فيها اريد ان يكون
اسم ابيك طاهراً خالهاً من كل شائبة
فاراد هوبر ان يعترض على الاميركي لكن عاطفة الشكر خنمت صوته فقال له
دروكوف لا تعارضني بشي . يا صاح فلأن تكون لي مديوناً افضل عندك (على خلفي)
من ان نكون مديوناً لجهوليين قد يكونون ثناءً

— ولكن باي لسان اشكر فضلك
— ذلك اسهل كثيراً مما تفكر . . . ولكن ما لنا وهذا الحديث اقترع اليك
يا هوبر ان تجعل بقصة الاثنين الخفاوتين لان قلبي ذاب شوقاً الى استماعها
وفبل ان يستأنف الشاب كلامه التفت دروكوف الى سترهون : وسأله لاداً

ايها الكنت لم تخبرني بشيء من هذه القصة فأرتبك ستقومون بالجواب ولم يدبر ما يقول
فاجاب عنه هوذا قال : ان الكنت يقدم مثل والدي ان يؤيد لكم حقيقة الخبر لاني
هنا نذا شارح حادثة هذه الجريمة الزوجة التي دفنت ولا تزال مكنونة طي الحفاء
وقد وصلت امس من نيس وتجولت في كان ومونته كولو وسيز وسائر الجهات التي
جرت فيها تلك القباحة لية المساخر فحصلت على اعلامات جمّة من الاميرة زامركو وقد
قبضت على الخواجا جس باركلاي (شقيق ليوندة) الذي تلما افترقتم باتهامه

ولما قال هذا حول بصره الى ستقومون ومنترفو كأنه يخاطبهما فوجدهما قلقين
متمتعين كالاموات وقد جمدت اطرافهما ولم يستطيعا حراكا فاستأنف الحديث قال
اذا طالعتم ياسادتي الجرائد الصادرة في تلك الايام وجدتم ان الكنت يستقومون كان
يشتغل في ترع الثلاثة الملايين المحبوسة عند ابنتيه من يد والدي المودعة عنده وبعد
الجدال طوبلا على غير طائل تحاصبا خصاما شديداً ادى الى التفور . . . فما هذا صحيح
يازوج عمي

— صحيح واسفاه — اولست في اللية نفسها التي تلت
تلك الحادثة قد طُلمت بمنجر في جرة محفل المساخر . . .

فسأل دبروكوف مزجراً كالاسد أما جرى ذلك في مدينة نيس
فاجاب هو : نعم في نيس وفيما كانوا يلعنونك يازوج عمي كانت ايدي
خيمه تشتغل في خطف ابنتيك اللتين انطلقا ذكرهما ولم يوقف لهما على اثر . . . فآثرت
هاته المصيبة على زوجتك اخت الي حتى ماتت بعد ايام يسيرة اما انت فلم تتطرسنة
الا تزوجت بامرأتك المسماة الان سكنته ستقومون وقد ردت ثروة ابنتيك الحطوفتين
واوشك ستقومون ان يسقط مني عليه الا انه تجلد واظهر من الضعف قوة
وقال لهوي : يا نسي العزيز لا افهم غايتك من كل هذا الحديث لكني ارجوك ان
تدع زوجي وشأنها فلا تائق لها في ذلك ولا جمل . . . ولقد دعونا بحجة ان تطلقا على
بعض امور تهمننا فها ما عندك فانا لك بالانتظار وحتى الان لم تنقل لنا شيئاً غير
معروف لدينا جميعاً

— اعلم يا زوج عمتي العزيز ان غايي الاولى عندما اكتشفت الحقيقة انما هي ان احاقب الحرم نفسه اظهاراً لبراءة ساحه والدي صريحاً لانني ارى ان البراءة التي نالها من الحكمة ليست بكافية ولسوء الحظ ان هذا الحرم اللئيم قد اظلت الان من يد الحكومة لمرور الزمان . وقد عرفت ان ابودي ان احملة على الاقرار بجريته الفظيعة امامك وان يقول لك ماذا جرى على ابنيك بمعاونة شريكه في الاثم المرأة التي رجوتني الان ان احترمها في حين هي سبب شتاك ولا تراء تقودك الى هواها بزماس وانت على خفتك وطيشك تبرح منقاداً اليها ولذا اظنك بريئاً من كل هذا

ثم التفت هوذا الى من اتهمو منضجاً وقال له قطباً : يا عزيزي انك صديقنا كلينا فلا نظنك تبخل علينا بالمساونة لتهتدي الى الحرم الاتيم وكان القلب قد اخذ من متدفيو كل مأخذ حتى التصق لسانه بجنكه على انه اراد التلصص لجمع كل قواه وقال بصوت مرتجف اسيف : لا اقدر ان اساعدك بشيء . لان هذه القصة كلها جرت في حين لم اكن اعرف ان كنت ستدعون . . . والان ارجوكم ياسادتي ان تعذروني لان لي هم كبير يجب ان اقضيها هذا النهار وكنت اظن ان هذا الاجتماع لمسألة مالية او ادارية وبما ان المباحث المتداول فيها الان لا تتناول شيئاً مما يهمني فاني استأذن بالانصراف . . .

ثم قام واتجه نحو الباب وكاد يفتح واذا دروكوف قام في وجهه كالصخر :
واهـ كنه مكتفه وقال له اجلس فانتبه . . . متدفيو وامر في اذنه . ان اصبر
والا فنتحك امام الجماعة

قهقه دروكوف وقال لرفاقه اسمع ما قال فهو يتهديني بان يفضحني ويخبركم باصلي وفصلي لانه لا راآني كشت جريته الفظيعة توهم انه يخيفني بتهديداته ويصدني عن الكلام ولكن ساء ما يتوهم فانا لا انجل من ابني كنت قديراً ثم رقيت معارج الثروة افلسنا كلنا هكذا . امير الامير كان آتياً بك ابدنيا . . . قبل ان اكون ذا ماشية خلسة راصح ذا ملايين كثيرة كنت ثوبياً حقيراً واسمي غريك بوك . . . أهذا الذي تتهديني بانفاته يا شقي فهاذا قلتة علنا ولا استحي واذهب عليه بانني كنت خادماً في

يحت لك كان راسياً في مرقا نيس في لية المساخون ليالي المرافع منذ ٢٢ سنة ٠٠
وكان منترفيو عند كل عبارة ينطق بها خادمه اتقدم ينتفض مرتعداً ويتسنى
لوتشقى الارض وتبتلعهُ وقد اقترب منه هور وسنقومون مندهشين اما دريوكوف
فاستأف الحكاية قال : وفي تلك الليلة اقلعنا من اثر نيس فجأة حاملين ابنتين
كان قد خطفهما هذ الوحش الضاري . . وهما المتاك يا سنقومون

فاستشاط سنقومون غضباً وصرخ صرخة هائلة وقد هاج ذلك في صدره
ذكرى ابتيه وهما القديسة الا ان دريوكوف اتم الحديث قال : فصل عندك بعد ذلك
رب اياها الكنت العزيز بان هاتين الخطورتين هما ابتاك . . وكان امامها ليلى وجرمي
واسمها اليوم ليلى دريوكوف وماينا كتستينا . . واعلم ان زفريو كان نوتياً
مثلي عند منترفيو وقد عمل نظيري احدي الابنتين . . . وفي فوه اخرى اخبرك سائر
القصة بالتفصيل

قلب الحنان على الغضب عند اكتشاف الحقيقة وبعد ان كان ابرق واعد سكت
عيناه المبرات التزينة مدراراً وبسط يديه يشكر الاميركي الذي قال له : لا تشكرني
لاني اطمئنتك على الحقيقة بل لاني انتذتك من عار يسك بسمة اللذل والاحتقار
مدى الادهار قاب ما نواه لك هذا الحبيث من الشر لاعظم من ان يذكر ولم يسمع بمثله
في ما خبر بل لم يخطر على قلب بشر

ولم يتالك الاميركي صبراً بل لكم منترفيو بمح كنه وهو صامت غائب الرشد كأن
مساً وقال له : ثبت يدك اياها الصر العين اي وده : بصنع ما كنت صانعا فم معرفتك
ان ارتور وليلي اخوان كيف رضيت بل روجت هذا الاقتران ولم يكفك هذا
الفحش حتى ابرمت حية شيطانية لتوقع المسكينة ماينا في شرك هوى . . .

ووقف عند هذا الحد ضناً بشرف سنقومون الذي نظر اليه نظرة متضرع كي
لا ينضعه فالتفت الى منترفيو وقال شهيداً وقد ظننت يا شقي انك تنجو من
عقاب الحكومة بسبب مضي الزمان ولكن لم تقتكر ان عليك دعوى بمدينة لن تنجو
منها باذن الله فان سيمك في اهلاك فرنسيس قد ظهر ظهور الشمس في رابعة النهار

وستنال جزاء ما حنت يداك

تجدد متغريو تجد الاثيم المكابر واتهرهم مزبداً: دعوني دعوني اذهب فلست بفاهم شيئاً من كل ما تقولون واظن انكم كلكم مجايين
فوقت دريوكوف في وجهه الا ان سترمون اراد اطلاق سبيله وقد قصد في ذلك ان يثقم منه يده بمبارزه ما دامت الحكومة لا تستطيع معه شيئاً قال لدريوكوف ان المسير متغريو صار يخصني مدعة يذهب

ظن متغريو ان سترمون لم يعمل ذلك الا سترًا لجرمته الاولى بافتراع ليونيدو قبل خطف ابنته وحرصاً على صداقته لقاء ما بذله في سبيله من الحدم وتوهم ان صاحبه يريد تخليصه ليخرج من فرنسا ويدرا عنه ذلك العار فتقوى قليلاً قال للجماعة : « اقم لكم ياسادي ان هذا افتراء وبهتان وكلة جنون وطفان » ثم انسل من الباب وتل بالسلم هرولاً فلما بلغ الى باب الشارع وقف قليلاً لان نفسه كاد تنقطع
اما سترمون فقال لهورد : ارجوك بصفة كونك مدير هذا المصرف ان تنقل من حسابي الى حساب متغريو مئة وثلثين الف فرنك كان قد اقترضني اياها وها انا لاصح به

— وماذا انت صانع ياترى — مثلك يا عزيزي لا اصنع الا الواجب عليّ والان من كان منكم ياسادي محاً لي فليراقني
قال هذا واخذ يده عصاً وخرج والشرر يتطاير من عينيه حتى اذا وصل الى الشارع وجد متغريو يتربق قدوم محلته ليركبها فاستوقفة وقال له : بالحقيقة انك نذل جبان فلم تهرب منذ الان

وكان بعض عابري الطريق قد اجتمعوا حولها ليروا نتيجة الخصام حسب عادة الفضوليين في كل بلد فاستاء متغريو وقال له « لقد اهتمتي بهذا الكلام فارجوك ان تكف عن الملام » ثم اوقف محلة ودعا ليصعد اليها فصارضة سترمون وضرب بقضيبه وجهه تحريشاً له للبراز فاستشاط متغريو غضباً واخذ العصا وكسرها عدة قطع ورمها في وجهه وقال له : غداً المتي

فبهم سنقوم قليلا واحداً : ولذا قد أخذ اثنين من أصحابك هؤلاء أعضاء
مجلس إدارة المصرف فيكونا لك شاهدين وأنا استشهد السيو دروكوف رئيسي هوبر
وموعد المضي يتنا بعد ساعة في قصري ولا أرى وسيلة غير هذه لتخلص من الفضيحة
التي رماك بها دروكوف الآن

فتردد متفرقوه همة ثم قال : على شرط أن أكون بعد البراز حراً . . .

— أ تذهب أينما شئت . . كلام شرف

— إذا لا حاجة إلى انتظار ساعة فلماذا لا يصح الأمر في الحال

— في الحال في الحال . : وأظنك تؤثر المسافة

— بلى فالسيف أولى

وقد سر منتقموه من حل المشكلة على هذا المتوال رغماً عن إيفاء بأنه مغلوب
لا محالة لأن الحقيقة ظهورها على رؤوس الأشهاد قد أعدمته كل وسيلة لإنجاء وسلمته
إلى أيدي أعدائه الذين وجدهم أقدر منه على الانتقام بالطرق مينا التي كان يفكر
بأن يقتحم بها منهم وقد تصور أن البراز سيكون عن دونه سواء مات أو بقي حياً
وبه تروى جميع الضمائر ، ولذا عول على الإسراع ورأى اثنين من رصفائه أن يصحوا
فاختار أحدهما بأن لديه شغلاً يقتضي اضطراره بعد ساعة حالاً أن يستقروا متعلقاً : بأقل
من ساعة يتم البراز ويقضى الأمر فتذهب بسلام

فاطلق المتبارزان والشهود كأنهم أعين إلى ترحله فلما اجتمعوا في صالة
السلاح قام سنقومون وسط خلاصة التراع قال : أيها السادة لقد سمعتم الشكاوى
الصادقة الثابتة التي أعلنها اليوم أمامكم صديقي دروكوف ونسبي هوبر ضد صديقي
السابق منغفيو . ولما كانت قوانين البلاد تحول دون محاربة منتقموه على هاته الجرائم
لرور الزمان رأيت أن أتولى بنفسى معاقبته وهذا ما صاعح إلا بحول الله لاني قل
أب إواحه استي بعد ذلك الثياب الطويل أذهب أأكر عن خفي وطيشي أيام الصا
ما تلامي لها من عدوها إلا . . أما تم فكما تختاروا ما تشارف من لصي
لتعدها له كونه بعد البراز أكن أوجوم قبل أن يني اسم ليويده مكتوماً

ولا يؤتى بذكرها البتة

ثم اتجه سترفيو الى المسلحة وكان قد طلق فيها عشرون سيفاً وقال لسترفيو: دولك السبوف كلها فاختر منها ما تشاء واظن ان هذا الحسام افضلها وقد اسعدك الحظ بالقبلة ايام سايفت به مراراً

فلما تناول سترفيو الحسام الذي مرده النصر في عدة مبارزات اخذ سترميون سيفاً لم يتغيره وطقاً يقسايمان وكان سترميون يماره مخاطرأ قصد اردائه سريعاً فدافع سترفيو احسن دفاع على انه كان يقول في نفسه «لاذا اقاوم الموت وهو اشرف لي واستر وماذا تفيدني الحياة ولم يبق لي مطعم بذاتها وقد كنت معللاً املي بالانتقام فخاب كل رجاء فالوت اولى ولكن اموت انا ويعيش عدوي حاشى بل يجب ان يموت معي وهذا غاية ما اتنى» فلذا استعمل صاحبنا واكتدى بغامرة سترميون وهجم عليه كالاسد وكاد ينتساق لو لم يصدم بالترس ضربته وقد فهم غايته فانقلب يتأفئ في المسافة متجنباً كل خطر لانه كان يحب ان يعيش ايضاً لمعانقة ابنته مصالماً سيرته المشككة بسيرة صاحبة

وطالت المحاولة نحو عشرين دقيقة وقد كلاً ولم يرجح احد لانهما كليهما كانا بارعين بلعب السيف والترس اما سترفيو الذي ضاقت في وجهه الحياة قد حمل على عدوه حملة مديدة اوشك ان يرديه بها الا ان سترميون تلافى الضربة برشاقة غريبة واغمد السيف في صدر سترفيو فسقط على الحضيض يخبط بدمه وصرخ «قتلتني فأتني بصليب»

فهوج سترميون مرتجفاً ودخل غرفة امرأته فاخذ من سريرها صليباً من الصاج على عود مفشى بالحمل وجاء به الى الجريح الذي اراد اصحابه ان يضمّدوا جرحه فأبى قائلاً قد نفذ السهم فلنس امامي الموت فهو وحده يرحض ذنوبي ثم تناول الصليب وقبله شاكرًا جميل عدوه الذي مهد له سبيل الدماء عند الرحيل وقال له سامحني يا صاح قد خطئت اليك والبنتان هما ابنتاك حنا اسأل شريكتي ليونيدة... خطيئتي عظيمة فارحمني يا رب

ولم يتم الصادة الاحيوة حتى لنظروحه لصد سترمون الى البيت مصطرباً فصادف امرأته فزلة في السلم فسالت في غضب : أملك جنت ٠٠٠ قد سمعت انك تتساقف في بيتك واليوم موعد توقيع الصك بشأن زواج ولدك

— لا حاجة بعد الى هذا الصك ولا رجاء بمقد زواج ولدك مع ليلى دريوكوف
— ولماذا ياترى

— لاني قتلت منترفيو الذي باح لي قبل موته بالحقيقة التي لا اشك انك كنت لها جاهة وخلصتها ان الآكسة ليلي دريوكوف هي ابنتي

— يا لله ماذا السر . تباً له . لا رحمة عليه فهذا منتهى انتقامه

وقد بدت على وجهها دلائل الفرح كأن موت منترفيو قد خلاصها من هم عظيم فقصت زوجها من هيتها وعبارتها انها كانت شريكة للمجرم بالاثم ولطفا كانت هي الساعة فيه أولاً قال لها : قد عرفت الان كل شيء ادهي من وجلي فلم يبق لك هنا مقام

فجمد الدم بهروقتها وكادت تتم منفي عليها فاحتملها من خصرها واثاها على سريره واراد استدعاء الخدم لمعالجتها فانتصبت وقالت له : ارجوك ياسيدي لا يأت احد ولا يكن لدي سواك انت الذي احبته نفسي منذ الصبا . . . فاصغ لي قليلاً

— لا اريد ان اسمع شيئاً اذ كل تفسير لا يأتي بمجدوى . ولا تخافني بأسا فان اسمك يبقى مكتوماً ومد رجوت اصحابي ان لا يأتوا بدكرك البتة وادع ضميرك وحده يعاقبك على ما جنت يدك

— يا عزيزي الحبيب انت لم تفهم مرامي . . . قلما يهني الناس كلهم سواء عرفوا الحقيقة او جهلوا قلبي اياك اريد ولا ارجب سراك . اياك احببت فوق كل شيء . حتى صرت لاجلك محرومة ائمة

ثم جثت على ركبتيه تمانعها فاكية وبعول : احلف لك اعطى الايمان بانني لم ارد ان يصنع بهاتين الاثنتين ادنى ضرر . . . ومع ذلك اما كان يحق لي ان انتقم . . . او لم تخدعني وتذاني في بيت ابي

— أولاه تصلى قد كنت غراً جاهلاً سنياً في شباني وأسأت اليك فلاجل هذا لا يعنني الا اخبرك ولكي من يبدؤ لوعة اسفي على امرأتي الاولى التي كانت كلاك ارضي وقد سببت لها بسوء سلوكي الكآبة والموت . . تباً لك يا متدفيو يا لئيم يا شرس يا غدار قد ذهبت غير مأسوف عليك انتقاماً لحمايتين خطفتها من حضن والديهما ولم ترحم دموعهما وعرضتهما للمخاطر والتهالك . وكان الحق باليؤيدة ان تقتلي معه ايضاً ولكن يشفع بك ذبي اليك فاركك وشأذك فكفرين عن نفسك ؟ تشائين فاذهبي ولا تريني وجهك بعد

— سيدي أهذا جزاء حيي لك بعد ثلاث وعشرين سنة

— لا استطع ان احب امرأة قاسية اثيمة

فشمخت ليؤيدة بانفها بعد ان ذلت وقالت له : أهلك انت بري طاهر الكئيب

محبوم من الخطأ حتى تفرغي الان وتدينني

قال لها اني اقرب اليك شاردأ قبيح السيرة راكباً للمنكرات التي لا يحلو منها الضعف البشري ولكن اقسم لك اني لم اؤذ احدأ عمداً ولم افعل مع احد شراً عن معرفة كما فعلت مع رفيقك التميمي قد حرمتني فلذقي كبدي وسببت موت حرمي حتى اخذت مقامها وقضيت معي كل هذا المرطاية سرّاً وساترة جريءك فكيف سافت لك الحياة وانا منصر وكيف طاب لك العيش رقيداً بامان وابنتاي تسامان في القرية للذل والمهوان هل سمع مثل هذا العمل من الوحوش الضارية

— اقسم لك برأس ولدي واعز شي ولدي اني من حين خطفهما لم اعرف قهرهما وقد طالما سألت ذلك الخبيث عنهما فكان يعطيني بارجاعهما على شرط . . أولاه كان الملعون يراودني عن نفسي . . . فرفضته حائباً لاني لم احب سواك وآثرت مرادة العيش وغصة هاتين الابنتين حرصاً على شرفك اه لو وجدتهما لكنت اعتبرتهما كابنتي ألم تر كيف اسطع قلبي الى ليلي دون ان اعرفها وكيف احببتها مثل ولدي

— صبتاً تحاولين اتعابي فليس الوقت الان وقت جدال . . . وها انا ذاهب لان

رجال الدرك اتوا يستصون عن جثة القاتل

فركته يذهب ولم رد ان تسترجع بعد لانها رأت نصيبه على هجوها وتكن
الثرة في قلبه منها فارتعت على المقعد خابطة في فيافي الهواجر وقد خارت قواها وهوت
عزائمها وقالت تب للدهر الخزون قد اطعمني بافراحه ثم جرعتي كؤوس اتراحه وما قد
تركى الجميع وصرت ضحكة مند كل الناس ومضفة في افواه المنادين ولم يبق
من اليب لي سوى ارثور ولدي فهو صيري وسندي

وانها لفي هذه الحال واذا بوقع اقدام في الدهليز فنهضت لدرى وما كادت تصل
الى الباب حتى افتتح ودخل ارثور مبرقاً مرعداً مرغياً مزبداً شامخاً مرعباً وقال :
ما اتس حظي وما اسوأ مجتي فشلك تكون الامهات والا فلا وهكذا تكون الاولاد
والا فلا ..

فاخذت امه تلاففه وتجماله وهوينفر شامخاً ويطن الساعة التي ولد فيها
من ابوين جرّاه في نضارة الشباب مرارة للذل والهوان وهو يقول هل سمع في الدنيا
تبسر مثلي لقد الستاني من النضيعة شعاراً او كسوقي من العار اطاراً واطلقت علي
السنة الخلق محزية واحتماراً

قال هذا والكلام يخرج كالصواعق من بين فكيه واطلق والشر يطاير من
عينه فسقطت ليونيدة على الحضيض وقد فارقتها القوة وكادت روحها تبلغ القوة
واظلمت الدنيا في عينها فلم تبصر الا قتامة حالكة ثم اصابها صداع شديد
ولت بها الداء فاقنت انها لا محالة هالكة فذكر - جرعتها وتصورت عاقبتها فندمت
على ما فرط منها ودمت الاستعداد لآخرتها وطلقت تستغفر ربها وهي غير موقنة باستجابة
طلابها ثم استغاثت بالفادي والتمنت الى سريرها لتستعين بصليها فلم تره لانها لم
تنظر روحها لما اخذه فظننت ان ابليس قد حرها من هذه التعزية الاخيرة فقبلت
وبكت وصلت ثم اضطجعت على السرير وفيها هي تسترحم وتستغيث فاضت روحها

﴿ فصل خامس وخمسون ﴾

كل يجزى بسله

لما خرج دريوكوف من قصره وجد ليلي انه يعود اليها بعد ساعة ليطلعها على سبب دعوة البارون هوير وفي اثناء غيابه كانت الفتاة تضرب اخماساً لاسداس ولما انقضت الساعة و يرجع والدها اضطربت وجعلت تنقل من غرفة الى غرفة ومن نافذة الى شرفة لعلها تنصره قادماً ولكن خابت امالها وكانت كمن يتقل على الجمر وتحسب الدقيقة اطول من شهر حتى اذا عيل منها الصبر عادت الى غرفة والدها وطلعت تردد قراءة البطاقة التي ارسلها هوير لايها وهذا محورها :

« ان البارون هوير ديارت يرجو صديقه القديم السيد دريوكوف ان يتكرم بالجيء اليوم عند الساعة الثانية الى مركز المصرف الاميركي وهو يؤمل ان السيد دريوكوف لا يأتي الحضور في وقت نادر المثال ولعلهم اوقات عمره »

وكان دريوكوف لما قرأ هذه البطاقة لاؤلاً وهلة قد اتذهل متعجباً فقالت له

ليلي : ما وراء هذا الكتاب يأتي

- لا علم لي يا بنية . فهذه احدى غرائب هوير التي حيرتنا في امره منذ وطئ

ارض فرنسا

- انظري يا ابني كيف يدعوك صديقه القديم

- ويدعوني ان اتكرم بالحضور لعل يسألني خدمة جبداً لو امكنتي ان اخدeme

لا في احب بهذا الشاب من صميم القواد قال هذا واطلق الى المصرف وليست الفتاة

تتقلب على نار الانتظار وهي تتأمل تلك الكتابة وتقول : ما لعل يطلب من والدي .

كيف صار على البنية باروناً . . ماذا صنع في سفره السرية . . أصل لديه

اسباباً صواية حملته على انتهاج خطة القصور نحواً . . وهل هذه الاسباب قد زالت

الان نجأة . ولا شك ان ابني يضي لعل كل خدمة يطلبها

. وما زالت على هذه الحال من القلق حتى سمعت دوي عجلة فهرعت الى الباب

الخارجي واستقبلت والدعا من العجلة مرتباً وعلى وجهه صفة قاعة قد عرفت
وسأله « ما وراءك » فتبسم وقال لا شيء الا الخير لك - اعني - دعيني الان اخبرك -
- وهل ليس من شر لمجرد ان شاء الله

- كلا لا شيء في البتة بل كل خير ودعا قريب يكون هنا وقد ذهب ليأتي
بوالدته قافرحي يا بحتي

ثم صدمه فتاه ولا وصل الى القرفة لارتقى على القعد لاهثاً كن خارت قواه
قلقت ليلي وقالت في مالك يا بحت هل انت مريض

- كلا بل ... دعيني اجمع افكاري قليلاً هنا انا اخبرك كل شيء - نفعيلاً ...
بالحقيقة ان مورد رجل كريم الاصل على جانب من الشهامة والتبل
- هذا شيء - معلوم لدي - ولم اشك فيه البتة - فاذا جرى في ياترى

- اليوم علمت السبب الذي حمله على اجتنابنا كل هاته المدة وهو ليس بذنوب
قط فان والدته نهجت له هاته الخطة من حين قدومها الى باريس لان والده توفي
مفلساً من ستين الف ليرة فكان يجبل ان يظهر بهذا المظهر امام الالة الباريسية
- لكن هذا مبلغ يسير يا بحت

- نعم وقد ادفعت عنه ... ولكن ما عدا الافلاس كان اياه قد اتهم بمحاولته
ارتكاب جريمة القتل، وبخطف ابنتين

- هل هذا ممكن ... لاشك انه قد تجدد
- نعم برئتة الحكمة ولكن استندت تركبته الى عدم وجود ادلة كافية تثبت
هذا الجرم عليه فلم يكتفِ ابنته بهذا التبرع الناقص بل سعى بان يذكي تركبته تامة
بإظهار الجرم - ولما نجح في مساعاه وادرك مخاه

- اجل وقد تبين ان الجرم الحقيقي انما كان الشغاليه متزفيرة الذي ساقته ان كنت
منقرمون من دعة هتلة ورحض بدمه جردته

- واي مدخل لسنقرمون في هذا الامر
- سنقرمون ذلك عما قليل عندما تصممين القصة كلها وانهما في هذا الخطاب

واذا الباب يقرع وقد دخل هوبر ووالده
وقبل وصول الضيفين الى غرفتهما قالت ليلي وقد أكدت لونها ما مدخل سنترمون
في هذه المسألة حتى بارز مندفير

— لان سنترمون هو ابو الابطين — واي ايتين ياتى
— اه ياينة . آه يا عزيزتي ليلي ثم ضمها الى صدره وهو يقنهد الصدا
لفراق تلك الحماة التي عما قريب تعرف الحقيقة فلا يبقى له حق بمسانقتها اما هي
فاستهجنّت اضطرابه الذي لم تهده فيه من قبل فسألته :
— بالله طيا يا ابت قل لي مالك — اني متأثر كما لا يخفّاك من هذا
البراز الفجائي الذي كاد ينجلي عن موت المتساخين معا وذلك في قصر سنترمون عينه
— لكن لا اظن ان موت مندفير يزججك الى هذا الحد فلقد اشتلت بالي ايضا
لكن هنالك شيئا كنته عني

— نعم لدي شي . اخر ستطلعين عليه قريبا

وما اتم هذه العبارة حتى انخلت عزائقه واشعر بنفسه ان لا شجاعة له لاطلاعه على
الحقيقة وجئت دخل طليها هوبر وامه وجلين مع لنها لم يسرما بالهي . الا اجابة
لطلب دروكوف الذي رحب بها ترحيبا اما ليلي التي كادت تدوب فرحا بهذا الملتقى
قد توقفت قليلا ثم اندفعت نحو هوبر كأن مضطربا جذبها اليه بالرغم منها وتادته : هوبر
وكان الشاب قد وجع عند دخوله فلما رأى اقبال الفتاة تشجع وقال لها « عزيزتي
ليلي » ثم تانقا متباكين وكان دروكوف ينظر اليهما ضاحكا باكيا

الا ان الفتاة انسحبت لخال من ذراعي هوبر وصرخت مرعاة : يا لله ماذا صنعت .
هوبر لا يمكنني . لا استطيع . لقد فات الوقت . اوآه لماذا اخلفت تبتك بي . لم
لم تخب لي بكل شي . واحمرته لقد نال سواك ما كان لك وحدك نعمائة لم ينل حبي
حاشي وحياتك ولكن نال مني الوعد بان اكون له عروسا وهو يكون لي بلاء دغما من
حبيتي لك ولهذا لا حق لي الان على اخلاف الوعد

قطاطها ايها بقوله : ولكن لو ثور بن سنترمون لا يستطيع ان يكون لك زوجا

تهللت طرأاً وسألتني : اصبر ما تقول ولماذا يا ابنت
لأنه... أسألي هوبر .

قال لها هوبر « هذا صبر » ثم تراجع التهورى وهو وجل من اعلان تلك الحقيقة
التي من شأنها ان تقطع العلاقة البنوية بينها وبين والدها الا ان ام هوبر اقبلت
حينئذ لاعاتهما واخرجهما من هذه الحال الخرجة قالت للفتاة : قد صدقا فيما قالوا
لك ان اذود لا يمكن ان يكون لك زوجاً فظهور بعض اسباب كانت مجهولة وهي
تحول دون الاقتتان بينكما وهو اوباطري ايره ستدمون سيطلقك على الحقيقة صريحاً
وفيا كانت تقول هذا اقبل اذود ساخطاً على يسلم على احد بل سارتوا الى
خطيبته وقال لها « جئتكَ الان لاطلك من وثاق ارتباطك معي بوعده الزواج فانت
حرة لان الطليعة قد اطلقتك فاطلي ما بدا لك » ثم اقبل راجعاً ووجهه يقطر دماً
واذا بنادم من بيت ابيه يدعوه حالاً منذراً اليه بوفاة والدته ليويده فهدول دداءه وهو
يدمدم قائلاً : ماتت بدون ان تكتب وصية فانا الوارث وحدي

فلما ذهب اذود قالت : ام هوبر لقد امانتها الرب جزاء اعمالها
فغرت ليلى من هذا الكلام وقالت : لماذا تشمتين بها وقد كانت على جانب من
كآل الاوصاف وكانت رحمها الله تحبني كآبة لها
- انت الان تقولين هكذا ولكن عما قليل تعرفين ان هذه المرأة قد اساءت اليك
اساءة عظيمة

وفيا الفتاة مندهشة مما تسمع واذا بكباب ودد اي دريوكوف قضه وقراً فيه
ما يلي :

«عزيزي دريوكوف

«اني اليك بالاسف امرأتى ليويده التي قضت الان نحبها اثر اقتطاع شريان في قلبها
بعد طلائعها على ما كان من الحوادث الاخيرة فارجوكم الان غاية الرجاء ان تكتسوا
كل ما سمعتم هذا النهار واثقوا مع ليلى ومايتا لشهود المأتم وبعد ذلك يتم اعلان
الحقيقة»

فازدادت ليونيد حيرة واذهالاً وجعلت تقلب بصرها بين ايها وهوو وامه وهم
شاخصون فيها صامتون قارقات مذعورة وانطرحت على صدر ايها وقالت متوجمة :
لا افارقك يا ابت ما دمت حياً

— لا تخافي يا بنية قلن افارقك ما لم ياب هوو لان به مناط امرك فاسأليه
فدلت يدها الى الشاب وقالت له : امرك يا هوو اشقي عليّ وقل كلمة تبرد
لوعي فاما هي تلك الحقيقة التي يشهد اليها سنقومون بلني ساطلع عليها واي مدخل
للانسة ماينا معي فيها

— لا استطيع ان اشرح لك الان كل شيء . بل حسبي ان اقول لك ان المرأة
المترفاة اساءت اليك اساءة كبيرة كما اساءت الى ماينا
— اساءت اليّ والى ماينا . . . فاية علاقة تجمعنا

— صدقي قولي . . . لكني لا استطيع ان اشرح لك الحجة بل ادعُ للكنث
سنقومون الذي هو زوج عمي اما الان فيكفي ان تعرفي ان نصيب الانسة ماينا
في هذا الامر كان نظير نصيبك وهذا مما يربك اليها كالكما شقيقتان
— شقيقتان يا لله ماذا تقول كأننا شقيقتان

ثم امرت احد الحظم باستدعاء ماينا فلما حضرت وشهدت هذا الاجتماع وجلت
وتراجعت التهمري الا ان ليلى جذبتها ويدها اليها وقالت لها : لقد أكدوا لي ان امرأة
توفيت من هنية قد اساءت اليّ واليك اساءة عظيمة وان نصيبنا فيها يضاهي
نصيب شقيقتين . انهمت . اخبريني هل كانت لك اخت قاطعها دريوكوف بقوله
لا حاجة الى هذا البحث ما دام سنقومون مستعداً ان يطالعك علي الحقيقة عما قريب
فاجابت ليلى : ارجوك يا ابت ان لا تعارضني فاني لا اسألك شيئاً بل اسأل ماينا
هولي لي يا عزيزتي هل كانت لك اخت لماذا لا تجاريني

فركت ماينا جبينها كأنها تسرد الى ذهنها خيال فكر قديم العهد وقالت : نعم
نعم فان ابي كان يجبرني ان لي شقيقة كنت مشغوفة بمجها . . . وقد ماتت ولا اذكر
كيف ماتت . لكنها . . . ات . — الا تذكرين اسمها

— نعم اذكره لانه : يسارح فكري التة واسمها ليلى

— هل كانت تشيبي

فهمقت ماينا وحدقت ومدت ذراعها بديا وقالت انت . . ليلى . فتحت لها ليلى صدرها وقالت الشقيقتان وبكتا بكاء الفرح طويلا

وارادت ليلى ان تسأل ايضا اباهما وهو دامة بعض اسئلة قاطعها هور و قال للفتاتين : يا انكما التقيتا الان قاول فرض عليكما قل كل عمل ان تذهبا الى بيت الكنت سنقومون وانا اراضكما وهو يسألكما ان تصليا لاجل قريبته ولتترب له على مرأى الملا بروكنا مصلين امام جنتها ان كل ضئينة قد زالت من القلوب

فادهشت ماينا من ذكر الكنت والصلاة لاسرائه ولم تدر ما عسى ان يكون مدخلها في هذا الامر قالت لها ليلى بلهجة اسيفة : يظهر يا عزيزتي ان في الامر سرا عظيما منوطا بنا لكن بين ان هذا السر لا يوح به الا الكنت سنقومون وان قريبته المتوفاة التي كنت مغرمة بجها قد اساءت اليها اساءة عظيمة فاعلينا الا ان نضع لاسر هور فلنسر معه وانت يا ابت هلم معنا ايضا

فاجاب دربركوف بلهجة مكتئب لا اذهب ممكيا بل اجعلكما تحت حراسة هور واظن ان التظنة تقتضي هذا الابتعاد وان سنقومون يكون اكثر حرية اذ يعلن انكما الحقيقة المطلوبة

وفيا كان دربركوف يتكلم وهو حزين خارج صدره قن لوقمه فكان اسعد حفا قد فكر هنية ان يخطف الفتاة ويسود بها الى اميركا حيث يتواري عن الابصار قل ان تعرف انه ليس اباهما فكنت لفرط حبه لما لم يشأ ان يحرمها من لذة الاطلاع على اصلها النيل وطيب عنصرها

فاظلمت الفتاتان مع هور وكانتسا كاسفتي لبال ولم تكلمه الا لازم الكلام اما هو فكان شاخص البصر والاسف مل فواده ماينا التي اخفى عليها الدهر وحرما عيشة الرغد مضطرا اياها في كسب خبزها بعرى جبينها كاحدى القديرات من بنات اصعاليك

فلما رآه لما الى قصر سنقومون تقدمت ليلي امامها لانها كانت احدى في ذلك البيت منها وذهبت بها تورا الى غرفة ليونيدة حيث كان ارنود جالسا بقرب النافذة فلما ابصرها خرج ولم يشأ ان يرى احداً اما سنقومون فكان على كوسبي بجانب الحلة فندما وقعت عينه على ابنتيه قام ليستقبلها لكن لم يتألك وقوفاً فقد وبسط ذراعيه فتقدمتا فارهما هو ان يتدما فلما عانقها بكى واصعد الزفرات وكان قد شعر ان قد مات فيه الرجل القديم الراكب المعاصي وتلج الى ربه مستغفراً عما مضى

وبعد ان ضمها الى صدره برهة وهو يول لها يا ابنتي العزيزتين . . رآهما متعجبين فقال لهما ألم يخبركما احد بشي وبعد فاجابت ليلي : ان اني قال لنا اننا سنسمع منك وحدك ذلك الخبر

بلى بلى . ولكن لا يكون هذا في الساعة بل عما قليل لاني منتظر الان الى بعض الثوري وجمع شتات الفكر . يا ابنتي احبكم ان صميم القواد كل قلبي هو لكما منذ اليوم وكان يكتمني بلفظة « ابنتي » التي لا تدل على الحقيقة دلالة دقيقة . . . وكان يستغل تلك الساعة التي يروح فيها لهما بما يسلمح ليلي وما يباح عن دريوكوف وذيغريو ولذا كان محتاجاً الى الثوري والاستبصار ولم يشأ ان يصنع الا وهماً للعدل والانصاف ثم جثت الفتاتان امام الحلة تصليان اما ليلي فكانت متأثرة وأما ماينا مدهوشة فلما نهضتا خرج معهما سنقومون وعانقها ايضاً ثم طاق هو وهو يدعوه « يا ولدي » وانصرفوا جميعاً عائدتين الى قصر دريوكوف كالسكارى وما هم بسكارى ولكن حيارى وينسا هم داخلون الى قصر قالت ليلي لهو (لا اجسر الان ان اطلب شيئاً لا منك ولا من سواك ولكن مهما يجز ومهما كان الخبر لدي ساسم اعريد ان لا يتغير شي . مما كان وانت يا هو لا تتذكرني وحدي البتة)

فنظر هو الى ليلي وماينا نظرة المتودد وقال لها : سيجتمع شملنا على ما ارى ولا اظن احداً منا يفارق الاخر الى ما شاء الله

وفي اليوم التالي أقيم لليونيدة مأتم عظيم لائق بتقام تلك الاسرة النبيلة وشي

في جنازتها خلق كثير من الاكابر والاعيان وليس لهم حديث الا موت ليونيد ومنترفو
في يوم وريت واحد وقد ذهبوا في تفسير هذا الحادث الغريب مذاهب شتى والنفس
تأنق الى استطلاع ذلك السر الخفي الذي اشارت اليه الجرائد لكن لم تستطع الوصول
الى كنهه على انها اجتمعت على نقل الخبر عن المقامات الرسمية على الوجه الآتي :

بينما كان الكنت ستومون والمسومترفو مجتمعين في المصرف الاميركي
تخاصما بالكلام في بعض امور شخصية ثم واصلوا في الطريق الختام حتى تداعيا الى
البراز فاجرياه على القود امام شهود عدول على نحو ما يفعل الاميركان وكان السجال
بين الاثنين شديداً حتى خيل ان الساقين مقتولان كلاهما لا محالة لكنه انجلى عن
انقلاب متدفيو ومرة . اما الكنت ليونيد المصابة بداء القلب منذ امد بعيد قد
اضطربت من وقوع هذا البراز في بيتها ولاسيما يوم توقيع صك الزواج بين ابنتها
وليبي دريوكوف فتأثرت تأثراً شديداً اودى بها بانقطاع احد شرايين قلبها

وبعد انتهاء حفلة المأتم وانفراط عقد الناس اختلى ستومون بابنه ارثور ودعا من
الله . ثم نادى فيه في شؤنها العائلية ثم قال له ايمه انت وريت والدتك

— أجل ان لم تكن قد كتبت وصية — بلى تكون وريثها ولو كتبت وصية
فاني لا اريد ان ابقي لي من اثرها شيئاً انظر الى هذا القصر الباذخ الجميل فهو
لك بكل ما فيه من الاثاث والرياش والحف والتنافس وسارتب لك هذه الورثة بطريقة
شرعية ولا اطلب منك لقاء ذلك الا شيئاً واحداً وهو ان تترك باريس الى بضعة اشهر
على الاقل ولا اظنك تكون بهذا السفر مضموماً

— لا البته — ومتى تسافر

— متى شئت يا ابنت امهاني ريثما اجمع ثيابي وغداً اسافر

وفي اليوم التالي اتم ارثور كل لوازم السفر الى انكثرة لشهود اعياد السباق فيها
وكان اقل غضباً منه بالامس لانه ما لم يكن في حسابانه ولذا جعل يتمالق اباه
حين ودعه قال : اؤمل ان لا تكون يابته مضموماً

— لا يا ولدي فان فراقك لا يعني لاني لما قتلت ذلك الشقي الذي كاذلي

واحتال على قتل وخطف لي ابنتين كالأكين ثم طمع بصره الى امك يراودها من نفسها
 غمت وانيتي كافي بارداته قد حرمتك من رجل كنت توده وكان يدفعك بالهبات
 ويحك بك بالمكرات ثم انطلقت الى امك فمرعتها مرارة اهانة فظيعة وقد سمعت
 كلامك الغليظ الذي نفذ فوادها كستان مسموم فكانت به الضربة القاضية . .
 فبارة قلبك تتجاوز كل حد وتصرم جبل كل رجاء فبك فلن تحب الا نفسك ولا
 الا لعمل الشر . . . فاذهب من وجهي واجتهد بان تقلل من الشر ما امكن
 وبعد سفر ادرود اطلق سنترمون عند مساء اليوم نفسه وقد اخذ منه الاضطراب
 مأخذ الى قصر دريوكوف حيث كان الجيسج بانتظاره وقد عيل صبرهم وكادوا
 مزون لو لم يحدث لهم في ذلك النهار امر سار ملاً البيت كله فرحاً وابتهاجاً
 وذلك ان فرنسيس كان قد أخرج من قالب الجيس الذي افرج فيه جسمه ولبث كل
 تلك المدة لا يتحرك كقطعة صخر وقام في اليوم نفسه ومشي بعض خطي مستنداً
 الى ذراعي دريوكوف وماينا وكان بعد ضعيفاً لا يتألك الوقوف وحده لكن جميع
 جراحه ضمدت وعظامه المكسورة قد جبرت اتم الجبر حتى عاد جسمه الى ما كان عليه
 من تمام الخلق لم ينقص من اعضائه شيء ولم يشوه وجهه ولا بدنه باقل عيب بحيث
 كان قلب ماينا يرقص ابتهاجاً وعينا دريوكوف تدرغان عبرات السرور
 وكان زفيرو قد خرج من مخبئه متهالاً بقتل الشقي متفريو الذي ارعد
 فرائضه وجعل يشب ويلعب ويهرج ويطرب راقصاً مارحاً وللصدر شارحاً
 وكان كل هؤلاء قد اجتمعوا في بهرة القصر في ساعة مضروبة انتاراً لاشارة
 انكنت سنترمون حتى فرنسيس نفسه قد جيء به ايضاً محمولاً على مقعد فلما انتظم
 عندهم اقبل سنترمون واول عمل اياه انه ثم يد ام هوو وقبل جبهتي ماينا وليلي
 وجلس يتلو عليهم نصته من اولها معترفاً اعترافاً صادقاً بهفواته وفتلته وخطايا شبابه
 وكان من ليبي وماينا لما سمعتا انهما شقيقتان تعانقتا طويلًا وجعلتا تتأملان
 بالاسف والتهير معاً شاخصتين في زفيرو ودريوكوف . أجل انهما احبتا اباهما الحقيقي
 وسرتا سروراً لا مزيد عليه بكونهما اختين ولكن صعب عليهما الانسلاخ عن رجلين

وقفاحياتهما لخدمتهما وقد سلبا حبة قليبيهما ولذا ما اشد ما كان فرحهما وفرح سائر
الحاضرين لما قال سنترمون هذه العبارة الاخيرة : « يا ابنتي وانتم يا اصدقائي لا
نظنوا اني اريد ان اغير شيئا مما كان فالو كائننا صبيين لما كنت فعات ما انا فاعل
اما الان وهما على اهبّة الزواج فان كلا منهما تنقلب بلقب زوجها .. فهام
الجي يا ابنتي لاضمكما »

فارتقيا على صدره وجعل الثلاثة يصعدون الزفرات ويسبلون سيول العبرات
في حين كان دريوكوف وزفيريو شاخصي البصر حرينين ولم يتألكا من رد دموعهما
اما سنترمون فاستأنف كلامه للفتاتين قال : انما الان في الحقيقة ابنتاي
واما في الخارج امام العالم فلتكن ابنتي الكبرى ماينا كمتستينا وابنتي الصغرى ليبي
دريوكوف وهذا عدل وصواب اما هذا صحيح يا اصحابي

ثم مد يده فصالح زفيريو ودريوكوف وتبادل معهما ارق الفاظ التودد والشكر وانهم لفي
احال واذا بصوت تدمر خافت في زاوية الردهة حيث كان فرنسيس منطرحا
على ساعده فالتفتوا اليه فزأوه باسطا ذراعيه بسط اقتصر نحو سترمون وماينا ولم يتكلم
شيئا بل كانت عيناه مغورقتين بالدمع كأن لسا ماله يقول : العل ماينا باقية
على عهد الوداد وقد ظهرت الان كريمة الاصل عرفة الذئب فهل يؤذن لها ان
تجبنني ايضا بحبتها كيوم كانت من طقعة المثلثات وهل تربدني بد .

فنهضت ماينا سر تلك الاشارة وهرعت اليه باسمة ولثت جبينه قائلة له : « مالك
مافرنسيس وماذا تريد » ثم جاء اليه سنترمون ايضا وقال له متلطفا : اني ادري من كل
أحد بتقدار حبك لها واعرف انك خلقي بحبتها

فاشرق وجه فرنسيس واشرح صدره وحينئذ اقبل دريوكوف اليه ممتع الوجه
مضطرب الحركة وقال له : اقم عليك يا فرنسيس بشرفك وبجلك لماينا ان تجبرني
من كان ابوك وما اسمه

فحملق فرنسيس وفاق فقال له دريوكوف ان كنت لا تريد ان تجبني فانا اجيب عنك
كان اسميك غربك بورك اما هذا صحيح اصدقائي الجواب

فلم يسع فرنسيس الانكار وقال له : نعم نعم

فالتفت دريوكوف الى الجماعة وخاطب مستقرومون قال : ان كنت ايها الكنت قد
سأت السيرة ايام شبابك فلست في ذلك وحدك بل ان لك في شخص هذا غريك بوك
شباباً قضى رهرة عمره في ركوب المعاصي حتى حرم مشاهدة وحيد له نَحْواً من ثياب
سنة ويجول في الان ضيق الملام ان اتوسع في الكلام بل حسبي ان اقدم لكم اني هذا
فرنسيس ولدي وقلنة كبدي

سيفافقي قلب فرنسيس وصرخ انت اليات والدي ونهض يماقه قصه دريوكوف
الى صدره وتبكي سروراً

فرغم الجميع لحاظهم الى السماء شاكرون الكرم المتعال الذي جمع الشمل
بعد تفرقه الاعوام الطوال وطفنوا يفتنون بعضهم بعضاً واقاموا الافراح سبعة ايام عند
كل يوم منها بالغ عام وكات واسطة غنمها رفاف ماينبا الى فرنسيس والي الى
جورج وقد دخل حينئذ على قلوبهم وقلوب مستقرومون وروكوف وزفه يوم دام هرج
البهجة والسرور ما لم يشهد مثله في سالف العصور فعضوا جميعاً عيشه رعيده بحياة
راضية سميده وما يرحوا يذكرن عدل الله في مجازاة كل بعمله ولو بعد مدة مديدة
وبحمدوة تعالى على ما ادركوا من المنساء والسلام راجين ان فيض مباركة حسنا لحنام

تمت هذه الرواية النفيسة التي نالت رضى عموم القراء وقد جا
ختامها وفقاً لما تائق اليه القلوب من جزاء كل بعمله ان خيراً فخير وال
شراً فشر لان الظلم والعدو والمنكرات هما ظل صاحبها ناجحاً سائداً فلا بد
ان ياتي عليه يوم يقب له فيه الدهر ظهر المحن فيضمحل باند ا وان المظلوم
او المظذور هما توات عليه المصائب والشور فلا بد له يوماً من اهراج
كربه وزوال غمته فيعود كريماً جليلاً ^{شاكرون} لاجلهم ان عاش حقيراً ذليلاً وكفى لنا
بحوادث الاختبار دليلاً

